سلسلة «الحقيقة الصعبة» (٥)

Series "The Truth Hard" (5)

العلويّون النّصيريّون

بحث في العقيدة والتَّاريخ

THE NUSAYRIAN ALAWITES
STUDY ON BELIEF AND HISTORY

أبو موسى الحَريري

ABÛ MÛSÂ AL-HARÎRÎ

www.muhammadanism.org
September 2, 2010
Arabic
Fonts: Simplified Arabic

سلسلة «الحقيقة الصعبة» (٥)

أبو موسى الحريري

العلويّون النّصيريّون

بيروت

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

العلويّون النّصيريّون

المقدّمة

تستطيعُ البحثَ عن المعرفة دون تحدّي الحقيقة، وتستطيعُ الكشفَ عن الحقيقــة دونَ النيلِ من كرامة أهلها؛ ولكنَّك لن تستطيع الولوجَ في أيّ سرٍّ دون انتهاكِ حرمته. قــد يبقــى السرّث سرًّاً عند دقّ بابه، لكنَّ قدسيّته قد تنهارُ في ملامستك لها. السرّ هنا هو سرّ العلــويّيّن النُّصَيريِّيّن، سرّ عقيدتهم المجهولة، وسرّ تاريخهم المقهور أبداً، وســرّ مجــتمعهم وتقاليــدهم وعاداتهم وتطلّعاتهم في المستقبل المجهول.

لن أحملَ وحديّ عبءَ انهيار سرّ العلويين النصيريين، بل هم أيضاً يتحمّلونه معــي اليوم، بعد أن قضوا عليه بأنفسهم، عندما تركوا عصمة جبالهم الوعرة، وانتشروا في المــدن والسهول، وتطاولوا على الحكم والمسؤولية على رأس الدولة السوريّة. لقــد كــان قصــدهم الخروج من الوعر والقهر، ولكنّهم ملأوا الدنيا ظلماً وقهراً، وأوغروا الصدور حقداً. فإلى أيّ منقلب ينقلبون! ليت بليّتهم تقف عند قول الله: « لنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات »! [1].

ليس قصدي التنبّؤ بما سيكون ــ وأرجو ألاّ يكون ــ بل قصدي معرفة

---

(١) سورة البقرة ٢/ ٥٥.

ما كان وما ينتجُ عمّا كان. أنْ أعرف هو حظّي في هذا العالم، وأنْ أنقل إلى سواي ما أعرف هو واجب عليّ. بهذا أسهم، ولو قليلاً، في طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة منشودَيّ على الدوام. ومن حقّي أن أعرف، ومن حق سواي أن يعرف، لئلا نطمئن على ما نحن عليه من جهل ورخاء. وينقلني قلقي، هذه المرّة، إلى معرفة ما عند العلويين النصيريين من حقّ.

ولي غطبة أن أرى ما للنصيريين من عقائد وتقاليد وعادات، ومن تنظيم وتدبير لمسحِ القهر عن كيانِهم المنكود عبر التاريخ. ولي غبطة أيضاً أن أرى ما لهم من آمال وتمنيّات في بناء مجتمع خاصّ بهم، وإقامة دولة تصون وجودَهم وتحمي عقيدتهم التي لا تنسجم بحال من الأحوال مع عقيدة سواهم. وهذا السعي الدائب كان لهم همّاً كبيراً واهتماماً بالغاً طالبوا في تحقيقه كلَّ صاحبِ سلطان. وكان لهم ذلك السعي على دروب كثيرة المخاطر، عديدة المحاذير. ولكنّهم، بفضل ثباتهم، كان لهم ما يرجون. وهم إليه يسعون بتؤدة لا مثيل لها في العالم، لأنهم وحدهم يعرفون مدى القهر الذي أصابهم في تاريخهم الطويل.

بهذا الأمل العظيم استطاعت الأقلية النصيريّة أنْ تفرضَ، اليوم، عنفوانها على الأكثرية السنّيّة. بهذا الأمل حقّقت لها صداقات مع دول وجماعات في العالم تظنّها في الظاهر أعداء؛ وهي، في الواقع، تنصر حقّها المقهور طوال دهور. بهذا الأمل سيطرت، لا على جبالها الوعرة وحسب، بل أيضاً على السهول الخصبة، وعلى مدن الساحل والداخل، كما على قرى الجبل وضياعه. وسيطرت على الغارقين في البداوة كما على أرباب الحضارات العريقة... لقد حان لهذه الأمّة المقهورة أن تدير عجلات القهر على قاهريها، وأنْ تستمدّ من تاريخها التعيس نجدةً ونصراً.

من أجل تحقيق هذا الأمل استنجدتْ حيناً بالعروبة، وحيناً بالاشتراكية والتقدمية، وآخر بالبعث. وتوسّلت إليه تارة بشعارات الحرّيّة، وطوراً بالأخوّة العربيّة، وآخر بالإسلام. ونشطتْ تدافع عن الحقوق الفلسطينيّة المغتصبة، وتلتزم قضيّتهم، وتتصدّى للمتاجرين بها. وراحت تدور في محورين متناقضين: في محور السلم والحرب، وفي سياسة الشرق والغرب، وفي نصرة اللبنانيين والفلسطينيين وضربِهما معاً. واستقطبتْ عواطف أهل السنّة والشيعة على السواء. واعتمدت على طمأنينة الأكثريّة كما على قوّة الأقلّيّات.

ومن أجل ذلك أيضاً فازتْ بعلاقاتٍ طيّبة مع الأردنّ والعراق وكادت تؤلّف وحدة سياسيّة خطيرة لولا الكشف عن سوء النوايا ولو بعد حين..... ومع هذا كانت المحاولةُ ضروريّةً لتوازنٍ ماهرٍ بين العداوة الصداقة. وفازت أيضاً بخطوط دفاعيّة لها واقية واسعة، من الناقورة إلى الجولان والعقبة وبغداد والموصل، حفاظاً على حدود « الدولة العلويّة » الممكنة. وفي هذا كلّه لم تكن إسرائيل مغمضةَ العينين عمّا يجري حولها، ولم تسمح للعلويين النصيريين الذهاب والإياب ولو لم يكن كل ذلك أمراً مدبّراً!!!

وأصوب وسيلة لتحقيق هذا الأمل كانت في نزع وصمات الكفر عن عقيدتها. لهذا بَنَتِ الجوامعَ والمساجد يوم لم يكن لها جوامع ومساجد، وتلت من على المآذن آياتِ القرآن الكريم، ومارستْ فرائضَ الإسلام، في الوقت الذي كان ابنُ بطوطة يخبرنا عنهم بقوله: « وهم لا يصلّون ولا يتطهّرون ولا يصومون. وكان الملك الظاهر ألزمهم بناء المساجد بقراهم، فبنوا بكلّ قرية مسجداً بعيداً عن العمارة ولا يدخلونه ولا يعمرونه، وربّما أوتْ إليه مواشيهم ودوابّهم، وربّما وصل الغريبُ إليهم، فينزل بالمسجدِ ويؤذّن

للصلاة، فيقولون له: لا تنهق! علفك يأتيك. وعددهم كثير »[٢]. ومع هذا يفتخر الرفيق حافظ الأسد بإسلامه منذ ثلاثين سنة، ولو كان ذلك بمنّة منه.

وسترى، بالنهاية، من وثائق تاريخيّة، أن هذه الفئة من سكان سوريا فازت بما قصدت. وهي تعدّ العدّة، رغم كل صعوبة، ليتجسّد أملها في كيان مستقلّ، أصبحت فيه جميع مقوّمات الدولة موجودة. ومن ينظر يرى « أن مشاريع كبرى أنجزت في بلاد العلويين ولا سيما في حقل الريّ واستصلاح الأراضي وشبكات الطرق. ويضاف إلى هذا توسيع وتنمية مرافئ اللاذقيّة وجبلة وطرطوس. كما أن حمص لم تفلت من تغلغلهم الكثيف بحيث أن هذه المدينة التي بات العلويون فيه أكثريّة، باتت مرشحة لأن تصبح عاصمة الدولة العلوية العتيدة إذا ما قامت... ثمّ إنّ هذا التغلغل الصامت قد نما كذلك واتّسع على طول الشاطئ، ولا سيّما حول اللاذقيّة التي تلقت هجرة علوية هامّة وعميقة. ولا ريب في أن أهالي هذه المناطق العلوية أو « المعلونة » باتت أكثر ثقة بالمستقبل ممّا كانت عليه في الماضي »[٣].

لنترك ذلك الآن، ولنبدأ بلمحة عن أصل النصيريين ونشأتهم، وعن عقيدتهم ومراتبهم، وعن تاريخهم وفروضهم الدينية، مبيّنين بذلك استقلاليتهم عن الإسلام والمسلمين وسائر الفرق. وهم يستغلّون الإسلام ويرفضونه في آن معاً، بدهاء لا بعده دهاء، وبسرّيّة يعجز عن كتمانها اثنان. وذلك لأجل الهدف الأكبر المنشود أبداً عبر قهر التاريخ.

---

(٢) رحلة ابن بطوطة، دار صادر بيروت ١٩٦٤، ص ٧٩ ـ ٨٠.
(٣) كمال جنبلاط، هذه وصيّتي، ترجمة « الوطن العربي » ١٩٧٨، ص ١١٥.

ولكن، لم تفت المسلمين أخطارُ النصيريّة ومثيلاتها من « الحركات الباطنيّة » في التاريخ الإسلامي الطويل. ومَنْ مِنَ المؤرّخين لم يقرأ كلمةَ البغدادي هذه: « لأن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرّة الدهريّة وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجّال الذي يظهر في آخر الزمان، لأنّ الذين ضلّوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلّون بالدجّال في وقت ظهوره، لأنّ فتنة الدجّال لا تزيد مدّتها على أربعين يوماً، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر »[٤].

هذا الوعي التاريخي على ضرر الباطنية النصيريّة لن يرقدَ طويلاً، سيفوق، وربّما فاق الآن مع « الأخوان المسلمين »، ليرى أن خطر النصيريّة جرّ معه ووراءه أخطاراً قد تكون جسيمة على المسلمين. هذه الاخطار لم يبحثها باحث بعد، لأنّ خبث الدعاة الباطنيين أعمق من تصورّ الباحثين والتاريخ يشهد على ما كان للإسماعيليين منهم والحشّاشين والقرامطة والنصيريين والموحّدين... من خطر على الإسلام وعلى كيان المسلمين. وخطورة هذه الحركات تتأتّى من كونها سرّيّة تعمل بالسرّ وفي السرّ، وتعتمد على الصدق بين أنصارها كأعظم ركن لها، وعلى الكذب على الغير كأعظم وسيلة للوصول إلى أهدافها.

وخطر العلويّة النصيريّة ناجم من مطالبتها بحقّ مغتَصَب، لم يكن في التاريخ مثله حقّ مغتصب، وهو حقّ عليّ بن أبي طالب بالألوهة. وناجم أيضاً من الكتمان في المعتقد، ومن التمويه على الحقيقة والتدليس عليها.

---

(٤) البغدادي، الفرق بين الفرق، القاهرة، ص ٢٨٢.

بـ« التقية » حافظ النصيريون على وجودهم، وبالقول بـ« ألوهيّة » عليّ استمرّوا متضامنين في التاريخ. وبسبب هذه الألوهيّة تحمّلوا أعظم نكبات الدهر، وصبروا على أقسى المحن، وتكبّدوا القهر والاضطهاد... ولم تتعرّض أمّة إلى مثل ما تعرّضت إليه الأمّة النصيرية. السبب هو الله. وليس أعنف من موقف يكون في سبيل الله. لكأنّ النصيري بتحديده هو المدافع عن كرامة الله وحقّه. وقد كلّفه الدفاع ثمناً باهظاً جدّاً، أيّ ثلاثين مليون ضحيّة في الشرق، وخمسة ملايين في الغرب[٥]. لا بأس، فالله لن يعجزه خلق العوض، شرط أن يفرض حقّه على رقاب الآخرين.

*****

بهمّة الدفاع عن حقوق الله سنسير معاً، ومع أخواننا النصيريين، عبر تاريخهم، في جبالهم وسهولهم، ومدنهم وقراهم، في قهرهم ونكباتهم، في عقيدتهم وتعاليمهم، بين مخطوطاتهم النادرة، وفيما كتب عنهم وحولهم، في ماضيهم وتطلّعاتهم إلى المستقبل حيث أملهم العظيم ببناء مجتمع خاصّ بهم، يحفظ كيانهم ووجودهم وعقيدتهم... سنسير معاً، كهم، ومن حيث هم، بتؤدة، وعلى حذر، وبكثير من اليقظة والحيطة، لئلا يغدر بنا الغادرون، فتفشل المساعي حيث كل شيء معدّ للنجاح اعداداً تامّاً.

---

(٥) محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، ص ١٣١.

الفصل الأوّل:

نشأة النصيريـة

أوّلاً : اختلاف المسلمين في الإمامة

ثانياً : سلسلة الأئمّة

ثالثاً : نظريّة « الباب »

رابعاً : محمد بن نصير النميري

خامساً : الحسين بن حمدان الخصيبي

سادساً : الميمون الطبراني

[Blank Page]

أوّلاً: اختلاف المسلمين في الإمامة

يقول الشهرستاني (+ ٥٤٨ هـ) في الاختلافات التي حدثت في الإسلام منذ نشأته بأنّ « أعظم خلاف بين الأمّة خلاف الإمامة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام مثل ما سلّ على الإمامة »[١].

ويقول البغدادي (+ ٤٢٩ هـ) في المسلمين الأوّلين أنّهم « اختلفوا في الإمامة، وأذعنت الأنصار إلى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجي، وقالت قريش: إن الإمامة لا تكون إلاّ في قريش، ثم أذعنت الأنصار لقريش... وهذا الخلاف باقٍ إلى اليوم »[٢].

ويبدأ النوبختي (+ ٣٠٠ هـ؟) كتابه بما يلي: « أمّا بعد، فإنّ فرق الأمّة كلّها، المتشيّعة وغيرها، اختلفت في الأمة في كل عصر ووقت كلّ إمام بعد وفاته، وفي عصر حياته منذ قبض الله محمّداً ». وأكمل قوله: « قبض رسول الله... فافترقت الأمة ثلث فرق: فرقة منها سمّيت الشيعة، وهم شيعة علي بن أبي طالب، ومنهم افترقت صفوف الشيعة كلها، وفرقة منهم ادّعت الامرة والسلطان وهم الأنصار، ودعوا إلى عقد الأمر لسعد بن عبادة الخزرجي، وفرقة مالت إلى أبي بكر... »[٣].

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١ / ٢٤.
(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٥ عدد ١٧.
(٣) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٢ و٣.

ويبدأ الأشعري (+ ٣٣٠ هـ) كتابه بهذه الحقيقة: « اختلف الناس بعد نبيّهم في أشياء كثيرة ضلّل بعضهم بعضاً، وبرئ بعضهم من بعض، فصاروا فرقاً متباينة، وأحزاباً مشتّتين؛ إلاّ أنّ الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم ». ويكمّل قائلاً: « وأوّل ما حدث من الاختلاف بين المسلمين، بعد نبيّهم، اختلافهم في الإمامة »(٤).

والاختلاف في الإمامة أصبح خلافاً في الذي تكون به الخلافة: أهو نصّ من النبي، أم اختيار من المسلمين؟ ولشدّة الخلاف وعنفه، راحت فرق تتساءل بقولها: « هل يجب على المسلمين أن يكون لهم خليفة يقيم الحدود ويسدّ الثغور ويجهز الجيوش للجهاد ويولي القضاة والحكام ويحمي بيضة المسلمين، أم لا يجب عليهم ذلك مطلقاً! أم يجب عليهم في حال دون حال؟! »(٥).

إنّ الذين يقولون بأن الإمامة معيّنة بنصّ من النبيّ هم أصحاب عليّ بن أبي طالب، المسمّون « شيعة »، المطالبون بحقّ عليّ في خلافة الرسول. ويستندون إلى أحاديث نبويّة وآيات قرآنية، هي بنظرهم، واضحة صريحة. منها:

١ً ــ قول النبي لأصحابه: « إني أوشك أن أدعى فأجيب. وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله ربّنا وعترتي أهل بيتي. فانظروا كيف تحفظوني فيهما ».

٢ً ــ وقوله: « عليٌّ منّي، وأنا منه، وهو وليّ كل مؤمن ».

---

(٤) الأشعري، مقالات الاسلاميين، ص ٣٤ عد ١ وص ٣٩ عد ١.
(٥) تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد على مقالات الاسلاميين ص ٤٥.

٣ ــ وقوله: « علي بن أبي طالب باب الــدين. من دخله كان مؤمناً ومن خرج منــه كــان كافراً ».

٤ ــ وقوله : « القرآن مع عليّ وعليّ مع القرآن لا يفترقان ».

٥ ــ وقوله: « من سبّ عليّاً فقد سبّني. ومن سبّني فقد سبّ الله ».

٦ ــ وقوله: « من آذى عليّاً فقد آذني ».

٧ ــ وقوله: « عليّ بمنزلة رأسي من بدني ».

٨ ــ وقوله: « يا عليّ من أحبّك فقــد أحبني. ومن أبغضك فقــد أبغضني. وبغيضك بغيض الله ».

٩ ــ وقوله: « يا علي لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوّة. فإن لم تكن نبيّاً فأنــت وصيّ نبي ووارثه. بل أنت سيّد الأوصياء ».

١٠ ــ وقوله: « كنت أنا وعليّ نوراً عن يمين العرش بين يدي الله عزّ وجلّ. يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق آدم. فلم نزل أنا وعليّ شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب. فجزء أنا وجزء عليّ ».

وأحاديث أخرى كثيرة وردت على لسان النبي، يأخذ بها الشــيعة ويعتمــدون عليهــا لإظهار أولوية علي في الخلافة والإمامة. وبعض هذه الأحاديث يشير إلى تفوّق علــيّ علــى محمّد، بإقرار من محمّد نفسه، كالحديث الوارد: « علي بمنزلة رأسي من بدني ».

أمّا الآيات القرآنيّة التي تشير إلى أهميّة عليّ ودوره فهي أيضاً كثيرة:

١ ــ « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » (يس ٣٦ / ١٢).

٢ ــ « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفكم في الأرض كمــا اســتخلف الذين من قبلهم »، وهي في الخلافة (سورة النور ٢٤ / ٥٥).

٣ً ــ « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » (الانفال ٨ / ٧٥). يعني أنّ عليّاً أولى بمحمد من جميع الناس، وكذلك محمّد أولى بعليّ من سواه.

٤ً ــ « قل لا أسألكم عليه أجراً إلاَّ المودة في القربى » (الشورى ٤٢ / ٢٣). أي لا أجر على الذين يحفظون القرآن قدر أجر الذين يودّون أقرباء النبي، وأقربهم وأخصهم علي بن أبي طالب.

٥ً ــ « وأنذر عشيرتك الأقربين » (الشعراء ٢٦ / ٢١٤).

وغيرها من آيات القرآن الواضحة في أولويّة عليّ.

أمّا أكمل الدلائل على إمامة علي وتعيينه بإرادة إلهيّة خلفاً للنبي فهي بيعة « غدير خمّ ». ومناسبة هذه البيعة كانت عندما رجع النبي من مكة إلى المدينة في « حجة الوداع » ختاماً لدعوته السماوية، بلغ مكاناً يقال له « غدير خمّ ». وفيما هو جالس على الغدير وقف ينزّل آية تقول: « يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس » (المائدة ٥ / ٦٧). وأضاف النبي على هذه الآية قوله: « إنّ هذه الآية لاتمام البيعة إلى عليّ ». ثم صعد النبي مكاناً مرتفعاً وخاطب المسلمين:

« ألست أولى بكم من أنفسكم؟

فقالوا: بلى.

ثم كرّر قوله: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

فأجابوه ثانية: بلى.

ثم قال: « من كنت أنا مولاه فعليّ مولاه. اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل من خذله، وَأَدِرِ الحقَّ معه

كيفما دار ».

وكرّر كلامه هذا ثلاثاً. وأمر أصحابه بمبايعة علي. فبادروا إليه وبايعوه.

والعلويون ينظرون إلى بيعة غدير خمّ كأعظم حادثة تاريخيّة.

وبعد أن تمّت هذه البيعة نادى النبي أصحابه وتلا عليهم هذه الآية: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (المائدة ٥ / ٣). ثم تلا عليهم الحديث: « الحمد لله على كمال الدين وتمام النعمة، ورضي الله برسالتي وبولاية عليّ بعدي ».

ثم بارك الحاضرون لعليّ.

ونزلت الآية: « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها » (النحل ١٦ / ٨٣). وفسّر النبي معناها بقوله: « يعرفون نعمة الله يوم الغدير، وينكرونها يوم السقيفة »، المكان الذي اجتمع فيه المسلمون بعد محمد ليختاروا لهم خليفة.

كانت هذه البيعة في السنة العاشرة للهجرة، في الثامن عشر من شهر ذي الحجة. وهو أعظم يوم لدى العلويين.

أمّا مؤهلات علي التي يتّصف بها ليكون خليفة رسول الله فهي، بنظر العلويين، تفوق مؤهلات كل إنسان وُجد على الأرض. لقد كان عليّ أوّل المسلمين إيماناً بالدعوة الجديدة، وأجودهم عطاء وتضحية، وأكثرهم تقوى، وأشدهم قوة وبطشاً. من ذلك أيضاً نسبته إلى الرسول: فهو ابن عمّه، وربيبه، وصهره زوج ابنته فاطمة التي قال فيها: « لو لم يخلق

عليّ ما كان لفاطمة كفؤ ». وعليّ أيضاً هو أعظم من عقد لواءً وحمل رايةً في الإسلام، وجاهد لأجله، وافتدى محمّداً في نومه على فراشه يوم هجرته إلى المدينة، وهو أكثر من قام بقيادة الحملات العسكريّة ضدّ الكفّار والمشركين...

لأجل هذه كلّها يستحقّ عليّ بن أبي طالب وأبناؤه وأحفاده أن يخلفوا النبي. ولا يستحقّ ذلك غيرهم. وبسبب ذلك اختلف المسلمون حتى أصبح الإسلام إسلاميْن: سنّة وشيعة. وتفرّق الإسلامان إلى فرق وأحزاب تنبّأ النبي على كثرتها يوم قال: « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة ». بسبب عليّ افترقت الشيعة أيضاً إلى فِرَقٍ: منها من اعتدل برأيه، ومنها من غالى، ومنها من أنكر، ومنها من توقّف، ومنها من أرجأ الأمر لله، ومنها من خرج عن هؤلاء وأولئك...

ثم زادت الخلافات وتعدّدت واشتدّت حتى أصبح بعضها يقول بأنّ عليّا بن أبي طالب هو الله، والله هو عليّ بن أبي طالب. من هؤلاء فرقة سُمّيت في التاريخ « علويّة » وفي النسبة « نصيريّة » وفي العقيدة « خصيبيّة ».

*****

ثانياً: سلسلة الأئمّة

لكي نستطيع معرفة أصل النصيريّة ونشأتهم لا بدّ من معرفة سلسلة الأئمّة بجميع فروعها وتشعّباتها. بهذا فقط نستطيع أن نميّز بين جميع الفرق المتقاربة أحياناً كثيرة بتعاليمها وعقائدها.

غير أنّنا نذكر ما يهمّنا في هذه السلسلة، أي ما له صلة بموضوعنا عن النصيريّة، وما له علاقة أيضاً بالنصيريّة نفسها. وسبب هذا الاقتصار تشعّبُ الدوحة العلويّة ونموُّها وكثرةُ المنتسبين إليها، بحق وبغير حقّ.

لم تنشأ جميع فرق الشيعة دفعةً واحدة في التاريخ، وبسبب خلاف واحد معيّن. بل بعض الفرق كانت هي نفسها منقسمة على ذاتها ويتوالد بعضها من بعض. ومعظم الفرق تنتسب إلى شخص، وبعضها يتسمّى بأسماء عديدة، بعضها عمل في الظاهر وآخرون عملوا في الخفاء والسرّ.

يلاحظ أيضاً أن الفرق المنتسبة إلى عليّ أكبرها اثنتان: الاسماعيليّة والاثناعشرية. وكلاهما من فاطمة زوج علي. فيما فرق أخرى تنتسب إلى عليّ، ولكن دون فاطمة مثل الحنيفيّة والكيسانيّة.

بيد أن النصيرية، ثمرة الاثنيعشرية، أتت بعد انتهاء دور الإمامة، أي بعد الإمام الثاني عشر. كالدرزيّة التي جاءت في الحكم الفاطمي ونتيجة للإسماعيلية. والفرقتان: النصيرية والدرزية تتقاربان في موقفهما من الله.

أمّا سلسلة الأئمّة فهي هذه:

(١) عليٌّ بن أبي طالب (+٤٠/ ٦٦١)

(٢) الحسن (+٥٠/٦٧٠)

(٣) الحسين (+٦١/٦٨٠)

(٤) عليّ زين العابدين (+٩٤/ ٧١٢)

(٥) محمّد الباقر (+١١٣/٧٣١)

زيد (+١٢٥) الزّيديّة

(٦) جعفر الصّادق (+١٤٨/٧٦٥)

إسمعيل (+١٤٥/٧٦٢)

محمّد

....

المهديّ (+٣٢٢/٩٤٥)

القائم (+٣٣٤/٩٤٥)

المنصور (+٣٤١/٩٥٢)

المعزّ (+٣٦٥/٩٧٥)

العزيز (+٣٨٦/٩٩١)

الحاكم بأمر الله (+٤١١/١٠٢٠)

...

الأئمة المستورون

الخلفاء الفاطميّون

(٧) موسى الكاظم (+١٨٣/٧٢٩)

(٨) عليّ الرّضا (+٢٠٢/٨١٧)

(٩) محمّد الجواد (+٢٢٠/٨٣٥)

(١٠) علي الهادي (+٢٥٤/٨٦٨)

(١١) الحسن العسكريّ (+٢٦٠/٨٧٣)

(١٢) محمد المهديّ (+٢٦٦/٨٧٩)

الأئمّة الإثنا عشر

النّصيريّة

أنت ترى في لائحة الأئمّة إن السلسلة تنتهي عند جعفر الصادق إلى فرعين: الأئمة الاثنيعشرية والأئمّة الإسماعيلية المستورين ثم الخلفاء الفاطميين. وسبب هذا الافتراق هو إن إسمعيل بن جعفر الصادق كان قد عيّنه والده إماماً بعده، ولكنّ إسمعيل مات في حياة أبيه. فلا بدّ والحالة هذه أن ترجع الإمامة إلى الأب حتى ينقلها إلى ابن آخر له.

على هذا اختلف الناس: فمنهم من قال بأن جعفر سلّم الإمامة، بعد موت اسمعيل، إلى محمد ابن اسمعيل، أو هي انتقلت إليه بطريقة عفوية. والقائلون بذلك هم المسمّون بالاسماعيلية أو أيضاً بالسبعيّة. وهؤلاء أيضاً يختلفون فيما إذا كان اسمعيل يحسب إماماً سابعاً أو ابنه محمد هو الإمام السابع. لكنّهم في كلا الحالين يسمّون باسماعيلية أو باطنية أيضاً.

أما الذين قالوا بأن الإمامة رجعت، بموت اسمعيل، إلى جعفر، الذي نقلها إلى ابنه الثاني موسى الكاظم، فهم المسمّون: الاثناعشرية، أو الموسوية، أو أيضاً الإماميّة. وسمّوا بالاثنيعشرية لأنهم يذهبون بالإمامة إلى الإمام الثاني عشر محمّد المهدي الذي « غاب » و « اختفى » سنة ٢٦٦ هـ في سرداب في مدينة سامراء، وأمه تنظر إليه، وتنتظر رجعته. كان لمحمد من العمل حوالي العشر سنين، ولم يكن له بالطبع أولاد حتى تنتقل الإمامة إليهم. فانقطعت به الإمامة، ولذلك سُمّي أتباعه أيضاً بـ« القطعية ».

الإمام الثاني عشر، محمد المهدي المنتظر، هو الملقّب بالحجة وبصاحب الزمان وخاتم الأئمة والأوصياء. سيعود بعد غيبته هذه إلى الأرض ليرد إليها العدل والإنصاف. وغيابه لا يضرّ الإيمان في شيء، لأنه ما يزال موجوداً بين شيعته، يهتمّ بأمورهم، ويرسل إليهم النذر.

غير أن قسماً من المنتظرين عودة الإمام الغائب ملّوا الانتظار، وعظم عليهم أن يبقوا بدون إمام مرجع حيّ يرجعون إليه في صعوبات الحياة ومحن الإيمان. إن الله، برأي هؤلاء، لن يترك عبيده « همْلاً » بدون حجة في الدين، أو بدون دليل على الله، أو قدوة ملموسة يتشبّهون بها، أو مثال حيّ يسعون إليه... لذلك قالوا بأن « من الأمور الطبيعيّة أن لا يبقى العلويون (النصيريّون) بدون مرجع يقتدون به، إذ مهما تعالى البشر وتمسّكوا بالمعنويات لا غنى لهم عن الأخذ بالماديات »(١).

هذا الموقف أوجب على فريق من الشيعة الاثنيعشرية الاستعاضة عن الأئمّة بوكلاء الأئمّة، المسمّين « أبواباً ».

أمّا أقوال النصيريين في الأئمّة فبمستوى التأليه. خلقوا قبل الخلق أجمعين، يعلمون أسرار الكون وما بعد الكون، معصومون من كل خطأ، موجودون إلى الأبد. بهم يكون القضاء، وإليهم المرجع في معرفة الله.

قال الصادق في خلقهم: « إن الله عزّ وجلّ خلقنا قبل الخلق، وقبل آدم بألف عام، وكنّا أرواح حول العرش نسبّح الله، ويسبّح الكل السماءَ بتسبيحنا، فهبطنا إلى الأرض والأبدان، فسبّحناه عزّ وجلّ، وسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، وفي لساننا نطق كل إنسان. وذلك قوله تعالى: « وإنّا لنحن الصّافون. وإنّا لنحن المسبّحون »(٢).

والإمام « لا يحجبُ اللهُ عنه شيئاً، لا أرضاً ولا سماءً، ولا جبلاً

(١) محمّد الطويل، تاريخ العلويين، ص ٢٠٠.
(٢) سورة الصافات ٣٧ / ١٦٥ ـ ١٦٦، كتاب الهفت والاظلّة، ص ٧٧.

ولا بَرّاً، ولا بحراً، حيث ما كان يراه، ولا يجهل أمرَ الله عزّ وجلّ. وذلك أن الجهل منقصة، وليس في الإمام منقصة، والجهل ضلالة، وليس عند الإمام ضلالة، وإنما عنده الهداية جميعها... »[٣].

وورد على لسان الإمام محمّد الباقر قوله: « نحن الأئمّة، أولياء الله، لا يفتر علينا من علمه شيء، لا في الأرض ولا في السماء. نحن يد الله وجنبه، ونحن وجه الله وعينه، وأين ما ينظر المؤمن يرانا. إن شئنا شاء الله، ولا تلقه إلاَّ إلى أهله. والحمد لله الذي اصطفانا من طينة نور قدرته، ووهبنا سرّ علم مشيئته، وأمرنا بأن نعرف شيعتنا حق معرفة أمانته، ونخلّص نفوسهم من كدر العذاب بولايته، ونختم لهم في إيمان الهداية بالنداء إلى دار السلام وخيراته في جوار الرحيم الرحمان وجنّاته، ونغمس أرواحهم في عين الهنية الزكية الراضية المرضية برحمته »[٤].

وقال الصادق الإمام السادس: « نحن منار الله في بلاده وأرضه، ثم أمناؤه على خليفته »[٥] وأضاف أيضاً « ما عرّف الله أحداً غاية فضلنا إلاّ مقدار شعرة بيضاء في ثور أسود. وما مقدار فضلنا وعلمنا في علم الله وفضله إلاّ بمقدار ما حمل الطائر بمنقاره من البحر... »[٦].

وفي معركة كربلاء يوم اصطفت الخيول والعساكر لتحارب الحسين، « دعا مولانا الحسين جبريل وقال له: يا أخي، مَن أنا؟ قال: أنت الله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم والمميت والمحيي. أنت الذي تأمر السماء فتطيعك والأرض فتنتهي لأمرك والجبال فتجيبك والبحار فتسارع إلى طاعتك. وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضرر ضار »[٧].

---

(٣) كتاب الهفت، ص ٥٥.
(٤) نفس المرجع، ص ١٩٤.
(٥) نفس المرجع ص ١٧٤.
(٦) نفس المرجع ص ١٧٤.
(٧) ص ١٠٠.

ثالثاً: نظريّة « الباب »

تأتي ضرورة « الباب » في الدين من حاجة الناس الملحّة إليه بعد غياب الأئمّة، ومن تعاليم النبي وأقواله حيث قال عن نسبة عليّ إليه كنسبة الباب إلى المدينة: « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ». وعلّم أيضاً بأنّ « من طلب العلم فعليه بالباب ». وفي القرآن أيضاً إن من ابتغى مغفرةً عليه بالباب ليكسب الجنّة ويتنعّم بخيراتها: « ادخلوا الباب سجّداً تُغفر لكم خطاياكم »[١]، و « ادخلوا عليهم الباب. فإذا دخلتموه فإنكم غالبون »[٢]. والباب أيضاً، بحسب منطوق الآية، هو الذي يذكّر بآيات الله. وإذا ما نسي الناس حظّهم فما عليهم إلاّ بالباب: « فلمّا نسوا ما ذُكّروا به، فتحنا عليهم أبوابَ كل شيء »[٣].

فالباب إذن هو المدخل إلى الدين؛ والمدخل الحقيقي إلى الدين هو الإمام، أو من قام مقام الإمام. والباب هو وكيل الإمام، ووصيّة، ووريثه. بهذا يلعب نفسَ دور الإمام. فهو مثله يتمتّع بالعصمة، وبالعلم الإلهي، وبحقّ تأويل آيات الكتاب، وبالتمييز بين الظاهر والباطن.

ولشدّة الحاجة إليه، كان لكل إمام « باب ». وإليك أسماءهم معاً:

---

(١) البقرة ٢ / ٥٨، انظر الأعراف ٧ / ١٦١.
(٢) المائدة ٥ / ٢٣.
(٣) الأنعام ٦ / ٤٤.

١) الإمام علي بن أبي طالب بابه سلمان الفارسي.
٢) الإمام الحسن المجتبى بابه قيس بن ورقة المعروف بالسفينة.
٣) الإمام الحسين الشهيد بابه رشيد الهجري.
٤) الإمام علي زين العابدين بابه عبد الله الغالب الكابلي، كنكر.
٥) الإمام محمّد الباقر بابه يحيى بن معمّر بن أم الطويل الشمالي.
٦) الإمام جعفر الصادق بابه جابر بن يزيد الجعفي.
٧) الإمام موسى الكاظم بابه محمد بن أبي زينب الكاهلي.
٨) الإمام عليّ الرضا بابه المفضّل بن عمر الجعفي.
٩) الإمام محمد الجواد بابه محمد بن مفضّل بن عمر.
١٠) الإمام علي الهادي بابه عمر بن الفرات المعروف بالكاتب.
١١) الإمام الحسن العسكري بابه أبو شُعَيب محمد بن نُصَير النُمَيري(٤).

يهمّنا من الأبواب ثلاثة: سلمان الفارسي، الباب الأساسي، منه سائر الأبواب، وإليه مرجعها، وهو يدخل في نطاق الثالوث الإلهي: علي ومحمد وسلمان؛ والمفضل بن عمر الجعفي تلميذ الإمام جعفر الصادق وقد نَقل عنه أقواله وأخباره ووضع كتاب « الهفت والاظلّة » الذي نعتمد عليه كمصدر أساسي في البحث؛ وأبو شعيب بن نُصير النميري باب الإمام الحادي عشر، الذي أناب في الدين بعد غياب الإمام الثاني عشر.

من الملاحظ أيضاً أنه لم يكن للإمام الثاني عشر محمّد المهدي بابٌ يكون له وكيلاً في غيابه، كما لم يكن له ولد ينقل إليه الإمامة، لذلك اعتبرت فئة من الناس، وهم المسمّون بالنصيريين، أن أبا شعيب محمّد

(٤) كتاب تعليم الديانة النصيرية، مخطوط باريس رقم ٦١٨٢ ص ١٠ ب.

ابن نصير البصري النميري، باب الحسن العسكري، هو وريث الإمام الثاني عشـــر، وهـــو حجته والبرهان عليه، ووكيله والدليل إليه.

والباب، بنظر هؤلاء الناس، هو من جملة التشكيلات الدينيّة الأساسيّة. ولـــه مهمّـــة كمهمّة الإمام في تدبير شؤون الناس. بواسطة الباب يدخل المؤمنون إلى الإيمان، وبه ينـــال الطالبون الدين.

قال الصادق في الباب وأهميّته: « درجة الباب أن يدري الإمام حيث يشاء؛ لا يُحجَبْ عنه شيءٌ، لا جبل شاهق، ولا طَود متين، ولا بحر عميق، ولا حائط محيط، إلاّ يكون نصب عينيه حيث شاء وأراد »(٥).

(٥) كتاب الهفت والاظلة، ص ٥٥.

رابعاً: محمد بن نصير النميري

عُرف بـ« أبي شعيب محمّد بن نصير البصري البكري النميري العبدي. رغم نسبته العربيّة اختُلِف في أصله. فهو قد يكون من مواليد البصرة، على ما نرى في نسبته إليها، وإلى بعض قبائلها العربيّة، وقد يكون أيضاً من الكوفة في العراق، على حدّ قول ابن العبري، في تاريخه السرياني، ثم يعود ابن العبري، في التاريخ العربي، ليعتبره من خوزستان من بلاد فارس، علماً بأن ابن العبري ينسب إلى ابن نصير كلّما يعود إلى الخصيبي، كما يخلط بين القرامطة والنصيريين. وقد يكون أيضاً، على حسب شهادة الشهرستاني[١]، من بلاد فارس، وذلك لاعتباره له من غلاة الشيعة الذين ألّهوا عليّاً وخلفاءَه، ولقوله بالتناسخ والحلوليّة والثنائيّة، وكره الخلفاء الثلاثة الأول، وتمجيد الشخصيات التي لها علاقة بفارس مثل أزدشير وسابور اللذين يعتبران تجسيداً للألوهة[٢]، والأخذ ببعض الأعياد الفارسية، كالنوروز والمهرجان، والاعتماد على المتحمّسين من أهل فارس، « لأنّ أهل العجم يعتقدون بألوهيّة علي بن أبي طالب »[٣]. أمّا نسبته « البكري » فتعود إلى كونه حصلّها فيما بعد، فيكون بالتالي من الموالي لبعض القبائل العربيّة.

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٨٨ ـ ١٨٩، ١٧٣ ـ ١٧٥.
(٢) سليمان الأدني، الباكورة السليمانية، ص ١٧.
(٣) نفس المرجع، ص ٨١ ـ ٨٢.

سكن ابن نصير في سامرّاء، وكان باباً للإمام الحادي عشر الحسن العسكري. اشتهر بمرتبته « البابيّة » في الدين. بعد اختفاء الإمام الثاني عشر، وقع عبء الدعوة على أكتافه، فعمد إلى تنظيمها وتولية أمرها، وهو ينعي فيها غياب الأئمّة إلى الأبد. إلاّ أنّ تطرّفه في حبّ آل البيت عوّض عن هذا الغياب الفاجع، فغلا في تقديس الأئمّة، وأوشك تأليه الإمام الأوّل منهم.

لم يكن لابن نصير تعاليم مدروجة في كتب، سوى ما نعرفه من بعض المصادر الإسلاميّة المعادية. يقول فيه النويختي: « محمّد بن نصير النميري، وكان يدّعي أنّه نبي، بعثه ابو الحسن العسكري. وكان يقول بالتناسخ والغلوّ في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبيّة، ويقول بالاباحة للمحارم، ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، وأنه أحد الشهوات والطيّبات، وأن الله عزّ وجلّ لم يحرّم شيئاً من ذلك... »[٤].

وفي كتاب « المناظرة »، من كتب النصيرية، كلام عن ابن نصير وتعاليمه ونسبته إلى الحسن العسكري. قال فيه: « إن محمّد بن نصير هو باب الله، الذي لا يتّخذ بعده باب غيره. وكان هو الباب إلى غيبة سيّدنا أبي محمّد (الحسن العسكري). وغاب الباب. وتمّ الاسم شخصين: الحسن العسكري ومحمّد بن نصير. والمعنى (علي بن أبي طالب) جلّ وعلا ظاهر بالذات كمثل صورة علي العسكري منه السلام.

« وطلبته القرون وقصدته فراعنة الأرض وأظهر الغيبة يوم الاثنين

(٤) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٧٨.

بخمس ليالي بقيت من جمادى الآخر سنة أربعة وخمسين ومائتين من أوّل سنين الهجرة. مدّة هذا المقام أربعين سنة، منها مع المولى محمّد ستة سنين وخمس أشهر، وبعد غيبة محمد ثلاثة وثلاثين سنة وسبعة أشهر... ولم يظهر في هذه الغيبة قتل ولا سمّ بل غيّب الاسم. وهو الحسن العسكري، وظهر كمثل صورته... وأظهر الاسم وهو مولانا المهدي صاحب الزمان محمّد بن الحسن... طلوع الفجر يوم الجمعة لثماني ليالي خلون من شعبان سنة سبعة وخمسين ومائتين من أول سنين الهجرة. فلم يزل الاسم شخصين: مولانا المهدي صاحب الزمان محمّد ابن الحسن، والسيّد محمد بن نصير علينا سلامه »[٥].

*****

إلى ابن نصير هذا تنسب النصيرية. ولا علاقة لهذه التسمية بـ« النصارى »، حسبما يقول Wolff[٦] الذي يعتبر اسم « نصيريّة » من صنع أعدائهم وهو يعني « النصارى الصغار »، وكما يقول Renan[٧] بأنّ اسمهم هو « تصغير للفظة نصارى ». ولا علاقة أيضاً للنصيرية بـ« نصير مولى علي بن أبي طالب » الذي تولّى عليّ تحريره حسبما يقول أبو الفداء[٨]. ولا يعني أيضاً « فلاح » على ما يقوله Ritter و M. Hartmann[٩].

(٥) المناظرة، مخطوط باريس رقم ١٤٥٠، ص ١١٩ ب - ١٢٠ أ.
(٦) Wolff, Catéchisme des Nosairis, Z.D.M.G. III.
(٧) Renan, Mission de Phénicie, p. 114.
(٨) Chronique Arabe, Ed. Beyrouth, p. 232.
(٩) Ritter, Erdkunde, XVII, 979, 993; cité par R. Dussaud dans son "Hist. et Religion des Nosairis", p. 9.

ونسبة النصيريين إلى ابن نصير واضحة في « كتاب المجمــوع »[١٠]، حيــث هــذا القول: « ومن محمد بن نصير أقام النسب والدين »[١١]، وأيضاً في قوله: « أنّــي نُصَــيرِيّ الدين، جُندُبِيّ الرأي، جُنْبُلانيّ الطريقة، خُصَيْبِي المذهب، جَلِّي المقال، مَيمُونيّ الفقــه »[١٢]. وفي السؤال ٩٩ من كتاب تعليم الديانة النصيرية يفتخر النصيريون بانتسابهم إلى الخصــيبي مؤسّس العقيدة، ويسمّون « بالخصيبيّة »[١٣]، ويطلقون على أنفسهم اسم: « الطائفة أصــحاب الخصيبيّة »[١٤]. وهذا دليل على ما لهذا الرجل من دور هام في تاريخهم وعقيدتهم[١٥].

إلاّ أنّ النصيريين يؤثرون اسم « العلويين » على سواه افتخاراً بنسبتهم إلى عليّ بــن أبي طالب، كما أنّهم ينتسبون بفخر واعزاز، في عقيدتهم، إلى الخصــيبي، بــاني شــؤونهم، ومنظّر تعاليمهم.

*****

خَلفَ ابنَ نُصير في رتبته البابيّة محمّدٌ بن جُندب الذي لم يعرف عنه الشيء الكثيــر، ثم محمّد الجَنان الجُنْبُلاني « العابد الزاهد الذي هو من بلد فارس »[١٦]. هذا كان عالماً ورعاً عازباً عن أمور الدنيا. وقد كنّي بالزاهد لكثرة تقشّفاته. أقام في إيران في بلدة جنبلا الفارسية، وعرف بنسبته إليها: الجنبلاني أو أيضاً الفارسي.

---

(١٠) كتاب المجموعة، فيه عقيدة النصيرية ودستورهم، مؤلّف من ست عشرة سورة، من وضع الخصيبي. تراه في آخر هذا البحث.
(١١) كتاب المجموع، السورة الرابعة واسمها النسبة.
(١٢) السورة الحادية عشرة واسمها الشهادة.
(١٣) كتاب تعليم الديانة النصيرية، مخطوط باريس رقم ٦١٨٢.

أنشأ الجنبلاني طريقة خاصّة بالتصوّف، سُمّيت بالطريقة الجنبلانية، ووضع للنصيريين فقهاً خاصّاً بهم، يختلف عن الفقه الجعفري الذي يأخذ به الشيعة والمذاهب الفقهية السنّيّة الأربعة.

سافر الجنبلاني إلى مصر، وهناك اختار له رجلاً مساعداً يُسمّى: الخُصَيبي، وأدخله طريقته، واستصحبه معه عائداً وإيّاه إلى جنبلا، حيث توفّي الجنان سنة ٢٨٧ هجرية.

ظهر في أيّام الجنبلاني المتصوّف المشهور أبو القاسم جُنيد بن محمّد القواريري المعروف بالبغدادي، نسبة إلى مكان مولده بغداد. هذا اشتهر أيضاً بالزهد والتقوى. تدرّب على الصوفيّة في بلاد فارس في نهاوند، وتلقّى علومه على الطريقة الشافعية، ثم على الطريقة الجنبلانيّة. توفّي سنة ٢٩٧ هـ، ودفن في بغداد بجانب خاله الصوفيّ الذائع الصيت « السرّ السقطي » المتوفّي سنة ٢٥٣ هـ.

*****

(١٤) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤال: ١٠٠.
(١٥) H. Lammens, Etudes, 1899, p. 462-463.
(١٦) السورة الرابعة واسمها النسبة من كتاب المجموع.

خامساً: الحسين بن حمدان الخصيبي

بعد وفاة الجنبلاني استلم رئاسة الدعوة السيّد الحسين بن حمدان المصري الخُصـــيبي الذي استقدَمَه من مصر إلى جنبلا. وبعد جنبلا انتقل الخصيبي إلى بغداد حيث كانت أعظـــم أعماله الدينية. ثمّ ساح في معظم البلاد الإسلامية: في خراسان والديلم وحلب حيث توطّن عند سيف الدولة أمير بني حمدان، يدير شؤون النصيريين.

يُعتبر الخصيبي المؤسّس الثاني للنصيرية. وهو الذي انتقل بها من بلاد العراق إلـــى بلاد الشام وحلب حيث استقلّت عن الدين الإسلامي استقلالاً تامّاً، بعدما كانت في بغداد تحفظ بعضَ الاعتدال. وربّما سُمّيت النصيرية منذ ذلك الحين بالخصيبيّة، لما للخصيبي من يد طولى في ترسيخ قواعدها ونشرها في الأقطار الإسلاميّة.

جاء في كتاب تعليم الديانة النصيرية هذا السؤال: « من هو شيخنا الذي شـــرّع لنـــا الأديان في سائر البلدان؟ الجواب: هو سيّدنا أبو عبد الله الحسين بن حمدان عليه وعلى تلاميذه من الله أفضل الصلاة والسلام ». وفي سؤال آخر: « لماذا نُدعى الطائفة الخصيبيّة؟ الجواب: لأنّنا تابعين تعليم شيخنا ابن عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدّس الله سرّه »(١). وجـــاء في الباكورة إن النصيرية تدعى بـــ« ديانة الخصيبي »(٢).

---

(١) مخطوط رقم ٦١٨٢ سؤال ٩٩ و١٠٠.

يبدو أنّ دعوة الخصيبي لم تلقَ نجاحاً في بلاد الشام. فهو، في إحدى قصائده يذمّ الشام لعدم استجابة أهليها دعواه. يقول شعراً:

سأمت المقـــام بأرض شام   عليهم لعـــائن ربّ الأنـــام.

بعد الشام رجع إلى بغداد، وبدأ ينشر فيها تعاليمه بين الناس، فسمع به الوالي، فقبض عليه، وألقاه في السجن. ولمّا لاحت له فرصة الهرب فرّ ليلاً. واشتهر بين أتباعه أن الســيّد المسيح خلّصه ليلاً، وأنّه محمّد، وأبناء بنت محمّد الأحد عشر، كما قال في ديوانه:

قـــال لي في المنـــام أبٌ شفيقٌ   أنتَ يا ابنَ الخصيبِ حرّ عتــيقُ.

أنت بالحجـــب آل أحمـــد مـــا   عشتَ طليقـــاً بحبّهـــم مـــرزوق.

أمّا قصّة هربه من السجن وتخليص المسيح لـــه فهي كمـــا يقصّها علينا ابن العبري: « كان للسجّان جارية أخذتها الشفقة عليه، وسكر السّجان يوماً واستغرق في النـــوم، ففتحـــتِ السجنَ، وردّتِ المفاتيحَ إلى مكانها. استيقظ السجّان ورأى أن الشيخَ هربَ، ولا يوجد علامـــة على أن السجن فتح. فزعم أن مَلَكَاً أطلقه، وأذاع هذا الخبر لينجو من غضـــب الـــوالي »[٣]. سمع الشيخ بهذه الإذاعة الأعجوبة فازداد عزماً في نشر تعاليمه.

قال سليمان الاذني عن الخصيبي إن « هذا عندهم أعظم من كل مَن كان بعده. هـــو الذي أكمل صلواتهم، وأذاع تعليمه في البلدان »[٤]. ونفخ في أنصاره الروح والنشاط، ورتّب أنظمتهم، ودبّر أمورهم. وهم يذكرونه في صلواتهم، ويبجّلونه بقولهم: « شيخنا وسيّدنا وتـــاج رؤوسنا وقدوة ديننا

---

(٢) الباكورة السليمانية، ص ٩٠.
(٣) ابن العبري، مختصر الدول، بيروت ص ٢٥٠ حيث يخلط المؤرّخ بين النصيرية والقرامطة.
(٤) الباكورة السليمانية، ص ١٦ تفسير على السورة الرابعة.

وقرّة أعيننا السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي، قدّس العلي روحــه، لأن مقامــه الصفا ومحلّة محل الصدق والوفا. باسم الله وبالله وسرّ السيّد أبي عبد الله، العارف معرفة الله، سرّ تذكاره الصالح سرّه أسعده الله »[٥]. وأيضاً: « لا رأي إلاّ رأي شيخنا وسيّدنا الحسين بن حمدان الخصيبي الذي شرّع الأديان في سائر البلدان »[٦].

كان للخصيبي وكلاء في كل مكان. وكان يكاتب الأمراء والملوك من بني بويه وبني حمدان والديلم... وضع كتباً عديدة في المذهب تعتبر مرجعاً في العقيــدة. أهمّهــا « كتــاب المجموع » في ست عشرة سورة، ويسمّى أيضاً بكتاب الدستور، و « كتاب راست باش » أي « كن مستقيماً »، أهداه إلى تلميذه عضد الدولة الديلمي، وكتاب « الهداية الكبرى »، أهداه إلى سيف الدولة الحمداني أمير حلب... وغيرها[٧].

ترك الخصيبي بغداد بعد أن أسس فيها مركزاً للديانة برئاسة الشيخ علي بن الجسري. وبعد انتقاله إلى حلب واستقراره فيها أسّس مركز حلب وسلّمه إلى محمّد بن علــي الجلّــي. توفّي الخصيبي سنة ٣٤٦ هــ في حلب، وله قبر في شماليها معروف باسم « مــزار الشــيخ يابراق »، تحجّ إليه الناس من كل حدب وصوب.

---

(٥) السورة الأولى واسمها الأول من كتاب المجموع.
(٦) الباكورة السليمانية، ص ١٦.
(٧) انظر، في هذا البحث، كتب النصيريين.

سادساً: الميمون الطبراني

عندما اندثر مركز حلب انتقلت الدعوة النصيرية الخصيبية إلى اللاذقية. ورأسها يومذاك رجل عُرِف بالفقر والتقوى والعلم الواسع، وهو السيّد أبو سعيد الميمون سرور بن القاسم الطبراني، الذي أصبح أعظم مرجع للنصيريين الخصيبيين.

ولد الطبراني سنة ٣٥٨ هـ في طبرية، وانتسب إليها. حفظ القرآن منذ صغر سنّه. سافر إلى حلب سنة ٣٧٦ هـ. وفيها ألّف كتباً كثيرة في المذهب. ثم سافر إلى اللاذقية وسكن فيها. وأصبح، لعدة سنوات، رئيسا للنصيرية بعد انتقالها من حلب[١].

كان السيّد الطبراني أكبر وأغزر مؤلّف عند النصيريين. ركّز العقيدة، وسنّ القوانين، ورتّب الأعياد، ودار شؤون الدين. وضع، أحسن ما وضع كتاب « مجموع الأعياد »، و « كتاب الحاوي »، و « كتاب الدلائل في معرفة المسائل »، و « رسالة التوحيد »... وغيرها[٢].

توفّي الطبراني سنة ٤٢٦ هـ في اللاذقية، وله فيها قبر معروف باسم « مزار أبي علي الشيخ محمّد الطبراني ». يزوره السنّيون والنصيريون سواء.

---

(١) يقول كتاب الباكورة في خلافة الطبراني للخصيبي: « ثم قام بعد الحسين بن حمدان رجل آخر اسمه ميمون بن قاسم الطبراني »، ص ١٧ ـ ١٨.
(٢) انظر، في هذا البحث، كتب النصيريين.

لم يبق للعلويين النصيريين، بعد الطبراني، سلطة مركزيّة في أيّ مكان. لقد اضطهدوا في جميع مراكزهم، وتشتّتوا في البلاد، واستقلّ كل شيخ في قريته يدير شؤون دينه. فتشعّبت الديانة بتشعّب العشائر والقبائل، وبسبب الاضطهادات الكثيرة التي ضربتهم من كل ناحية.

*****

نشأت النصيرية سياسياً من مطالبتها بحقّ مغتصب، هو حقّ علي بن أبي طالب بالإمامة والخلافة. ونشأت دينياً من ردّة فعل عنيفة تجاه بضع عقائد ينكرها عليها أهل السنّة. وازداد الخلاف بين الفريقين وتوسّع وتعمّقت جذوره، حتى راح النصيريون يعملون من أجل الحفاظ على عقيدتهم سرّاً. وزاد العمل بالسرّ شدّة الخلافات. وشدّة الخلافات أدّت بهم إلى « اختراع نظريّة فريدة حيث النفاق يسمو فيها إلى مرتبة المبدأ »[٣]. فأصبحت المطالبة بحقّ الإمامة المغتصبة مطالبة بحقّ عليّ بالألوهة، وأصبحت المعتقدات الإسلامية في ظاهرها ديناً لعامّة الناس؛ أمّا حقيقة الدين فهي للنصيريين.

إن العمل في السرّ وبالسرّ وبدافع الاضطهاد والقهر المرير كان أجدى الأعمال في نشر عقيدة دينيّة مناوئة لعقائد العامّة من الناس. والعمل سرّاً تحت طيّ الكتمان و « التقيّة » وبدافع الخوف من الإبادة العامّة استحثّ ابطالاً عِناداً في سبيل عقيدة ودّوا ايصالها إلى الخاصّة المستنيرة.

---

(٣) H. Lammens, Etudes, 1899, p. 476.

الفصل الثاني

عقيدة النصيريين في الله

أوّلاً : الثالوث الإلهي عند النصيريين

ثانياً : مبادئ التجلّي الإلهي

ثالثاً : التجلّيات الإلهيّة

رابعاً : ألوهيّة عليّ بن أبي طالب

[Blank Page]

أوّلاً: الثالوث الإلهي عند النصيريين

يتكوّن الثالوث الإلهي النصيري من ثلاثة أشخاص، هـم: علـي ومحمّـد وسـلمان الفارسي، أي: ع م س. وتجمع: عَمْس، الثلاثة يؤلّفون الذات الإلهيّة؛ علي هو المعنى، ومحمّد هو الاسم، وسلمان هو الباب. والكل غير متّصل بعضه ببعض اتّصالاً حقيقياً، ولا منفصـلاً عنه. وحقيقة ذلك كما تصوّره السورة الخامسة بقولها:

« أشهد بأنّ مولاي أمير النحل عليّ اخترع السيّد محمّد من نور ذاته، وسمّاه اسـمه ونفسه وعرشه وكرسيّه وصفاته، متّصل به ولا منفصل عنه، ولا متّصل به بحقيقة الاتّصال، ولا منفصلاً عنه في مباعدة الانفصال. متّصل به بالنور، منفصل عنه بمشاهدة الظهور. فهو منه كحس النفس من النفس، أو كشعاع الشمس من القرص... وأشهد بأن السيّد محمّد خلـق السيّد سلمان من نور نوره، وجعله بابَه وحامل كتابه. فهو سلسل وسلسبيل، وهو بالحقيقة ربّ العالمين... »[١].

ويشبّه سليمان الاذني الثالوث النصيري بالثالوث المسيحي: « فعلي عندهم هو الآب، ومحمّد الابن، وسلمان الفارسي هو الروح القدس »[٢]. إن وظيفة كل شخص فـي الثـالوث واضحة: فعلي هو المعنى الإلهي، أو هو

(١) السورة الخامسة: سورة الفتح من كتاب المجموع، ص ١٩.
(٢) كتاب الباكورة، تفسير الاذني على سورة الفتح، ص ٢٠.

المعنويّة، أي إنّ عليّا بن أبي طالب هو ذات الله، وهو الله في ذاته. منه يأخذ الوجود معنـــاه، وهو يضفي على الكون الوجود من معناه.

أمّا محمّد فهو « الاسم الإلهي، أي إنه هو الذي أظهر المعنى إلى الوجود، كما يظهر نور الشمس قرصها، وكما يظهر البرق علامته في السماء[٣]. وهو « الحجاب » و« المكان » و « المقام » حيث يظهر المعنى ويغيب في آن معاً: « الله هو الباري القديم الأزل الذي كوّن المكان فجعله اسمه وحجابه »[٤] ؛ قال الصادق: « الحجاب (هو) الاسم بلا معنى. أتعبـــدون الاسم بلا معنى؟ »[٥].

أمّا سلمان الفارسي فهـــو « البـــاب » الإلهي، أي المدخـــل إلى « المعنى » بواسطة « الاسم ». « سلمان فهو الباب الناطق، والشيخ اللاصق، الذي لا يصل إليه (إلى الله) إلاّ به، ولا يدخل إليه إلاّ منه، متّصل غير منفصل »[٦]. وفي السورة الخامسة: « أشـــهد أن الســـيد محمّد خلق السيد سلمان من نور نوره وجعله بابه وحامل كتابه. فهو سلسل وسلسبيل، وهـــو جابر وجبرائيل، وهو الهدى واليقين، وهو بالحقيقة ربّ العالمين »[٧].

الثلاثة إذن يؤلّفون الثالوث الإلهي عند النصيريّة: عليّ (ع)، ومحمّـــد (م)، وســـلمان (س). وتقرأ: ع م س. أو عمس. وفي كتب النصيرية كلام كثير في « عمس » في وحدانيّته. ففي كتاب « المناظرة » مثلاً

---

(٣) انظر السورة الخامسة واسمها الفتح من كتاب المجموع.
(٤) المخطوط رقم ٥١٨٨ من المكتبة الوطنية بباريس، ص ١١٠.
(٥) كتاب الهفت والاظلّة، ص ١٥٢.
(٦) المخطوط رقم ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية بباريس، ص ٥٥.
(٧) السورة الخامسة واسمها الفتح من كتاب المجموع.

« إن الـــذي رأيناه بالصورة المرئيّة هـــو الميم، والميم وعلي وسلمان شيء واحـــــد ونـــور واحد »[٨]. وبتعبير آخر إن الله جعل « لكل صفة اسم يعرف به، ولكل اسم مكان يقصد فيه، ولكل مكان باب يدخل منه إليه »[٩]. والجميع يظهرون من بعضهم بعضاً: « إن المعنى ظهر بحجابه، وظهر حجابه ببابه. وهو تعالى لا يحول ولا يزول »[١٠]. وعن وحدة علي ومحمّــد وانبثاق الواحد عن الآخر يقول كتاب « المناظرة »: « والاسم والمعنى ليس بينهما فرق، ولا فاصلة، كنور الشمس من القرص »[١١].

ليس من فرق أو فصل أو خلاف بين الأشخاص الإلهيّة: « إن الله اسم المعنى، وهـــو الاسم الذي ظهر للعالم ليعرفوا به المعنى وينادى به ويوجدونه. المعنى لا ينفصل عن اسمه، واسمه لا ينفصل عن معناه »[١٢] مع أن التفريق بين المعنى والاسم حكمة إلهيّة بالغة، إذ « إن البارى لمّا علم من الخلق قبل إظهارهم من العدم إلى الوجود أنّ لا بدّ من اسم يـــدعون بـــه، وأبدى لهم الاسم ليحجبهم به عن عيان نور اللاهوت لئلا يحرقهم النور... »[١٣].

غير أنّ الإيمان بهم جميعاً بقدر واحد وبمستوى بعضهم بعضاً شيء واجب. فـــالكفر والشرك والجهل والإلحاد أن تجعل بينهم فرقاً. ولن يكون المؤمن نصيرياً طيّباً إنْ لم يعـــرف العلاقة الحقّة التي تربط بينهم:

---

(٨) المناظرة، ص ١٣٩ ب.
(٩) مخطوط ١٤٥٠، ص ٩٧.
(١٠) رسالة التوحيد، ص ٤٧ أ.
(١١) المناظرة، ص ٨٤ ب.
(١٢) رسالة التوحيد، ص ٤٣ ب.
(١٣) المناظرة، ص ١٢٩ ب.

« من فرّق بين الاسم والمعنى فقد كفر »[١٤]، و « من عبد الاسم بالحقيقة فقد عبد المعنى »[١٥]، و « من عبد الاسم من دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بحقيقة الاسم فقد وحّد »[١٦]، و « من عرف المعنى من جهة الاسم فقد جهل أكثر ممّا علم، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن قال إنه لا يرى فقد مال إلى العدم، ومن قال إنه من خلقه فقد أخرجه إلى مكان، ومن قال إنه خارج عنهم فقد نفى وجوده، ومن عرفه بدليله وأشار إليه من حيث ظهرت علاماته وآمن بما شاهد من معجزاته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين »[١٧].

فالمعنى والاسم والباب ثلاثة أقانيم في إله واحد. الاّ إنّ فرقاً بين الثلاثة من حيث المصدر ومن حيث الفعل. المعنى هو النور الذي « اخترع محمّد من نور ذاته، وسمّاه اسمه ونفسه وعرشه وكرسيّه... إنْ شاء عليّ بالظهور أظهره وإن شاء بالمغيب غيّبه... ومحمد خلق السيد سلمان من نور نوره وجعله بابه وحامل كتابه... والسيد سلمان خلق الخمسة الأيتام الكرام... »[١٨]. الثلاثة إذن يتمتّعون بالألوهة، ولكن كلّ على حسب ما يناط به من أدوار. والمؤمن يقوم بعبادتهم بحسب رتبهم، لئِلا يخشى عليه من الشرك أو من الجهل.

---

(١٤) رسالة التوحيد، ص ٤٦ أ.
(١٥) رسالة ابن هارون الصائغ، ص ١٧٧ ب.
(١٦) مسائل ابن هارون الصائغ، ص ٥٠ ب.
(١٧) كتاب الأصيفر، ص ٧ أ ب.
(١٨) السورة الخامسة واسمها الفتح من كتاب المجموع.

لا يستطيع نصيرى أن يحلف باسم عمس ويكون كاذباً. ولا يمين تصحّ بدون عمس. وكل حلفان معظّم يستشهد بعمس. جاء في الباكورة السليمانيّة: « أمّا اليمين الثابتة عند النصيريّة كافّة فهي أن تضع يدك في يده وتقول: أحلّفك بأمانتك عقد عليّ أمير المؤمنين، وبعقد ع م س. فلا يمكنه بعد هذا اليمين أن يكذب. وأيضاً، بلّ اصبعَكَ بريقِكَ واجعلها في عنقه، وتقول: تبرّئتُ من خطاياي وأوضعتُها في عنقك وأحلّفك أيضاً بأساس دينك بسر عقد ع م س أن تخبرني عن صحة أمر كذا. فلا يمكنه الكذب بعد هذا »(١٢).

كل حياة النصيريين، وتصرّفاتهم، ويمينهم، وعلاقاتهم بعضهم ببعض، مشمولة بنعمة عمس، ومرتهنة بالإيمان بعمس.

عادة ما يصوّر النصيريون ثالوثهم الإلهي كما يلي:
دائرة في وسطها اسم علي، وعلى الأطرف اسم محمّد وسلمان.
كيفما درتها تقرأ اسم علي ومحمد وسلمان أربع مرّات وفي الاتجاهات الأربعة.



(١٢) الباكورة لسليمان الأذني، ص ٨٣.

ثانياً: مبادئ التجلّي الإلهي

ليس بمقدور الإنسان أن يعرف عن الله شيئاً إنْ لم يوفّر الله الطريقة الصالحة لهذه المعرفة. وكانت الطريقة إلى ذلك تجلّي الله في البشر، أو ظهوره فيما بينهم، على شكلهم وصورتهم، حيث هم، ومن حيث هم. وقد نقل الشهرستاني عن النصيريين مبدأهم في التجلي بقوله: « قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل. أمّا في جانب الخير فكظهور جبريل ببعض الأشخاص... وأمّا في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشرّ بصورته، وظهور الجنّ بصورة بشر حتى يتكلّم بلسانه. فكذلك نقول: إنَّ الله تعالى ظهر بصورة أشخاص.

« ولما لم يكن بعد رسول الله شخص أفضل من عليّ، وبعده أولاده المخصوصون، وهم خير البريّة، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانِهم، وأخذ بأيديهم... عليّ... كان مخصوصاً بتأييد إلهي من عند الله تعالى فيما يتعلّق بباطن الأسرار... وربّما أثبتوا له شركة في الرسالة،.. فعلم التأويل، وقتال المنافقين، ومكالمة الجن، وقلع باب خيبر، لا بقوّة جسدانيّة، من أوّل الدليل على أنّ فيه جزءاً إلهيّاً، وقوّة ربّانيّة. ويكون هو الذي ظهرَ الإله بصورته، وخلق بيديه، وأمر بلسانه. وعن هذا قالوا: كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض... »(١).

(١) الشهرستاني، كتاب الملل والنحل ١ / ١٨٨ ـ ١٩٨.

من شأن الله أن يظهر للعـــالم لكي يأنس العالم بوجوده إذا ما رآه من جنسه البشري: « ظهر لتكون لـــه الحجة على خلقه، وليأنس إليـــه المؤمن إذا رآه من جنسه بالبشريّة »(٢). و « كان ظهوره بالبشريّة عدلاً منه وانصافاً، لئلا يكون على الله حجة بعد الرسول؛ فنطقه من البشر، وظهور المعجزات والقدر، دلّهم على ذاته... فكان ظهوره قدرة، ونطقه حكمة، ودلالته على ذاته رحمة، وغيبته عظمة، ليهلك من هلك على بيّنة ويحيي من يحيي عـــن بيّنـــة »(٣). وفي قول أبي سعد تأكيد لرحمة الله في ظهوره للبشر: « ظهر لخلقه كخلقه مجانساً، وتقـــرّب إليهم برأفته ورحمته مأنساً، وشاكلهم في الأجناس والصور، وباينهم في الحقيقة والجوهر »(٤).

حجّة هذا الظهور تأتي من أن الذي يعبد إلهاً بعيداً لم يظهر نفسه للعالم يخشى عليـــه عبادة الغيب والعدم. قال يوسف الحلبي عن ربيعة أحد المضلّين: إنّ « هذا الرجل يعبد الغيب. والغيب يقع فيه الزيادة والنقصان »(٥).

وعرف عن جعفر الصادق فرضيات واضحة تقرّر أهميّة الظهور الإلهي وضرورته. قال: « من لا يرى فقد عبد مجهولاً غائباً. ومن عبد من يرى فقد عبد محدوداً. ومن قال إنـــه غير مشاهد فقد قال على غائب. ومن قال إن الأبصار تدركه فقد يرى مثله. ومن عبد المعنى والاسم جميعاً فقد أشرك به. ومن وصفه بما وقع من فكره فإنّما وصف نفسه. ومن قال إنـــه محتجب عن خلقه فإنّما عنى غيره. ومن قال إنه ظاهر لهم يرونه فقد عناه. ومن عرفه مـــن جهة

---

(٢) كتاب الأصيفر، ص ٥ أ.
(٣) نفس المرجع، ص ٢٩ أ ب.
(٤) نفس المرجع، ص ١٧ ب ـ ١٨ أ.
(٥) كتاب المناظرة، ص ٧٣ أ.

الاقرار بعلمه من ظهور المعجزات ونفى ما رأى وأثبت ما علــم فأولئــك أصــحاب أميــر المؤمنين »[٦].

وعظمة الحجة تكمن في الوقت الذي جعل الله فيه الناس يرون قدرته في إظهار آياته لهم وجعلهم يعرفون ربوبيّته. فهذا من الله ألطف أعماله: « عظمة الحجة حين رأى قدرتــه. فمن ألطف صنعاً، وأبين أمراً، وأثبت قولاً، وأكمل بياناً من ربّ أظهر قدرته في عبده، حتى يبيّن أمره. وأظهر آياته وعرفت ربوبيّته ومجّدت مشيئته ونسبته... »[٧].

والحجة الكبرى للظهور الإلهي قول كتاب الاسوس: « لن يضرّ المخلوق الخــالق إذا نزّل به قدرته، ولن يضرّ الخالق نزوله بالمخلوق. وذلك إنّ الســموات والملائكــة والأرواح مخلوقة، وهي ترى الخــالق. فــلو كانت رؤيتها تضرّه أو تنفعــه لكانــت معرفتهـــا إيّــاه تضرّه... »[٨].

وظهور الله واجب حتى يستطيع الله أن يتكلّم مع خلقه، وحتى يفهم كلامــه. « قــال العالم: لا بدّ من أن يجعل (الله له) هيئة مثل خلقه حتى يكلّمهم منهــا، فيفهمــوا عنــه أمــره ونهيه... ويخلق خلقاً يحتجب به ويتكلّم منه... (لذلك) خلق اثني عشرة صورة بيده، فخاطــب الله خلقه منهم... قال السائل: ثبت إن الله يكلّم خلقه وهو بهيئتهم وهم بهيئتــه فيفهمــوا عنــه ويعلموا أن صورتهم مخلوقة وهو خالق وإنه يفعل ما يشاء »[٩].

---

(٦) كتاب الاصيفر، ص ٧ ب ـ ٨ أ.
(٧) كتاب الاسوس، ص ٢٥ ب ـ ٢٦ أ.
(٨) كتاب الاسوس، ص ١٠ أ.
(٩) كتاب الاسوس، ص ٣٥ ب ـ ٣٦ أ. الاثنتي عشرة صورة هم الائمّة الـ ١٢.

ومن مبادئ الظهور الإلهي إن الله وحده يعرف نفسه ويعرّف عن نفسه بنفسه. وعرفه الإنسان عندما رآه في داره، قريباً منه، مخاطباً لـــه. بهذا ابتدأ كتـــاب الاسوس كلامه. قال: « وما توفيقي إلاّ بالله. والحمد لله الدالّ على نفسه بنفسه، ولا يدلّ عليه الاّ هو... ولا يـــدرى أحد كيف هو إلاّ هو، الذي ظهر بحجّته لبريّته »(١٠). وصدّق هذا الكلام كتاب نصيري آخر. يقول: « وإنّما يُعرف الله بالله »(١١)، وأيضاً: « لا يدلّ على الله إلاّ من كان منه أو من نـــوره الخاصّي »(١٢)، وأيضاً: « نعم لا يدل على الله إلاّ من كان منه »(١٣).

غير أن الله لا يُشاهد بذاته بل بنوره. لذلك، فهو كالشمس، يغيب عن عـــالم ويظهـــر لعالم آخر. ولكن، لا ظهوره يكون بذاته، ولا غيبته تكون حقيقيّة. فالشمس « متـــى ارتفعـــت على سطح الأفق تكون ظاهرة لجملة أهل ذلك الإقليم، ومتى غربت تحت الافق تكون غائبـــة عنهم وظاهرة لغيرهم؛ وكذلك الباري تعالى، عند ظهوره، يظهر لقوم، ويغيب عن قـــوم؛ ولا غيبة (حقيقيّة مطلقة). وقد يعرض للشمس الكسوف، وهو أن يستتر نورها عن الأبصار بجرم القمر... فهي لا تُشاهد في الظلام إلاّ بمشاهدة النور؛ وكذلك الباري تعالى، وهـــو الـــذات، لا يظهر إلاّ بنوره. إذ لو ظهر بغير نوره لشوهدت الذات كمشاهدة النور، وليس كذلك؛ بل يظهر بنوره ليشاهد به... ويستدلّ به عليه... »(١٤).

---

(١٠) كتاب الاسوس، ص ١.
(١١) كتاب الأصيفر، ص ١٨ ب.
(١٢) كتاب الاصيفر، ص ١١ أ.
(١٣) كتاب الاصيفر، ص ٥ ب.
(١٤) كتاب المناظرة، ص ٩٨ ب ـ ٩٩ أ ب.

يعتمد النصيريون في بيان مبادئ الظهور الإلهي على ما جاء في القرآن. ويفسّرون آيات القرآن بحسب مبادئ التفسير الباطني عندهم. ويدعمون تفسيرهم بالضرورة المنطقيّة لذلك. فهم لا يدركون الله إلاّ في خلقه متجلّياً منظوراً: « إن الله تعالى ظهر لخلقه بالنورانيّة، وأظهرهم بها، وأوجدهم نفسه، ودلّهم على ذاته، فناجاهم خطاباً واضحاً، ونطقاً بيّناً عياناً، وايجاداً ووجوداً، وعرّفهم أنه الخالق لهم. فقال: وقوله الحقّ: « ألست بربّكم؟ »[١٥] قالوا: بلى... أجابوه بالمعرفة والاقرار له قبل السؤال، وذلك إن الله تبارك وتعالى لم يكن يسأل من لم يعرفه ولا عاينه ولا أقرّ به. فيقول: ألست بربّكم؟ وإنما كان ذلك عن معرفة متقدّمة... عند ظهوره بالبشريّة لما ظهر لهم الأفعال وأوجدهم أنه كهم وأنّه مولاهم »[١٦].

فالله، إذن، ظهر للبشر، كهم، حيث هم، ومن حيث هم. وعرّف عن نفسه بِصُوَرِهم، وأخذ هيئَتَهم، وآنسَهم، رأفةً بهم. علماً بأنّ الصورة التي يظهر بها الله ليست هي الله، ولكن أيضاً، ليس الله غير هذه الصورة. يعني: إن الصورة البشرية لا تتضمّن كلّيّة الله، ولكنّ الله يتضمّن كل الصورة. قال الخصيبي، قدّس الله روحه، عن الصورة (المرئيّة) إنها ليست كلّيّة الباري، ولا الباري غيرها »[١٧].

هذه هي مبادئ « الظهور والتجلّي »[١٨] وضرورته في النصيرية.

(١٥) سورة الأعراف ٧ / ١٧٢.
(١٦) كتاب الصراط، ص ٨٦ أ ب.
(١٧) كتاب المناظرة، ص ١٤٣ ب.
(١٨) كتاب الصراط، ص ١٣٩ ب.

ثالثاً: التجلّيات الإلهيّة

ظهر الله، بحسب العقيدة النصيريّة، مراراً، بأشكال مختلفة، وصور كثيرة، بأشخاص بشريّة؛ « إن الله أظهر نفسه أشخاصاً... بصورة الشيخ الأبيض الرأس واللحية... وكهيئة الشاب راكب على أسد مفتول السبال... وفي صورة الصبي الصغير... واختلفت عليهم (على الملائكة) الصور، ولم تختلف عليهم القدر »[١].

لقد ظهر الله في البشريّة في « شيت ويوسف ويوشع وآصف وشمعون وأمير النحل. فهذه أسماء الصورة التي ظهر بها المعنى (عليّ) في العالم البشري، وسمّا (هكذا) بها هذه الأشخاص في كل مقام »[٢].

أمّا كتاب تعليم الديانة النصيرية فيجيب على سؤال: « كم مرّة احتجب مولانا وظهر بالإنسانيّة؟ يقول: « احتجب سبعة مرّات. ففي الأولى احتجب في آدم في كوره ودوره، وتسمّى هابيلا، وفي الثانية في نوح، وتسمّى شيتا، وفي الثالثة في يعقوب، وتسمّى يوسفا، وفي الرابعة بموسى، وتسمّى يوشعا، وفي الخامسة بسليمان، وتسمّى آصفا، وفي السادسة بعيسى وتسمّى شمعونا، وفي السابعة أخيراً بمحمّد وتسمّى عليّاً. وهو خالي من الأسماء الذي تسمّى بهم، وهم لا يخلون منه »[٣]، أيّ يتجرّد الله عن الأسماء التي يظهر بها.

---

(١) كتاب الاسوس ص ٩ أ.
(٢) كتاب الصراط ص ١٣٩ أ.
(٣) السؤال الخامس. ص ٤.

وكان ظهور الله في صورة هابيل على الشكل التالي: « أوّل ظهورات المعنى هابيل؛ فلم يزل قائماً بالوصيّة والإمامة والفعل والنطق إلى أن شاء أن يظهر الغيبة، فـأورى القتـل على يد قابيل، وبقيت الصورة المقتولة ملقاة بين أيديه. وكان من قصّته ما كان.

« ثم ظهر المعنى بشيت. لم يكن بينهما (بين شيت وهابيل) مدّة طويلـة مثـل بـاقي المقـامات... فقـام شيت بالوصيّة والإمامة، وألّف صحف إدريس. وكان من أمـره مـا كان... »[٤]. وهكذا إلى آخر التجلّيات والمقامات الإلهيّة.

والجدير بالذكر أن كل مقام يدلّ على سائر المقامات، لأنّ الذي يقيم في المقام هو الله الواحد. وهكذا كل مقام يهيئ المقام التالي له، والمقام اللاحق يشير إلى المقام السابق. فالكـل يتعلّق بالكل. قال كتـاب المناظرة في هذا المعنى: « من مقام واحـد يسـتدل علـى سـائر المقامات »[٥].

نستطيع، للدلالة على ذلك، ذكر المقام الإلهي في دور موسى، مثلاً. فـ« إن موسـى كان بيتاً من بيوت الله التي ينزل بها الربّ ويرتحل. وقد كلّمه الله، وأخذ التوراة منه، واهتـزّ له كل شيء، وأمره بالطهارة من البول وترك أكل لحم الجري والأرنب والخنزير وما أشـبه ذلك، وأمره بالغسل من الجنابة.

« فلمّا جاء المسيح الابن، وانما هو الآب في صورة الأبنيّة، فحلّ في المريميّة، وغيّر سنّة موسى، ورحمهم، فقال: كلوا ما شئتم، واطعموا كل شيء يطيب به أنفسكم. ورفع عـنهم الغسل من الجنابة والوضوء.

---

(٤) كتاب المناظرة، ص ١١٠ أ.
(٥) كتاب المناظرة، ص ١١٠ أ.

« فلا ترى، أيّها السائل، أنه (عيسى) قد أعتقهم من كثير ممّا فرض عليهم موسى، وهوّن عليهم كثيراً ممّا شدّد عليهم من الأغلال والأصار. وقال (عيسى): إنَّ الله مستغن عن أعمالكم، إنْ شئتم اعملوا، وإنْ شئتم فلا تعملوا. إذا فهمتم فهمتم حلاوة الحرّيّة »(٦).

وهكذا أيضاً هو الأمر بالنسبة إلى سائر المقامات الإلهيّة، كلّ مقام يعتمد على الآخر، ويتعلّق بالآخر، يكمّل الآخر أو يلغيه، إلى أن كان التجلّي السابع والأخير في عليّ بن أبي طالب. هذا الأخير عرّفنا على ما سبق من مقامات. وهو أهم صورة بشريّة ظهر فيها. وعمل في أهم دور جاءت فيه شريعة، وهي شريعة محمّد والإسلام.

الاّ أنّ نورانيّة مقام عليّ ساطعة باهرة، لا يقدر إنسان النظر إليها دون حجاب. فكان محمّد حجاب عليّ الذي فيه اختفى ومنه ظهر للعالم. ولا يصل إلى الحجاب إنسان دون مدخل إليه أو باب. فكان سلمان الفارسي باب عليّ الذي منه نعرف المعنى وبه ندخل إلى المعنى وبواسطته خرج العالم إلى الوجود، لذلك سمّي سلمان ربّ العالمين، وموجد الأيتام علل الوجود.

فعليّ هو الألوهة، أو هو ذات الله، أو أيضاً هو المعنى الذي ظهر في دور محمّد بهذا الاسم. جاء في تعليم الديانة النصيرية: إن كان مولانا أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب هو الله فكيف تجانس مع المتجانسين؟ الجواب: أعلم أن مولانا أمير المؤمنين لا يتجانس مع المتجانسين بل أنه احتجب بمحمّد في كوره ودور وتسمّى عليّا »(٧).

---

(٦) كتاب الاسوس ص ٥٦ ب ـ ٥٧ أ.
(٧) كتاب تعليم الديانة النصيريّة، السؤال الرابع ص ٣ ب.

لم يكن عليّ آخر التجلّيات الإلهية وحسب، بل هو الله الذي ظهر في جميع التجلّيات. فعليّ، إذن، هو هابيل وهو شيت... جاء في كتاب التوجيه: « علي أحد فرد، علي هابيل، علي شيت، علي يوسف، علي يوشع، علي آصف، علي شمعون الصفا، علي أمير المؤمنين، لذكره الجلال والتعظيم »[٨].

إن المقامات السبعة التي تجلّى فيها الله هي المسمّاة بـ« السبعة الذاتيّة »، ومعناها « إن السبعة لا يشار إليها في وقت واحد، ولا تعبد في وقت واحد، فيكون الباري في وقت واحد ظاهراً بسبعة أشخاص. وهذا هو الكفر بعينه »[٩].

ثم إنّ الله يظهر بـ« جزء أصمّ » و « الأصمّ » يعني كليّ لا تقسّم فيه، ولا يظهر بشخصين ولا بثلاثة، وإنما يظهر المقام بعد المقام، والظهور بعد الظهور، إلى آخر ظهوراته »[١٠]. أمّا « الجزء » فيقال على الله « لمشاكلة ظهوره للعالم المركب من الأجزاء الستة (أي الجهات الست). معنى ذلك إن الله، بظهوره للعالم، شاكل العالم، إذ خضع للمكان والزمان، أي للفوق والتحت وغيرها، أي للجهات الستة »[١١]. ولكن، « بالحقيقة لا يقال له (لله) جزء. ولو كان جزء لكان مقسوماً من شيء »[١٢] لهذا قيل له: « الجزء الأصمّ »، أي المقام تلو المقام، وكل مقام يتّصف بالكليّة.

واختصار ذلك: القول في «السبعة الذاتيّة الذي هي الجزء الأصم الذي لا ينقسم»[١٣]. هذا هو معنى التجلّي الإلهي عبر الدهور.

---

(٨) كتاب التوجيه ص ٢٤ ب.
(٩) المناظرة ص ١٠٦ ب ـ ١٠٧ أ.
(١٠) المناظرة ص ١٠٧ أ.
(١١) المناظرة، ص ١٠٧ أ.
(١٢) المرجع نفسه.
(١٣) المناظرة ص ١٠١ ـ ١٠٢.

رابعاً: ألوهيّة عليّ بن أبي طالب

لا تحتاج ألوهيّة عليّ بن أبي طالب إلى برهان، لأنّها، هي، برهان على كل شــيء. فهي ركن العقيدة النصيريّة، وحولها تدور سائر العقائد، وعليها تبنى الديانة. بهذه العقيــدة ـــ الأساس، تتحوّل النصيريّة عن الإسلام، وتختلف عنه. وانطلاقاً منها تتحدّد معــالم الإيمــان، وتفسّر المظالم التي لحقت بالنصيريّين عبر التاريخ. وابتغاء الخلاص من بعض هذه المظــالم انكفأت النصيريّة على نفسها، وقالت بـــ« التقيّة » والكتمان.

لم يبدأ تأليه عليّ مع النصيريّين، ولم يقتصر النصيريون وحدهم على تأليــه علــيّ. هناك، في التاريخ الإسلامي، من سبقهم إلى ذلك. وعلى من سبقهم اعتمدوا:

لقد ابتدأ تأليه علي مع « عبد الله بن سبأ اليهوديّ »، معاصر عليّ، الذي قال لعلــيّ يوماً: « أنت الإله حقّاً ». فنفاه علي إلى المدائن. وتبع ابن سبأ من قال قوله. ويروى أن عليّاً، عندما سمع تأليهه من هذه الفرقة، أمر بحرق قوم منهم. ولمّا أحرقهم قالوا له: « الآن علمنــا أنّك إله، لأن النار لا يعذّب بها إلاّ الله »[1]. ولمّا قُتلَ عليٌّ زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكــن علياً، وانما كان شيطاناً تصوّر للناس في صورة عليّ، وان عليّاً صعد إلى

---

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٥.

السماء، كما صعد إليها عيسى بن مريم، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه. ومن أقوال ابن سبأ في انكار موت علي قوله: « إنْ جئتمونا بدمائه في صرّة لم نصدّق بموته »[٢] ويزعم السبئية أنّ عليّاً في السحاب، وأنَّ الرعد صوته والبرق سوطه. ومن سمع منهم صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين »[٣].

وجاء بعد السبئيّة فرقة أخرى تسمّى « الذمّيّة » زعمت أن عليّاً هو الله، وشتمت محمّداً، وقالت إنّ عليّاً بعثه لينبئ عنه فادّعى الأمر لنفسه »[٤]، وفرقة تسمّى « البيانيّة » زعمت أن روح الإله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى عليّ »[٥]، و « الجناحيّة » التي قالت « إن روح الإله دارت في عليّ وأولاده »[٦]، وغيرها...

لئن زالت هذه الفرق من التاريخ، لضعف دليلها على عقيدتها، أكثر من قوّة أعدائها، فإن النصيريّة قاومت الزوال رغم شدّة أعدائها وقهرهم لها، وذلك لأنّ البرهان على ألوهيّة عليّ جاء متماسكاً، منطقياً، لاهوتيّاً، متسلسلاً من معطيات أساسيّة صحيحة.

وللدلالة على ألوهيّة عليّ، عند النصيريّة، يكفي أن نتصفّح كتبها، لنرى في كل صفحة كلاماً أو صلاةً أو دعاءً أو شكراناً يحمل في ثناياه الدعوة إلى ربّ الأرباب وسيّد الأكوان علي أمير المؤمنين. فالنصيريّة ترفع إليه الدعاء، وتستجدي منه الرحمة، وتستنجد بنصرته، وتستفتح بذكره،

---

(٢) البغدادي، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٦.
(٣) المرجع ذاته. انظر أيضاً الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٧٤.
(٤) المرجع ذاته، ص ٢٥١، الملل والنحل ١ / ١٧٥.
(٥) المرجع ذاته، ص ٢٥٥.
(٦) المرجع ذاته، ص ٢٥٥. يعدّد الشهرستاني من الفرق إحدى عشرة.

وتبتدئ به، وتنتهي فيه، وتقيم له الصلوات والفرائض اليوميّة[٧].

يبتدئ كتاب تعليم الديانة النصيرية بما يلي: السؤال الأوّل: من هو ربّنا الذي خلقنـــا؟ جواب: هو مولانا أمير المؤمنين، أمير النحل، عليّ بن أبي طالب. وهو الله، الذي لا إلـــه إلا هو، الرحمن الرحيم ». السؤال الثاني: « من أين نعلم أن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبـــي طالب هو الله؟ جواب: من شهادته ووصفه لنفسه في خطبة له مشهورة نطق بها على المنبـــر إمام كافّة من حضر، وعلّمها أهل العقل والنظر. فقال: أنا عندي علم الساعة، وعلـــيَّ دلّـــت الرسل، وبتوحيدي نطقت، وإلى معرفتي دعت. أنا سمّيتُ أســـماءَها، وأســـطحتُ أرضـــها، وأرسيتُ جبالها، وأجريتُ أنهارها، وأخرجتُ أثمارها. أنا غسقتُ الغسق. أنا أطلعتُ شمسها، وأنرتُ قمرها. أنا خلقتُ الخلق، وبسطتُ الرزق. أنا رب الأرباب، ومالك الأرقاب. أنا العليّ العلاّم. أنا قرم من حديد، أنا المبدي المعيد. أنا أولجت عيسى في بطن مريم أمّه ايلاجاً. أنـــا أرسلت الرسل، ونبأت النبيّين ».

عند النصيريّة، إن محمّداً نفسه أعلن ألوهيّة عليّ. يسأل كتاب التعليم: « من دعانا إلى معرفة مولانا أمير المؤمنين؟ جواب: رسوله محمّد صلعم كما قوله في خطبة بيعـــة الـــدار: اسمعوا الآن ما أقول لكم، وإيّاكم تشكّون. اعلموا أنّي أدعوكم إلى عليّ بن أبي طالـــب، كمـــا أدعوكم إلى الله عزّ وجلّ. ألاّ إن عليّا مولاي ومولاكم... وأدعوكم إلى عليّ على بصيرة أنـــا ومن اتّبعني وسبحان الله، وما أنا من المشركين. أدعوكم إلى عليّ بأمر منه، وإيّاكم الريب. إلاّ أنّ نبوّتي تحت ولاية عليّ، لأن عليّ الذي نبّأني إليكم، وهو الذي خلقني

(٧) انظر كتاب المجموع في سوره الست عشرة، في آخر هذا البحث.

من نور ذاته، وهو ربّي وربّكم، وخالقي وخالقكم، فاتّقوه، وطيعـوه، ووحّـدوه، وسـبّحوه، وقدّسوه، واعبدوه، لأن هو الله الذي لا إله إلاّ هو... »[٨].

وفي كتاب المجموع إشارات صريحة إلى أقوال محمّد في عليّ. فهو يقول: « والسيّد محمّد ينادي ويقول: هذا مولاكم علي بن أبي طالب، فاعرفوه، وسبّحوه وعظّموه، وكبّـروه. وهذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه »[٩]. ويقول محمّد أيضاً: « هذه اشارتي إليك يا نور النور، يا فالق الصخور، وزاجر البحور، ومدبّر الأمور، بأن تسكّن المؤمنين في جنّتك العليا »[١٠].

إذا أراد النصيريون أن يصلّوا فتكون صلاتهم على الشكل التالي:

« استفتحت بأوّل إجابتي بحب قدس معنويّة أمير النحل علي بن أبي طالـب... فيـه استفتحت، وفيه استنجحت، وبذكره أفوز، وفيه أنجو، وإليه ألجأ، وفيه تباركت، وفيه استعنت، وفيه بدأت، وفيه ختمت بصحة الدين وإثبات اليقين... يا هو، يا كل، يا قديم، يا أزل لم تزل، يا معلّل العلل، يا مفني حركات الدول، يا غاية الغايات، يا منهي النهايات، يا عـالم بأسـرار الخفيّات، يا حاضر يا موجود، يا ظاهر يا مقصود، يا باطناً بغير غموض، يا من منك تشرق، وفيك تغرب، ومنك بدت وإليك تعود... الكل أنت، يا هو يا هو يا هو، يا من لا يعلم ما هو إلا هو... من عرف باطنه وظاهره، فاز ونجا... »[١١].

« لبّيك لبّيك يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب، يا رغبة كل راغب،

---

(٨) السؤال الثالث من كتاب التعليم.
(٩) السورة ١١ واسمها الشهادة.
(١٠) السورة ٨ واسمها الإشارة.
(١١) السورة ١ المسمّاة بالأوّل.

يا قديم باللاهوت، يا معدن الملكوت. أنت ألهنا باطناً، وإمامنا ظاهراً. يا من ظهرت فيما أبطنت، وأبطنت فيما ظهرت. وظهرت بالاستتار، واستترت بالظهور، وظهرت بالذاتيّة، وتعاليت بالعلويّة، واحتجبت بالمحمّدية. ودعوت من نفسك إلى نفسك بنفسك. أنت يا أمير النحل يا عليّ... انّك على ذلك قدير... »[١٢].

« يا عليّ يا كبير، يا علي يا كبير، يا عليّ يا كبير، يا أكبر من كل كبير، با مخترع شمس الضحى، وخالق البدر المنير، يا علي لك العزّة، يا عليّ لك الوحدة، يا عليّ لك الملك، يا علي لك الكبرياء، يا علي لك الإشارة، يا علي لك الطاعة، يا علي لك الشفاعة، يا علي لك الفطرة، يا علي لك القدرة، يا علي أنت سورة البقرة. أمانك يا عليّ أمانك من سخطك وعذابك من بعد رضوانك. آمنت بمعجزك ومعجزك، وجللت يا أمير النحل عن العجز أن يقع بك. آمنت وصدّقت بباطنك وظاهرك. وظاهرك أمامي ووصيّة، وباطنك معنوي لاهوت. يا هو يا هو، يا معزّ من أعزّك وذكرك وأفردك. يا هو يا هو، يا مذلّ من أذلّك وأنكرك وجحدك. يا حاضر يا موجود، يا غيباً لا يدرك. يا أمير النحل علي يا عظيم »[١٣].

« إني أشهد بأن ليس إلهاً إلاّ علي بن أبي طالب الأصلع المعبود، ولا حجاب إلاَّ السيّد محمد المحمود، ولا باب إلاَّ سيد سلمان الفارسي المقصود... أشهد بأنّ الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية هي الغاية الكليّة، وهي الظاهرة بالنورانيّة. وليس إله سواها وهي علي بن أبي طالب، وأنه لم يحط، ولم يحصر، ولم يدرك، ولم يبصر »[١٤].

---

(١٢) السورة الثانية تقديسة ابن الوليّ.
(١٣) السورة السادسة: السجود.
(١٤) السورة ١١ الشهادة.

« أشهدنّ عليّ أيّها النجوم الزاهرة والكواكب النائرة والأفلاك الدائرة بأن هذه الصورة المرئية المعاينة الناظرة هي عليّ بن أبي طالب، القديم الأحد الفرد الصمد، الذي لا يتجزّأ ولا يتبعّض، ولا ينقسم ولا يدخل في عدد. فهو إلهي وإلهكم، وإلهكم وإلهـي، إمـامي وإمـامكم، وإمامكم وإمامي، إمام الأئمة وسراج الظلمة... القابض على كل نفس، الذي له ولعظم جـلال هيبته وكبرياء سني برق لاهوته تخضعت له الأرقاب، وذلّت له الأمور الصعاب، سرّ إله في السماء، وهو إمام في الأرض، سرّ إمام كل إمام. سرّ علي بن أبي طالب قديم الأزمان، سـرّ حجاب السيّد محمّد وبابه السيد سلمان باب الهدى والإيمان... »[١٥].

هذه الصلوات والتوسّلات ليست سوى نموذج عمّا يقوم به كل نصيري فـي حياتـه اليوميّة. وهي صلوات كثيرة على هذه الصورة وبهذا الشكل. وأنت ترى بأنّ ألوهيّة عليّ أمر محتوم، لا دليل عليها، ولا برهان، لأنها هي الدليل على الوجود، وليس العكس.

كل ما يتصف به الله من كمال القدرة والعلم والإرادة، ومن أزليّة وأبديّة واستمراريّة، تناسب عليّاً، ويحوّله النصيريون إليه. فهو معبودهم الذي « يعلم ما في السماوات العليا ومـا بينهنّ وما فوقهنّ وما تحت التراب. عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحـام، ومنه الأنبياء والرسل وخلق البشر. وإليه يحشرون. وهو الرب القديم. فعلى من حاد عنه لعنة الله »[١٦].

(١٥) السورة ١٢ المسمّاة الإماميّة.
(١٦) المناظرة ص ١٣٢ ب.

ومما قيل في علي ما تبتدئ به رسالة النصيريّة: « إنّ عليّاً أمير النحل، لا إله إلاّ هو، أحدا لا يتثنّى في عدد، ولا يتجسّد في جسد، فرداً صمداً، لا يظهر بصورة ولا بمثال إلاّ بذاته، أحداً ديمومياً لا نهاية لحكمه. فافهم وعي »[١٧]. وفي كتاب المناظرة إنّ عليّاً « هو أمير النحل جوهر قائم بذاته، لا ينقسم ولا يتثنّى في عدد »[١٨]، وفي الاسوس إن عليّاً « لا مثل لـــه، ولا ضدّ، ولا نسبة، ولا جوهر »[١٩].

سمّي عليّ بأسماء عديدة، عرف بها في ظهوره بصورة عليّ بن أبي طالب، منها أنّه « أمير النحل »، لأنّ « المؤمنين يتشبّهون بالنحل لأنها تلقط من الأزهار أحسنها »[٢٠]. وفي حديث نبوي: « المؤمن كالنحلة، إذا أكلتْ أكلتْ طِيب، وإذا وضعتْ وضعتْ طِيب »[٢١]. وفي آية قرآنية تقول: « وأوحى ربّك إلى النحل »[٢٢]، أي إلى المؤمنين.

ومنها أيضاً اسم « عليّ ». قال العالم: « اسمه ع ل ي الذي علا فوق كل اسم، وقهر كل اسم »[٢٣]. وإلى جانب صيغة « عليّ الله » يستعمل النصيريون صيغة « علي الأعلى »، وهي قديمة في كتبهم[٢٤]، وكان القرآن من جهته عارفاً مسبقاً بظهور شخص اسمه « علـــيّ الأعلى » لأن الربّ عرف منذ القديم بمجيء رجل يحمل اسم عليّ فيه تستقرّ الألوهة[٢٥].

(١٧) رسالة البيان، ص ٥٤ ب.
(١٨) كتاب المناظرة، ص ١١٨ ب.
(١٩) كتاب الاسوس، ص ٤٢ ب.
(٢٠) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٠.
(٢١) انظر الحديث في كتاب « الهفت والاظلّة »، ص ٧٨.
(٢٢) سورة النحل ١٦ / ٦٨.
(٢٣) كتاب الاسوس، ص ٤٢ ب.
(٢٤) R. Dussaud, Hist. et Religion des Nosairs, 51.
(٢٥) S. De Sacy, Exposé de la Rel. Druze, t. I, 31-32.

ومنها « الأنزع البطين »[٢٦]، والأنزع هــو « الاجلــح »[٢٧]، و « الأصــلع »[٢٨]، والبطين، لغة، يعني الملآن والبعيد والمستتر، وعلي « مولانا أنزع بطين في أزليّته، باطن في علمه. وما ظهر إلاّ بأنزع بطين في كل قبّة وفي كل عصــر وزمــان... ظهــر بالأنزعيــة النورانيّة، فنظرته أهل المراتب على قدر مراتبهم، وأهل المنازل على قدر منازلهم. وظهــر لهم اسمه، وناداهم ليعرفوه ولا ينكروه، فعرفه المؤمنون، ونكره الجاحــدون، وهــو، جلّــت قدرته، أنزع بطين، لا يظهر إلاّ بالذات. ممتنع عن النعوت والصفات. وكل نعت وصفة مــن البشريّة تقصّر عن صفة الاسم، لأن الاسم أعلى وأجلّ من أن يصفه بشر »[٢٩]. معنى ذلك انّ عليّاً هو باطن بعيد مستتر لا يظهر إلاّ بالنورانيّة، وهو مجرّد عمّا سواه.

أمّا المعنويّة فهي جوهر الله وذاته، وهي الاسم الذي يطلق على الألوهة فــي جميــع ظهوراتها وفي علاقتها مع الاسميّة والبابيّة. لذلك، لا تُدرك المعنويّة بذاتها، بــل بواســطة، ولذلك كان محمّد واسطة ضروريّة لإظهارها. ولذلك أخيراً قيل: « عليّ هو محمّــد، ولــيس محمّد هو عليّ، لأنّ القدرة ذاتيّة على المعنى كالحرارة الذاتية في النار. فإن طلبت الحــرارة من النار فليست بنار »[٣٠]، يعني ذلك: إن النار تتضمّن الحرارة، ولكنّ الحرارة لا تتضــمّن النار كلّها. ففي النار نور وإضاءة وحرارة وحركة ودخان... والحرارة لا تحتويها كلها. كذلك عليّ يتضمّن محمّداً وكل ما في « القبّة المحمّدية »، ولكنّ محمّداً لا يحتوي الحقيقة العلويّــة كلها...

---

(٢٦) السورة العاشرة واسمها العقد، انظر السور: ٤ و١٢...
(٢٧) السورة الأولى المسماة الأول.
(٢٨) السورة الرابعة المسماة النسبة، انظر السور ١١ و١٣...
(٢٩) رسالة التوحيد، ص ٤٣ أ و ب.
(٣٠) مسائل ابن هارون الصائغ، ص ٥٣.

إنّ العلاقة بين عليّ ومحمّد هي علاقة لاهوتيّة صعبة المنال. هي كالعلاقة الحاصلة بين أقانيم الثالوث المسيحي. وقد تناولتها كتب النصيريّة بشيء من الغموض وعالجتها بدقّة متناهية.

جاء فيها « إن الله هو محمّد باطن، ومحمد ظاهر الله. فإذا ظهرت القدرة فهي من الله، وإذا ظهر العجز فهو من الحجاب البشري الذي يعرف بمحمد. فلذلك جاز للناس تسمّي بمحمّد وعليّ، ولا يجوز لأحد يتسمّى الله... »(٣١). يعني إن محمّداً وعليّاً هما الاسمان البشريان للألوهة. « وهذا دليلنا على أن المعنى تعالى لم يظهر ذاته لغير محمّد إلاّ محتجباً، ولا خاطبه بسواه »(٣٢)، أي إنّ عليّاً ظهر بمحمّد محتجباً، وإن محمّداً وحده استحقّ أن يكون حجاب الله.

ثم إن محمّداً هو « المكان » الذي استقرّت فيه الألوهة العلوية. فيه تجلّى عليّ وبه دعي وإليه المقصد: « ان محمّد منه السلام مكانه (أي مكان عليّ) إذا تجلاّ، وبيته الذي إليه يسعا، واسمه الذي به يدعا، وحكمته الذي إليها يلجا، ولسانه الناطق، وداعيه المرشد، وشاهده العادل، والطود الأعلا، والوادي الأيمن، والشجرة المباركة، والعرش الرفيع، والكرسي الشامخ، والرقّ المنشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والظلّ الممدود، والماء المسكوب، والمقام المحمود، والكلمة الباقية، والحجّة الواجبة، والدليل المتّصل بمدلوله، والفعل المنفعل من ذاتية الفاعل، أظهره بعد ان كان غيباً في علمه الذي ليس هو غيره. فهو شمسه الطالعة من قرصه الغائبة في أسّها »(٣٣).

(٣١) مسائل ابن هارون الصائغ، ص ٥٣.
(٣٢) كتاب المناظرة، ص ٩٥ أ - ٩٦ أ.
(٣٣) رسالة البيان، ص ٥٥ أ.

في كتب النصيريّة إن محمّداً هو الدليل على عليّ بالاستناد إلى مبدأ « لا يعــرف الله إلاّ الله »[٣٤]. قال ابن سنان: « أليس تعلمــون أن محمّد دلّ على عليّ، إذ كان منه، أو مــن نوره »[٣٥]، وبالاستناد أيضاً إلى « قول السيّد محمّد: أنا من علي وعليّ منّي، وقوله: أنا علي وعلي أنا. وقوله: أنا وعلي كهاتين، لا أقول يميناً وشمالاً، وأقرن بين أصبعيه، ليتّضــح لنــا قوله: يا من أبدأ منه ما إليه يعود، وقوله: أنت جعلت لكل صفة اسم تعرف به، ولكــل اســم مكان يقصد فيه، ولكل مكان باب يدخل منه إليه »[٣٦].

هذه الدلالة عبّر عنها محمّد في مناسبات عديدة، في غدير خمّ وفي يــوم نــداء أبــي الخطّاب. قال: « يا مجيب ذاته بذاته، فمعناه إنّه لم يجب ذاته الاّ بما هو من ذاته، وما هو من ذاته فليس غيره، وهو نور الذات وهو السيّد محمّد... فلذلك قال السيّد أبو شعيب: يا مجيــب ذاته بذاته.

« وأمّا ظهوره لنا فليس كظهور السيّد محمد، بل يظهر لنا بذاته، وهي الــذات التــي أجاب بها ذاته عند النداء، وهي الصورة المرئية وحقيقة باطن السيّد محمد، إذ لا يرى الــذات إلاّ ما هو من الذات.

« وأمّا قوله: ومخاطب المعنى بصفاته، فمعناه أنه لمّا دعا الخلق إلى معرفته، ألهمهم بمعرفة السيّد محمّد وهداهم إلى معرفته تعالى، وكان هو الواسطة بينه وبَيْنهم »[٣٧].

---

(٣٤) انظر صفحة ٤٧ من هذا الفصل، المراجع ١٠ و١١...
(٣٥) كتاب الأصيفر ص ٥ ب ـ ٦ أ.
(٣٦) المناظرة ص ٩٧ ب.
(٣٧) المناظرة ٩٥ أ ـ ٩٦ أ.

إن منزلة محمّد من عليّ لا يصلها أيّ إنسان مخلوق. والعلاقة بينهما هي علاقة الكلمة بمدلولها، أو بحسب التعبير النصيري، علاقة الاسم بالمعنى. إن « منزلة الاسم من المعنى لا يبلغها أحد... فقول الاسم: أنا من عليّ وعليّ منّي (يعني): أنا من عليّ اسمه وروحه ونفسه وكلمته، وعليّ مني معناي ومظهري للخلق. واعلم أن المعنى أحد، والاسم واحد، والباب وحدانيّة. وإن تغيّرت الصفات والأسماء (فهي) معنى واسم وباب واحد »[٣٨].

وكذلك هي أيضاً علاقة سلمان بعلي ومحمّد. فسلمان هو الباب إليهما والمدخل والواسطة والدليل عليهما. فكما كان محمّد منفعلاً عن عليّ فسلمان هو أيضاً منفعل عن محمّد. هكذا « إنّه تعالى... ذات أحد فرد صمد، انفعل عنه ذات واحدة، وهي ذات السيد محمّد؛ والسيّد محمّد ذات منفعلة عن ذات ليست بمنفعلة. ثم إن ذات السيد محمّد انفعل عنها ذات السيد سلمان؛ والسيد سلمان ذات منفعلة عن ذات منفعلة لذات غير منفعلة. ثم إن ذات السيد سلمان انفعل عنها ذات السيّد المقداد. فالمقداد ذات منفعلة لذات منفعلة عن ذات منفعلة لذات ليست بمنفعلة. وكل واحد من هذه الثلاث ذوات منفردة، وإنما وقعت الشركة بينهما... »[٣٩].

---

(٣٨) رسالة التوحيد، ص ٤٦ أ.
(٣٩) كتاب المناظرة، ص ٩٦ أ ب. « المقداد » هو أحد « الأيتام الخمسة »، وأوّل ما خلقه سلمان الفارسي. سيأتي الكلام عليه.

بقي علينا النظر في أمر من ينتسب إلى عليّ من نساء وأبناء وأخوة وأخوات وآباء وأمّهات. فإذا كان عليّ « منزّه عن الأخوة والأخوات والآباء والأمّهات، أحداً أبداً موجوداً »[٤٠]، فكيف نفسّر انتساب أمرأته فاطمة وابنيه الحسن والحسين... من هم هؤلاء؟ وما صلتهم بعليّ ونسبتهم إليه؟

ان جواب النصيريين على ذلك واضح. يقول العالم للسائل: « أمّا سؤالك عن فاطر[٤١] فأشهد أن فاطر فطرة الله التي فطر الناس عليها، وندبهم إليها. تلك صفته المشجّعة، وعظمته المتشخّصة، لكل ناظر بحسب عقله، ولكل عارف بمقدار معرفته، قديمة الكيان، محدثة الطلوع.

« وأمّا سؤالك عن الحسن والحسين، فذلك صفتان انبجست من الصفة الفاطرة، وطلعت من القدرة الباهرة، لتمام الحكمة وكمال الحجة وإعلان الدعوة بدءاً منها وغرباً فيها، إذ هي حقيقة جوهرها، وقديم عنصرها.

« أقررت أن هذه الصفات[٤٢]، وإنْ اختلفت أسماؤها، وتباينت أزمانها، وافترقت أشخاصها، واحداً لم ينقسم... وإنّما ظهِرت من القدرة الأحديّة بغير افتراق عند إشراقها، ولا حلول (انحلال) عند غروبها »[٤٣].

(٤٠) السورة الرابعة عشرة المسمّاة: البيت المعمور.
(٤١) فاطر هي فاطمة، وهي ذكر لأنّ « أمّهات الأوصياء ذكور لا إناث... لأنّ الملائكة هم في صورة النساء » (كتاب الهفت ص ٩٤)، وذلك أيضاً من قول الله تعالى: « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أناثاً أشهدوا خلقهم! ستكتب شهادتهم ويسألون » (الزخرف ١٩). ويقول الشهرستاني عن سبب تسميّة فاطمة بفاطم عند الفرقة العلبائيّة:

هؤلاء الخمسة كان من اعتبرهم جملة آلهة. وهم المسمّون في النصيرية وبعض الفرق المغالية بـ« أصحاب الكساء »، أي هم الذين كانوا في بيت عليّ عندما لبس محمّد، مخافة زعماء قريش، كساء عليّ. وهم، بحسب قول الشهرستاني: « محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ». ويقول أيضاً عن الفرقة العلبائيّة: « ومنهم من قال بإلهيّة لجملة أشخاص الكساء... خمستهم شيء واحد، والروح حالّة فيهم بالسويّة. لا فضل لأحد منهم على الآخر »[٤٤].

*****

جاء عند النصيريين بوضوح تامّ أنّ « عليّ هو الله والله هو عليّ »[٤٥]، إلاَّ أنّ « اسم علي وقع على الناسوت واسم الله وقع على اللاهوت »[٤٦]. وفي رأي الخصيبي، زعيم الدين ونبيّه، « ما أحد منهم يستوجب أن يسمّى موحّداً لأنهم اعتقدوا أن عليّ بن أبي طالب بشري كأحد البشر، وأنه من بعض قدر الباري والغيب لا سبيل لهم إليه، ولا يقولون به، فلعن الله المعتقد اعتقادهم »[٤٧].

« وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم، بلا هاء. وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:
تولّيت بعد الله في الدين خمسة نبيّاً وسبطيه وشيخاً وفاطما ».
(الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٧٥ ـ ١٧٦). هذا عند العلبائيّة فاطمة تصبح فاطم، وعند النصيرية تصبح فاطر.

(٤٢) الصفات هي: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء.

(٤٣) رسالة البيان، ص ٥٥ أ و ب.

(٤٤) الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٧٦.

وعن أبي شعيب محمّد بن نصير مؤسس المذهب: « إن الذي تقول الناس هو هو: (هو) عليّ، وهو الله، الذي يظهر كيف يشاء، ولم يغب عن أسمائه، فمن زعم أنّما رأى بعضاً فقد بعّض الله. ومن قال هو هو بحقيقته وذاته، على أنه بدن فقد كيّفه وحدّه ووصفه. ومن قال هو الله ظهر كيف شاء من خلقه لا موصوف ولا محدود ولا زائل ولا يقضي عليه بحراك، ولا حدّ ولا مثال، استدللت به على معرفته وصدقه. ومن استدلّ بمعرفته وصورته عليه فقد صارت بمعرفة الله على سبيل النجاة »[٤٨].

(٤٥) كتاب الأصيفر، ص ٦ أ.
(٤٦) المرجع نفسه.
(٤٧) كتاب المناظرة، ص ٨٣ ب ـ ٨٤ أ.
(٤٨) كتاب الأصيفر، ص ٣ ب من « كتاب المثال والصورة » لابن نصير.

الفصل الثالث

عقيدة النصيريين في الخلق والعماد

أوّلاً : قصّة الخلق

ثانياً : التناسخ

ثالثاً : أحوال المعاد

أوّلاً: قصة الخلق

يعتقد النصيريون بأنهم « كانوا في البدء قبل كون العالم أنـــواراً مضـــيئة وكواكـــب نورانيّة، وكانوا يفصلون بين الطاعة والمعصية، لا يأكلون ولا يشربون ولا يغيطون، وكانوا يشاهدون عليّ بن أبي طالب بالنظرة الصفراء، فداوموا على هذا الحال سبعة آلاف وســبعة وسبعين سنة وسبع ساعات، ففكّروا بذواتهم أنه لم يخلق خلقاً أكرم منّا. فهذه خطيّة ارتكبهــا النصيرية، فخلق لهم حجاباً يمسكهم سبعة آلاف سنة.

« ثم إنّ علي بن أبي طالب ظهر لهم وقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، بعدما أظهر لهم القدرة، فظنّوا أنهم يرونه بكليّته، لظنّهم أنّه مثلهم، فأخطأوا بذلك خطيّة ثانيّة. فأراهم الحجاب، فطافوا به سبعة آلاف وسبع وسبعين سنة وسبع ساعات.

« ثم إنّه ظهر لهم بصورة شيخ كبير، أبيض الرأس واللحية، تلك الصورة التي امتحن بها أهل النور العالم العلوي النوراني، فظنّوا أنّه على تلك الهيئة التي ظهر لهم بها. وقال لهم: من أنا؟ فأجابوا: لا ندري.

« ثم ظهر لهم بصورة الشاب المفتول السبال، راكباً على أسد بصورة الغضب.

« ثم ظهر لهم بصورة الطفل الصغير، ودعاهم أيضاً، وقال: ألست بربكم؟ وقد كـــرّر القول عليهم في كل ظهور، ومعه اسمه، وبابه، وأهل مراتب قدسه الذين هم المراتب الســـبع الأول للعالم الكبير النوراني[١]. ولمّا دعاهم ظنّوا بأنه مثلهم، واحتاروا، ولـــم يـــدروا مـــاذا يجيبون.

« فخلق لهم من تأخّرهم الشكّ والحيرة. ودعاهم قائلاً: قد خلقت لكـــم داراً ســـفلانية، وأريد أن أهبطكم إليها. وأخلق لكم هياكل بشريّة، وأظهر لكم في حجاب كجنسكم. فمن عرفني منكم، وعرف بابي وحجابي، فإني أردّه إلى هنا، ومن عصاني أخلق مـــن معصـــيته ضـــدّاً يقاومه، ومن أنكرني أغلق عليه في قمصان المسوخية. فأجابوا قائلين:

« يا ربّ دعنا هنا نسبّح بحمدك ونعبدك، ولا تهبطنا إلى الـــدار الســـفلانية. فقـــال: عصيتموني. فلو كنتم قلتم: ربّنا لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العلاّم الغيوب[٢]، فكنت أعفو عنكم.

« ثم خلق من معصيتَهم الأبالسة والشياطين، ومن ذنوب الأبالسة خلق النساء. (لـــذلك هم لا يعلّمون نساءَهم صلاتهم، ولا يدخلونهم في سرّ الديانة)[٣].

وهكذا، قبل أن يخلق الله آدم، كانت أمم كثيرة، « الأمم الذين كانوا فـــي الـــدار قبـــل البشر، وهم: الحِنّ والبنّ والطمّ والرمّ والجان والجن »، وكان اسم الله فيها «البَرّ الرحيم»[٤].

(١) سيأتي الكلام عليها في فصل لاحق.
(٢) سورة المائدة ٥ / ١٠٩.
(٣) الباكورة، ص ٥٩ ـ ٦٣.
(٤) تعليم الديانة سؤال ٤٣ و٥٢.

ويعترف جعفر الصادق بوجود أمم قبل آدم، وهي سبعة، على ما يقول الاذني الــذي يسمّيها « القبب السبع »، وهي نفسها كما في كتاب التعليم للديانة النصــيريّة، الســؤالين ٤٣ و٥٢، يضاف إليها قبة اليونان[٥]. يقول الإمام جعفر: « كان في الأرض سبعة آدميين قبل أن يخلق الله آدم، وإن جبريل من القرن الأول وميكائيل من القرن الثاني، وإن الدور خمسون ألف عاماً... ثم خلق (الله) الآدميين، وكنّا (الأئمّة) أوّل مبعوثين إلى ذلك الخلق حججاً »[٦]. ويقول أيضاً في مكان آخر: « كان قبلنا سبعة أوادم وسبعة أدوار قد مضت ونحن في الدور الثــامن من آدم الثامن. ولكل ذريّة آدم بعث منهم... »[٧].

بيد أنّ سليمان الاذني يعدّد القبب السبع مع اسم المعنى، واسم الاسم، واســم البــاب، واسم الضدّ، لكل قبّة من القباب. ثم يخلص إلى القول: « وفي كل هذه القباب المذكورة كــان الضدّ أي الشيطان فيهــا بثلاثة أقانيم وهم واحد. يعنــون بتلك الأقانيم: أبــو بكــر وعمــر وعثمان »[٨].

ثم بعد ذلك خلق الله « آدم بيده، وصوّره على صورة جوهره، ثمّ إن الله مكث بــذلك سبع آلاف سنة يمجّد نفسه، ويسبّحها، ويهلّلها، ويكبّرها، لا لحاجة له، ولكن لــيعلّم الملائكــة أرواح الآدميين، حتى تعلّمت كيف تقول، وكيف تسبّح، ولولا ذلك ما عرفه أن تسبح الله، ولا

(٥) الباكورة، ٦١.
(٦) كتاب الهفت والاظلّة، ص ١٣٨.
(٧) المرجع نفسه، ص ١٣١.
(٨) الباكورة، ص ٦٢.

تهلّله، ولا تمجّده، ولا تكبّره، لأن الله عالم لا يتعلّم وهم يتعلّمون »[٩].

عرفنا إن الله ظهر في عصر آدم سبع مرّات، وهذه تسمّى « سبع قباب ذاتيّة »، أي أن الله أظهر ذاته في هذه القباب، فكان « علي هابيل، وعليّ شيت، وعلي يوسف، وعلي يوشع، وعلي آصاف، وعلي شمعون الصفا »[١٠]، وكان في كل مرّة، كما في قباب ما قبل البشر، معنى، واسم، وباب، وضدّ. وكان الباب يتكفّل بالخلق الخارجي بواسطة أيتام خمسة، هي مبدأ كل وجود. والأيتام هي هي، تظهر هي الأخرى وتتجسّد، كما يتجسّد المعنى، والاسم، والباب، والضدّ.

وكان تجسّدها، في أيّام الباب سلمان الفارسي، في الأشخاص التالية، كما وردت قصتهم في سورة الفتح الخامسة:

أشهد أن السيد سلمان خلق الخمسة الأيتام[١١] الكرام. فأوّلهم اليتيم الأكبر والكوكب الأزهر والمسك الأدفر والياقوت الأحمر والزمرّد الأخضر المقداد ابن أسود الكندي، وأبو الذرّ الغفاري، وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي[١٢]. هم عبيد مولانا أمير المؤمنين لذكره الجلال والتعظيم. وهم خلقوا هذا العالم من مشارق الشمس إلى مغاربها وقبلتها وشمالها وبرّها وبحرها وسهلها وجبالها... »[١٣].

---

(٩) كتاب الاسوس، ص ٢٧ ب ـ ٢٨ أ.
(١٠) قداس الاشارة، الباكورة، ص ٤٧.
(١١) الأيتام هم بحسب معنى اسمهم: الذين لا مثيل لهم، أي هم مبادئ الكون والوجود المنظور واللامنظور. هم، عند الدروز، « الحدود ».
(١٢) هؤلاء هم من الصحابة المختارين الذين جاهدوا من أجل حق عليّ.
(١٣) سورة الفتح الخامسة من كتاب المجموع، انظر الباكورة، ص ١٩.

ثانياً: التناسخ

« حكى بعضهم أن رجلاً نصيرياً كان له كرم، وكان يعمل في ذلك الكرم زماناً مع أبيه إلى أن مات أبوه، وكان ذلك في أيّام العنب. فتسلّط على الكرم ذئب، كلّما أتى الرجل يجده يأكل من عنبه، فيطرده، وما زال الأمر كذلك حتى ضجر منه، فعزم على قتله، ولمّا أراد أن يرميه في السلاح قال له: يا فلان، أتقتل أباك إذا تناول شيء من الكرم الذي أفنى عمره بالعمل فيه؟ فبهت الرجل لمّا رأى الذئب ناطقاً. قال: من أبي؟ قال: أنا. وقد انتقلت نفسي إلى هذه الصورة، وهذا كرمي الذي كنت تحرث معي فيه. قال، فذكر الرجل أن أباه كان خبّأ منجلاً في الكرم عند انصرافه في المرّة الأخيرة، فأضاعها بعد موت أبيه، ولم يعلم أين وضعها. قال للذئب: ان كنت صادقاً فقلْ لي أين المنجل الذي كنّا نقطع به أغصان الكرم؟ فقال: اتبعني، ومشى إلى المكان الذي وضعها فيه، وقال: هذه هي. فأخذها الرجل وأباح الكرم للذئب يرتع فيه كما يشاء »[١].

هذه الرواية، أكانت نصيريّة أم من أعداء النصيرية[٢]، تشير إلى عقيدة التناسخ التي يقول بها النصيريّون. والتناسخ يعني انتقال النفوس

(١) مخطوط المكتبة الملكية في برلين، رقم ٤٢٩١، ص ٥٦.

(٢) يقول « رينه دوسّو » بأنّها من مصدر درزي يتّهم بها النصيريين في إيمانهم بالتناسخ، فيما الدروز، يعتقدون بالتقمّص، أي بانتقال =

من جسم إلى جسم. قد يكون الجسم الثاني جسم إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد. ويبقى الإنسان ينتقل من جسم إلى جسم سبع مرّات، وكلّ مرّة بمرتبة، وهي « السبع مراتب العالم السفلي البشرى »[٣].

وردت المرّات السبع في إحدى الصلوات المصيرية كما يلي: « يا عليّ، جلّ ثناؤك، بأن تأمّني من شرّ مسوخيّاتك لنا ولجميع أخواننا المؤمنين من شرّ الفسخ، والنسخ، والمسخ، والوسخ، والرسخ، والقشّ، والقشّاش. إنّك على ذلك قدير »[٤].

الفسخ هو انتقال الروح إلى نبات، والنسخ من إنسان إلى إنسان، والمسخ إلى حيوان، والوسخ إلى أدران وأوساخ، والرسخ إلى نبات قصير، والقشّ إلى نبات يابس، والقشّاش إلى أرض بور[٥]، والقشّاش أيضاً قد يعني « البقّ والذباب والنمل وما يشبه ذلك »[٦].

يعتقد النصيريون بأنّ شرفاء المسلمين الراسخين في العلم، إذا ماتوا، تحلّ أرواحهم في هياكل الحمير، وعلماء النصارى في أجسام الخنازير، وعلماء اليهود في هياكل القرود. أمّا الأشرار من طائفتهم فتحلّ أرواحهم في المواشي التي تؤكل، والخاصّة المشكّون منهم يصيرون قروداً، والمتحيّرون بين الخير والشرّ يتقمّصون في هياكل بشريّة عند الطوائف الخارجة عنهم.

= روح الإنسان إلى جسد إنسان آخر. وذلك لكي يعي الإنسان في جميع قمصانه كل العذابات التي استحقها من أجل حياته السابقة.

(٣) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ١٤٥٠ ص ٥٧.

(٤) الباكورة السليمانيّة، ص ١٠ ـ ١١.

(٥) انظر ترجمتها إلى الانكليزية في Salisbury, JAOS, VIII, 287

(٦) كتاب الهفت والأظلة ص ١٧١.

إنّ الروح الشقيّة تدخل في خنزير أو كلب أو ذئب. والـــروح الطاهرة التـــي تطعـــم الخبز وتضيف الغرباء تدخل في أجسام بشرية، ولا تزال على هذه الحال إلى أن ترتقي على « درب التبّان ». « إن المؤمنين إذا خلصوا من القمصان البشريّة ينتقلون إلـــى درب التبّـــان ويصيرون كواكب، ويرون السماء صفراء »[٧]. يعلّق سليمان الأذني: « لهذا السبب كـــان لا بدّ لكل نصيري أن يفتح كوّة فوق باب بيته لكي، إذا ما توقّع ولادة إنسان وموت آخر في وقت واحد، لا تتزاحم الأرواح في الدخول والخروج »[٨].

وعرف الدروز عند النصيريين هذه الأشكال من التناسخ ووجهوا إليهم نقداً لاذعاً. قال حمزة بن عليّ نبيّ الدروز عارضاً مفهوم التناسخ: « إن أرواح النواصب والأضداد[٩] ترجع في الكلاب والقردة والخنازير إلى أن ترجع في الحديد وتحمى وتضرب بالمطرقة، وبعضـــهم في الطير والبوم، وبعضهم ترجع إلى الامرأة التي تثكل ولدها ».

ثم يبيّن حمزة سخف هذه النظرية بكلام لاذع فقال: « لقد كذب (النصـــيري) وأتـــى بالبهتان العظيم. لا يدخل في المعقول ولا يجب في عدل مولانا بأن يعصيه رجل عاقل لبيـــب فيعاقبه في صورة كلب أو خنزير، وهم لا يعقلون ما كانوا عليه في الصـــورة البشـــريّة، ولا يعرفون ما جنوه... فأين تكون الحكمة في ذلك العدل فيهم! وإنما تكون الحكمة فـــي عـــذاب رجل يفهم ويعرف العذاب فيكون مأدبة له وسبباً لتوبته »[١٠].

---

(٧) تفسير سليمان الأذني على السورة الأولى، الباكورة، ص ٩. « السماء الصفراء » هو لون نهر العسل الموجود في الجنّة (الباكورة ص ٨٥).
(٨) الباكورة السليمانية، ص ٨٦.
(٩) النواصب هم المسلمون السنّيون، والأضداد كل من عائد الدعوة.
(١٠) « الرسالة الدامغة في الرد على النصيري الفاسق لعنه المولى في كل كور ودور ». رقم ١٥ من « رسائل الحكمة » ص ١٧٠ ـ ١٧١...

إنّ التناسخ مراحل متكاملة بنوع أن ما يحدث للإنسان في المسوخيّة يكون حدث لـــه مثل ذلك في البشريّة. بهذا يمكن معرفة الإنسان ذاته في حالتيه. فـــ« من أقام في البشريّة حرّاً فهو في المسوخيّة حرّ... فمن ذلك أنه لتجد في الجبال بقراً وكباشاً ومعزى محرّرة لا يملكها أحد، وتعقب وتنسل، وهي حالها كما كانت في البشريّة »[١١].

وما يحدث للإنسان في بشريّته من علل وعاهـــات يحدث له مثل ذلك في المسوخيّة: « إن حدث به (بالإنسان) شيء من العلل والعاهات في البشرية حدث بـــه ذلـــك بعينـــه فـــي المسوخيّة، لا زيادة به ولا نقصان منه، حتى إذا حدثت به حادثة حدثت به في مثل ذلك الوقت وذلك اليوم وتلك الساعة، وإنْ كان زالت في البشرية زالت عنه في المسوخيّة في مثل ذلـــك الوقت وذلك اليوم وتلك الساعة »[١٢].

و « كل مقتول قتله الوحش وهو بشري يسلط المقتول على قاتله فيقتله. أما ترى فـــي كل حين يقتل البشر سباعاً، وكثير من البشر يقتلهم السباع... فلذلك يقول العالم: لا يقتل السبع إلاَّ سبع مثله... (هكذا) يستوفي الفـــاعل من المفعول به، ثم يعود المفعول به يســـتوفي مـــن الفاعل »[١٣].

ومن مظاهر المسوخيّة أيضاً ما نراه في الناس من ميل نحـــو بعـــض أنـــواع مـــن الحيوانات، وذلك لارتياح كل إنسان إلى النوع الذي يميل إليه. قال العالم: « اعلم يا مفضّل أنّ في العالم أموراً وأحوالاً وبواطن... ظاهره بشري وباطنه مسخ... وشرح ذلك أنّك تجد فـــي العالم من يلعب بهدير

---

(١١) كتاب الصراط، ص ١١٤ ب.
(١٢) المرجع نفسه، ص ١١٨ ب.
(١٣) المرجع نفسه، ص ١١٧ ب.

الحمام، وينعق نهيق الحمير، ويصهل بصهيل الخيل، ويشجّ شجيج البغال، وينبح نبيح الكلاب، ويعجّ عجيج البقر، ويضجّ ضجيج الثعالب، ويصيح صياح القطاط، ويشقشق شقشقة الفار، وصياح القرد..

وترى في العالم من يعني بتربية الكلاب وتربية الحمام وتربية القطاط وتربية جنس من أجناس المسوخ. وكل ذلك لألفه بذلك الجنس ترتاح روحه إلى الأجناس التي قد حلّ قبل ذلك الوقت فيها »[١٤].

في المسوخية أيضاً يمتزح الناس بعضهم ببعض امتزاج تشابه على اختلاف أجناسهم. « والناس لا يعلمون ذلك العلم. وربما أكل معك كلب وأنت تظن انه إنسان »[١٥].

قد « يمر الرجل ويمرّ الكلب فيبتعه، ثم إنّه يعضّ رجله أو يثب على ظهره فيعضّه. وإن الرجل حينما يمرّ بالكلب لا يعرفه ولا يكون قد رآه قبل ذلك، أو ربّما يكون الرجل متزوجاً امرأة هذا الكلب... فيعرفه الكلب في مسوخيّته »[١٦].

وعن محمّد بن سنان قال: « التفت أبو الحسن إلى نجّار ينجّر بداره، فقال: هذا النجار كان في الدور الأول ديكاً وهو اليوم نجّار »[١٧]. وبالمعنى ذاته نقلنا قصّة الذئب وابنه الكرّام.

وتعليل كل هذا إنّه يجري على الناس في البشريّة وفي المسوخيّة

(١٤) كتاب الصراط، ص ١٧٣ ب.
(١٥) كتاب الهفت والاظلة، ص ٥٨.
(١٦) المرجع نفسه، ص ١١٢.
(١٧) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

أشياء واحدة مستمرّة: « يجري عليهم (على الناس) في المسوخيّات سوا سواء، وحال بحال، لا زيادة فيه ولا نقصان منه، حتى يوفي في المسوخيّة جميع ما استوفاه من البشرية شخصاً بشخص، وحالاً بحال، وأجلاً بأجل، ومدّة بمدّة...

« وما من بشر ينقل إلى المسوخيّة ومات موته وهو بشري إلاّ ومات في المسوخيّة مثلها، ولا عارضة عارض في البشريّة إلاّ وعارضه بالمسوخيّة مثلها، ولا مرّ به حال إلاّ ومرّ به في المسوخيّة مثله، ولا كان بحال من الأحوال إلاّ وكان به من العزّ والرفعة والكرامة أو من السدّة والرخاء والرفاهة والتعب والنصب حتى يوفي في المسوخية جميع ما جرى له في البشريّة... وذلك إنه يعادل عليهم في المسوخيّة جميع ذلك ليعرفوه كما كانوا يوفوه في البشريّة.

« هذا هو الصراط المستقيم الذي لا فيه عوج، ولا فيه خلف، ولا عنه عدول »[١٨].

واختصار ذلك، لكي نستوفي كل ما قيل في التناسخ، « يجري على الشخص الواحد هذه الأوصاف في البشرية وهو بشري، ويجري عليه في المسوخيّة مثل تلك الصفات »[١٩]. « وما تراه من صفوف التراكيب في المسوخيات فهو موجود في البشريّة من صغيرها وكبيرها... »[٢٠].

(١٨) كتاب الصراط، ص ١١٢ ب - ١١٣ أ.
(١٩) كتاب الصراط، ص ١١٣ ب.
(٢٠) كتاب الصراط، ص ١١٧ أ.

أمّا الأدلّة على حتميّة التناسخ ووجوبه فيتناولها النصيريّون من القرآن نفسه؛ ولكنّهم يذهبون في تفسير آياته إلى أبعد حدود الباطنيّة والرمزيّة. من هذه الآيات الدالّة على التناسخ ما يلي:

قال كتاب الله وزاد عليه النصيريّون: « يا ليتنا نردّ »[٢١]، « فنعمل غير الذي كنّا نعمل به »[٢٢]. وقال أيضاً مخبراً عن المائتين: « ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين، فاعترفنا بذنوبنا. فهل إلى خروج من سبيل؟ »[٢٣]، « فقد أوجد أنّه أماتهم وأحياهم، وهو يميتهم ويحييهم، لأنهم بداومه ذلك عليهم يقولون: « فهل إلى خروج من سبيل » من دوام هذا الموت؟ »[٢٤].

وأمّا قول القرآن: « إنّك ميّت وإنّهم ميّتون، ثم إنكم يوم القيامة ترجعون وتبعثون »[٢٥]، « فإنّما أراد بهم اختبارهم »[٢٦].

وقال الله أيضاً: « كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم غيرها ليذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون »[٢٧]، وقال: « كونوا حجارة أم حديداً أو خلقاً ممّا يكبر في صدوركم »[٢٨]، « يريد بذلك الذهب والفضة وأنواع الرسوخ »[٢٩]. معنى ذلك إن كل من أخرج من المسوخيّة ولم يتطهّر كفاية يردّ إلى الرسوخيّة.

وكتاب الهفت من جهته يستشهد بآيات قرآنيّة أخرى يدلّ بها على

---

(٢١) الأنعام ٦ / ٢٧.
(٢٢) الصراط، ص ١٢٦ أ.
(٢٣) سورة غافر ٤٠ / ١١.
(٢٤) الصراط، ص ١٢٦ ب.
(٢٥) الزمر ٣٩ / ٣٠ ـ ٣١.
(٢٦) الصراط، ص ١٢٧ أ.
(٢٧) سورة النساء ٤ / ٥٦.
(٢٨) الاسراء ١٧ / ٥٠ ـ ٥١.
(٢٩) الصراط، ص ١٤٦ ب.

ضرورة التناسخ. منها قوله: « يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ »[٣٠]، يعني كل من يخرج من الأصلاب من أصله الذي خلق منه ثم يكرر سبع كرات في سبع أبدان. وقوله: « منكم من يتوفّى ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر »[٣١]، أي إن المؤمن ينسخ نسخاً، والكافر يمسخ مسخاً في أصناف المسوخيّة. ومنها قوله: « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين »[٣٢]، يعني في دورة لا عقب لها إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنهم لا يمسخون[٣٣].

بعد اتمام جميع مراحل التناسخ التي يمرّ بها الإنسان، إلى أين تذهب روحه؟ يجيب كتاب تعليم الديانة النصيريّة مميّزاً بين النصيريين والكافرين بقوله، في سؤال وجواب:

« إلى أين تذهب أرواح أخوتنا المؤمنين عند خروجها من قبورها التي هي قمصانها اللحمية الدموية؟ جواب: تذهب إلى العالم الكبير النوراني، وتحظى بالنعيم والحياة الدائمة إلى أبد الأبدين، ودهر الداهرين وتلبس قمصان الأنوار وهم النجوم. سؤال: ماذا يحلّ بالمشركين والكافرين والجاحدين لاهوت مولانا!؟ جواب: يحل بهم العذاب في جميع الأدوار والأكوار[٣٤].

فنتيجة التناسخ إذن هي إن النصيريين يذهبون إلى النعيم حيث الكواكب، والكافرين يبقون في عذاب يدوم إلى الأبد.

---

(٣٠) يونس ١٠ / ٣١.
(٣١) الحج ٢٢ / ٥.
(٣٢) التين ٩٥ / ٥.
(٣٣) انظر كتاب الهفت ص ٥٧.
(٣٤) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤالان: ٨١ و٨٢، ص ١٦.

ثالثاً: أحوال المعاد

يتضمّن الكلام على أحوال المعاد عدّة قضايا، منها وصف اليوم الأخير، ومجريات الحساب أمام القضاء الإلهي، ومسألة الثواب والعقاب، ومفهوم النعيم والجحيم. هذه القضايا، على اهتمام النصيري بها والخوف منها، لم تبحث بحثاً شاملاً، ولم تدوّن الكتب النصيريّة كل ما يعتقد المؤمن به؛ وربّما كان السبب كثرة ما في القرآن عنها، فإنّ المؤمن يأخذ تعاليمه فيها من القرآن نفسه. إلاّ أنّ بعض ما في الكتب يضعنا على إدراك لها صحيح.

يصف النصيريون اليوم الأخير من الخليقة، بأنّ عليّاً سيظهر مجدّداً ويعلن امتلاكه العالم من أقصاه إلى أقصاه، فيكون هو سيّد الكل وربّ العالمين. ولن يكون بعد هذا الظهور أيّ ظهور آخر، لأنه لن تكون بعده غيبة. فـ« مولانا أمير المؤمنين يظهر من دون احتجاب في آخر الزمان بمجد وبهاء عظيم، ويخلّص أرواح المؤمنين من قبورها التي هي قمصانها اللحمية الدموية، ويجعلها تسكن بالأنوار الأبدية »[١].

ويكون الظهور الأخير لعليّ ظهوراً لجميع الناس وكشفاً مطلقاً: « وأمّا الظهور الطلق (المطلق) للخاص والعام (للنصيريين وسواهم) فهو يوم

(١) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٧ ص ٤.

الكشف »[٢]. في هذا اليوم يجتمع ملوك الأرض وسلاطينها بين يدي عليّ، أمير النحل؛ وقد أصبح اسمه ولقبه في اليوم الأخير « الدبور »، الذي يقمع الخوارج ويستولي على الأقاليم، ويخضع المخالفين بالسيف، ويهلك الظالمين. يكون هذا بعد اضطراب في الكون عظيم، وارتباك بين جميع الأديان والمذاهب والشرائع التي كرهها العالم. وعليّ سيخلّص الكلّ ليصبح الكلّ فيه.

جاء في كتاب المناظرة:

«... تحدث في العالم أمور من اختلاف المذاهب والأديان والشرائع المختلفة والملل الظاهرة التي يكرهها العالم؛ ثم ظهور البدع ترتعد منها الناس، ويتجدّد في العالم أمور صعبة ترهبهم وترهقهم، ويظهر أمور سماوية مقضيّة لا يمكن لمخلوق دفعها ولا انتفائها، واضطراب أمورهم بعضهم ببعض.

وهذا لقرب القران العظيم الذي يكون فيه ظهور القائم المهدي، ويكون ذلك في ربع القران، وإنْ تأخّر ففي القران، وهو مدّة عشرين سنة... ويكون في ذلك العالم اختلاف وتخاليط في المذاهب والقوانين، يخافون منها على أنفسهم وأموالهم. ولم يزل ذلك إلى ظهور القائم المهدي لإشهار سيفه العظيم، ولا يغمده في الأرض كلها (لوجود بعض المؤمنين عليها)، وينادي له منادي بالنصر والقدرة والبأس العظيم.

ويكون ظهوره بين الشمال والصبا ومغارب الجنوب. والدبّور يملك جميع الأرض، ويقمع الملوك والخوارج والسلاطين، ويستولي على

(٢) رسالة التوحيد، ص ٤٦ أ.

الأقاليم السبعة، ويملك الدنيا بأسرها من أوّلها إلى آخرها، بالسيف والعدل وإقامة الحقّ وتمحيص الجور، وينفي المفسدين، ويهلك الظالمين، ويحسن السيرة في الناس والرعية، ويغيّر القوانين والنصب في العالم... »(٣).

بعد هذا اليوم العظيم يكون الحساب العادل. فمن رجحت من المؤمنين أعماله الحسنة يكون في النعيم، ومن كثرت شروره منهم ولم تكن له فرصة التنقل في القمصان التناسخية يكون حظه ناراً مؤبّدة. يكون مصير هؤلاء تماماً كمصير الكافرين والملحدين والمشركين الجاحدين من سائر المذاهب والأديان.

ثم بعد الحساب يكون الثواب والعقاب في جهنم وجنّة النعيم. والعذاب في النار، كما السعادة في الجنّة، لن يكون مادّيّاً، كما في الإسلام والقرآن. بل كلا السعادة والهلاك روحانيان. فـ« المعرفة بعليّ والاقرار به هي الجنّة. من عرف الله دخل الجنّة. وهي استجنّ من عرفها من علم التوحيد، وهي التي من حملها وأقرّ بها كان جنيّاً حيّاً مدى المدى. والجنّة: محمّد وسلمان. ومن عرفهم فهو في الجنّة »(٤).

وأوّل درجات الجنّة حيث يسكن المؤمن النصيري تسمّى بـ« ريح الضوّ »، وثانيها تسمّى بـ« الضوّ »، ثم بـ« ريح الروح »، ثم بـ« الروح ». « لا يزال

(٣) كتاب المناظرة، ص ١٤٠ أ ـ ١٤١ أ.
(٤) كتاب المناظرة، ص ١٣٢ ب.

يرتفع منزلة منزلة حتى يصفا، وأدّى شروط الله، ويعرف اسمه، ويذكر كل ثوب لبسه (بالتناسخيّة)، وكلّ ما مرّ عليه. فإذا سكنت الروح، فعند ذلك يصير في النعيم الذي يعرف به الأمور... »[٥].

فالجنّة إذن هي غير النعيم، هي درجات توصل إلى النعيم. فيها يفحص المؤمن عمّا إذا كان قد أتمّ شروط الديانة، وعمّا إذا عرف في حياته الدنيا « عمس »، وعمّا مرّ في القمصان التناسخيّة... بعد الجنّة يصل المؤمن إلى النعيم حيث السعادة الروحانيّة، وحيث معرفة « عمس » بحقيقته، من دون حجاب. في النعيم يعرف المؤمن كل شيء. هذا النعيم هو روحاني، لا مادّة فيه ولا مادّيّة، كما هو الحال في الإسلام والقرآن.

يقول كتاب الاسوس: «... وليس للمؤمنين في الآخرة أبدان، وإنّما هم روحانيّون»[٦].

وتدرّج المؤمنين في الجنّة بحسب رتبهم ومنزلتهم. جاء في الهفت سؤال الجاهل للعالم، « أخبرني هل السموات السبعة كلّها واحدة أم قد يتفاضل بعضها على بعض؟ فقال: أمّا السماء الأولى فهي مساكن الأئمّة، وأمّا الثانية فللنطقاء، وأما الثالثة فللنجباء، وأما الرابعة فللمخلصين، وأمّا الخامسة فللأيتام، وأما السادسة فللحجب، وأما السابعة فللأبواب »[٧].

(٥) كتاب المناظرة، ص ٣٣ أ.
(٦) كتاب الاسوس، ص ٣٣ ب.
(٧) كتاب الهفت، ص ٨٦.

الفصل الرابع

رتبة تسليم الدين

أوّلاً : معرفة « التعليق »

ثانياً : رتبة « السماع »

ثالثاً : رواية سليمان الأذني

رابعاً : دور الإمام

أوّلاً: معرفة « التعليق »

يحتفل النصيريون برتبة تسليم الدين لمن بلغ منهم الثمانية عشرة، وكان مؤهلاً لــذلك ومعدّاً له أعداداً لائقاً. وعادة ما يتسلّم الدين شيخ عن شيخ، فتبقى الديانة محصورة تعاليمها في عائلات دون غيرها. بهذه التعاليم ينقسم النصيريون إلى فئتين: خاصّــة وعامّــة، أو عقّــال وجهّال. وتسمّى رتبة تسليم الدين بــ« معرفة التعليق »، أي تعليق الطالب بالفئة الخاصّة، أو تعليق الإمام الدين للطالب. وهذا التعليق على درجات، يقوم على ما يلي[١]:

« يقف النقيب، بعد إيراد الخطبة، والولد عن يمينه مكشوف الرأس، ويأمره أن يرفع على رأسه مداس سيّده، ويختصّ من مداسات الجماعة على مداس الإمام. ثم يأمره أن يســأل الجماعة وهو يقول: أسألكم يا جماعة بالوجه الذي تسألون الله به لأنّه وجه الكمال أن تسألون شيخي وسيّدي (فلان) الديّن (ولا يسمّيه بقلبه) أن يقبلني ولداً ومملوكاً ويطهّرني مــن نجــس الشرك والمشبّهيّة، وينقذني من ظلمة الضلال، ويهديني إلى الصــراط المســتقيم، وفّقكــم الله وجعلكم أهلاً لكل خير.

ثم إنّ الجماعة ينهضوا قياماً بأسرهم، ويقولوا له: يا فلان، هذا

---

(١) ننقل بتصحيح بعض العبارات عن مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، رقم ١٤٥٠، ص ١٥٨ ب ـ ١٦٧ ب. « باب في معرفة التعليق ».

التلميذ سأَلَنا بوجه الكمال على أن نسألك حتى ترضاه وتقبله. فإذا قبل منهم يرفع النقيب[٢] ما على رأسه ويجلسه بين يدي الإمام، ويجتمعوا حوله ما شاء من الحاضرين حوله ليشهدوا لـه عليه. فيقول له الإمام: اعلم وفّقك الله وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحيّ يوحى، علمه شديد القوى[٣]. قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: تناكحوا تناسلوا أباهى بكم الأمم إلى يـوم القيامـة والدين[٤]. الملائكة أولوا العلم قائماً بالقسط[٥]. ولم يرد نكـاح الجمـاع، وإنّمـا هـو نكـاح السماع[٦]. اعلم أن هذه الجماعة إنّما اجتمعوا إلاّ بسبب عقد نكاحك. وقد قال النبيّ صـلّى الله عليه وسلّم من عرف ما يطلب هان عليه ما يبدل، ومن بدل نفساً ملك نفساً. ولـيس الناشـئ بأنفس من قدس المعرفة، ولا لك نفس أنفس من نفسك، وما تشتمل عليه صورتك. فإن بـدلت ذلك زوّجتك بكريمة مولاي هذا فلان الذي أعني السيّد، فإنْ أبيت فهذا إليك.

فإنْ وجد منه منع فيأمر (الإمام) يقيمه ويحصل له من الجماعة المتمرين (الذين دفعوا النفقة) ما أخرجه من النفقة، فيعاد إليه. وإنْ طاع فيلزم يده اليمين (أي يقبّل يد الإمام). ويقول (الإمام): زوّجتك بأمر الله ومشيئته متّبع لسنّة رسوله كريمة مولاي فلان إلى ما استودعه الله لك عنده وهي أمانة مبلّغة إلي أمر الله... وإن الله أثبت لك أمراً لا شك فيه، وهو نور المعرفة

---

(٢) الإمام والنقيب والنجيب هم رؤساء الدين عند النصيريين.
(٣) سورة النجم ٥٣ / ٥.
(٤) حديث نبوي.
(٥) آل عمران ٣ / ١٨.
(٦) النكاح هو الجماع الشرعي بين الرجل والمرأة. هنا هو نكاح الدين أي جماع بين الإمام والطالب، أو بين العالم والمتعلّم. وفي مخطوط ٥١٨٨ من المكتبة الوطنية بباريس ص ١٣٢ هذا التوضيح: « يكون العالم ذكراً والمتعلّم أنثى. والنكاح هو مطارحة العلم أي إشراك العلم وإعطاؤه ».

وحقيقة الإيمان. ولم يزل ذلك النور ينمو ويتربّى في نفسه وتقوى حرمته وإرادتــه لاتّصــال مستحقّه وظما نفسه لطالبه وحصل الاستعداد لقوله وهو وقوع النطفة وتربية الجنــين لقولــه تعالى: حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً[٧]، وهو ايضاع نور قدس المعرفة، وهي تربية نفسه، وهو بدء نور أقرّه الله تعالى لك في هذا التكمّل في زمان يحصره مدّة أقلّهــا ســتة أشــهر، وأوسطها تسعة أشهر، وأكثرها أربع سنين. فيرجى ما بين ذلك.

فقد قيل: إن لكل قضاء قدراً ولكلّ قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يريد وعنده أم الكتاب[٨] على صدق مبلغه اسمك وجسمك وروحك ونفسك وعقلك وذهنــك وفهمك وعلمك واعتقادك ودينك ودنياك ومعادك وسرّك وجهرك وجملة ما يشتمل عليه هيكله ظاهراً وباطناً. أقبلت هذا النكاح ورضيت به؟ فإذا قال نعم، فيقبّل ما بين عينيه (أي الإمام هو الذي يقبّل) ويقول (الإمام) له: بارك الله فيك ولك فيما أنت طالبه وسير لك الاستعداد لقبولــه. ثم يتلو عليه: إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة[٩].

ثم يقيمه النقيب إلى سيّده ويقبّل يده ورجله والأرض بين يديه. فإذا فعل ذلك فيقول له السيّد : قمْ وفّقك الله. وأمره بشرب سرّ الإمام. فيعتزل ويقف بطرف المجلس ويشــرب ســرّ الإمام وسرّ سيده وسرّ الجماعة: « سركم أحسن الله معادكم، وسرّ دينكم وسرّ اعتقادكم، وأنــا عبدكم وتحت طاعتكم ». بعد أن يشرب يقبّل أياديهم وأقدامهم. أوّلاً الإمــام، ثــم الجماعــة. والجماعة

---

(٧) سورة الأحقاف١٦ / ٤٥.
(٨) انظر السور القرآنية التالية: ٣ / ٧، ١٣ / ٣٩، ٤٣ / ٤.
(٩) سورة التوبة ٩ / ١١١.

بأسرهم يشربون سرّ القبول لسيّده، ويقولون: سرّك يا فلان وسرّك وسرّ قبولـــك. ويـــا أيهـــا التلميذ هنّئت بالوصول. ثم إنهم يجلسون حيث ما كانوا ويحضـــر مـــا تيسّـــر مـــن الطيـــب والبخور[١٠]. ثم يكتب النقيب التاريخ: الوقت الذي هم فيه واسم الشهر لئلا يقع خلف في المدة والشهور إلى ليلة السماع. وإنْ حضر من حضر ولم يحضر التعليـــق فـــلا بـــأس أن يقلّـــد الحاضرين ويشهدوا على شهادتكم، وإنْ لم يؤثّر ذلك فلا إكراه في الدين.

فهذا معنى التعليق. ثمّ وكمّل ».

نستطيع أن نضيف على هذه الرتبة بعض التوضيح والملاحظات. فمعرفة الدين مناطة بالرجال دون النساء، وبالرجال المعدّين لذلك. وعلى من يتسلّم الدين أن يولـــد مـــن أب وأم نصيريين. والرجال النصيريون الذين يتزوّجون نساء غير نصيريات لا يستطيعون أن يسلّموا الدين لأولادهم. ثم إنّ الوالد لا يستطيع أن يسلّم الدين لولده، بل على الوالد أن يدبّر لولده والداً روحيّاً يقوم بهذه المهمّة.

يخلق تسلّم الدين قرابة روحيّة بين الطالب و « العمّ السيّد »، بنـــوع أنّ الطالـــب لا يستطيع ان يتزوّج بنات مرشده اللواتي أصبحن أخواته بالروح. وعلى « العمّ السيّد »، إذا ما سافر وترك الطالب، أن يُعلِمَ الامامَ بذلك، ليدبّر للطالب « سيداً » آخر يكمّل تدبيره، أو يحلّه من الدين. « ولا يجوز للولد أن يتخلّى عن السيّد إلاّ بأذنه. فإنّ منزلته مـــن ســـيّده بمنزلـــة الزوجة من البعل والطلاق للرجال لا للنساء »[١١].

---

(١٠) الطيب والبخور من مقوّمات « القداس » عند النصيريين. تراها في مكانها.
(١١) المخطوط ١٤٥٠، ص ١٦٠ أ.

ثانياً: رتبة « السماع »

رتبة السماع معناها السماع المتبادل بين الإمام وتلميذه. هذا يسمع النصـائح ويقـوم بوفاء العهد والميثاق، وذاك يُسمِعُ تلميذَه الوعظَ والارشاد ويأخذ عليه العهد والميثاق. وهـي تجري كما يلي:

ينهض النقيب وينبّه كل نائم للقيام، ويُجري الرتبةَ في وقت السحر، ويجلس الإمـام، وتحضر الجماعة، ويحضر النقيب الطالب بين يدي الإمام. ويضع الطالب يده في يد الإمـام، ويتلو الإمام هذه الآية من القرآن: « إنّ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. يد الله فوق أيـديهم. فمن نكث فإنّما ينكث عن نفسه. ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجـراً عظيمـاً »[1]، واعلم، وفّقك الله، إنّك قد أهّلت نفسك لطلب أمر عظيم وخطب جسيم، لا يحمله إلاّ كل مَلَـك مقرّب أو نبيّ مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالعلم والإيمان.

فأخبرني ما الذي قد ثبت عندك وتصوّر في ذهنك ونفسك؟ وما أنت طالبه؟

وبعد أن يفهّمه النقيب ما يجب أن يجيب به الإمام، وإذا ما حسن حسن جوابه، يتلـو الإمام عليه قول الله: « إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً »[2].

(١) سورة الفتح ٤٨ / ١٠.

(٢) سورة المزمّل ٧٣ / ٥.

فإذا قال: « ستجدني إن شاء الله من الصابرين »[٣] يقول الإمام: اعلم، وفّقك الله، إنك طالب أمر عظيم تحتاج معه إلى أن تقيم الصلاة بأوقاتها، وتؤدّي الزكاة إلى أربابها، وتواظب على المفترضات، وتتجنّب الباطل والمحذورات، وتعتمد على الحق وتفعله. وايّاك الكذب، فإنه شين الرجال وجلبات أهل المحال وسلاح المنافقين، وتجنّب الفسق... ويجب أن لا تتكبّر على أحد من المؤمنين...

بعد هذا يأخذ الإمام على الطالب العهد والميثاق...

ثم يقول له النقيب: جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وعقده وذمّته وذمّة رسول الله. والله، والله، والله، ويا من الله، وبالله... إنّك تسترجع ما سمعته وعلمته ولقّنته من أمر داعيك وإمام زمانك الذي أخرجك من العدم إلى الوجود، ومن النحوس إلى السعود... والله والله والله، وبالله إنك وكيل على هذا العقد أنْ لا تهدمه ولا تذيعه... قل نعم على أنّك لا تذيع علينا شيئاً من هذا العقد لا في حياتنا ولا بعد وفاتنا، ولا على حال غضب ولا على حال رضا، ولا على حال مناؤة ولا على حال رهبة، ولا على حال رغبة، ولا على حال شدة، ولا على حال طمع، ولا على حال حرمان... فإني والله والله والله إني لا أذيعه إلى مخلوق بلسان، ولا أكتبه في صحيفة، ولا بيدي، ولا أسعى في حق هذه الطائفة بسوء ولا أكشف ما أوعزتموه إليّ واستكتمتوني إياه إلى مخلوق. فإن خالفت ما أمرناك به وأنت على ما ذكرته، فإنك برئ من الله خالق السماوات والأرض الذي خلقك وأحسن إليك في دينك ودنياك...

---

(٣) سورة الصافات ٣٧ / ١٠٢.

وبعد حلفان معظّم، يقول النقيب: افهم ما يجب لسيدك عليك. ثم يعظــه بعــد اليمــين ويقول له: اعلم، وفقك الله، إن سيّدك هو ربّك ونبيّك ورسولك. ليس هو إلهــك وخالقــك... وعليك أن تكون داعياً لسيّدك، شاكراً متودّداً، وأن تغفر زلّته، وترحم عبرته، وتستر عورته، وتقيل عثرته، وتقبل معذرته، وتعوده في مرضته، وترد غيبته، وتصدق نصــيحته، وتقبــل هديته، وتشكر نعمته، وتحفظ خليلته، وتشهد موتته، وتجيب دعوته، وتحسن نصرته، وتقضي حاجته، ولا تهتك له ستراً، ولا تكشف له سرّاً، ولا تحفر لأخيك بئراً...

وبعد انتهــاء النصائح، يقيمه النقيب إلى بين يدي الإمام الــذي يتلو عليه من القرآن: « وأخذ ربّك ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيّنه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا بها ثمناً قليلاً »[٤].

ثم إن سيّده يفتح عليه الفتح. ويقبل بعد ذلك الطالب، ثم يقبل الطالب الأرض بين يدي سيّده، ويقبل رأس الإمام ويده.

ثم يأمر الإمام النقيب أنْ يناول الطالب قدحاً من الخمر فيشرب الطالب سرّ الإمام، ثم قدحاً ثانياً ليشرب سرّ سيّده مرشده، ثم قدحاً ثالثاً ليشرب سرّ الجماعة.

ثم ينهض كل واحد من الجماعة ويشرب سرّ القبول، ويقبّلوا الإمام إلــى أن ينتهــي الجميع. ثم يأمر الإمام الجميع بالانصراف[٥].

(٤) سورة آل عمران ٣ / ١٨٧ ببعض التصرّف.
(٥) ترى « معرفة التعليق » و« رتبة السماع » في مخطوط مكتبة باريس الوطنية رقم ١٤٥٠، في كتاب المناظرة ص ١٦٠ ـ ١٦٧. وقد نقلناها بإيجاز، رغم كونها غير كاملة بالنسبة إلى ما يفيدنا فيه الاذني.

ثالثاً: رواية سليمان الأذني

يقول سليمان الأذني عن طريقة تسلّمه الدين النصيري، وقد بلغ الثامنة عشرة: « إنّي ولدت في مدينة انطاكية سنة ١٢٥٠ هجرية، وأقمت فيها نحو سبع سنين، ثم انتقلت إلى أدنه. ولمّا بلغت السنة الثامنة عشرة من العمر أخذ بنو طائفتي يطلعونني على أسرارهم الباطنية التي لا يكشفونها إلاّ لمن بلغ هذا السنّ أو سنّ العشرين.

وفي ذات يوم اجتمع منهم جمهور من الخاصة والعامة واستدعوني إليهم وناولوني قدح خمر. ثم وقف النقيب بجانبي، وقال لي: قل بسرّ إحسانك يا عمّي وسيّدي وتاج رأسي، أنا لك تلميذ وحذاؤك على رأسي. ولما شربت الكأس التفتَ إليّ الإمام قائلاً لي: هل ترضى أن ترفع أحذية هؤلاء الحاضرين على رأسك إكراماً لسيّدك؟ فقلت: كلاّ، بل حذاء سيّدي فقط. فضحك الحاضرون لعدم قبولي القانون. ثم أمروا الخادم فأتى بحذاء السيّد المذكور، فكشفوا رأسي ووضعوه عليه، وجعلوا على الحذاء خرقة بيضاء. ثم أخذ النقيب يصليّ علي لكي اقبل السرّ. ولمّا فرغ من الصلوة رفعوا الحذاء عن رأسي وأوصوني بالكتمان وانصرفوا.

فهذه الجمعية يسمّونها: المشورة.

ثم بعد أربعين يوماً اجتمع جمهور آخر واستدعوني إليهم ووقف السيّد

بجانبي وبيده كأس خمر، فسقاني الكأس، وأمرني بأن أقول سرّ ع م س. أمّا العين فهي عليّ ويسمّونه المعنى. وأما الميم فهي محمّد ويسمّونه الاسم والحجاب. وأمّا السين فهي سلمان الفارسي ويسمّونه الباب. ثم بعد ذلك قال لي الإمام: إنه فرض عليك أن تتلو هذه اللفظة، وهي سرّ عمس كل يوم خمسمائة مرة. ثم أوصوني بالكتمان وانصرفوا.

وهذه الجمعية الثانية يسمّونها بجمعية المليك.

ثم بعد سبعة أشهر (والمدة للعامة تسعة أشهر) اجتمع جمهور آخر أيضاً واستدعوني حسب عادتهم وأوقفوني بعيداً عنهم ونهض وكيل من بين الجماعة والنقيب عن يمينه والنجيب عن شماله وبيد كلّ منهم كأس خمر واستقبلوا نحو الإمام مترنّمين الترنيمة الثالثة التي هي للحسين بن حمدان الخصيبي... وبعد ذلك توجّهوا نحو المرشد الثاني مترنّمين له هذه الترنيمة:

سألت عن المكارم أين حلّوا بعض الناس دلّوني عليكا
بحقّ محمّد مع آل بيته أرحم من أتى يقبّل يديكا
قصدتك لا تخيّب فيك ظنّي نحن اليوم محسوبين عليكا

ثم وضعوا أياديهم على رأسه وجلسوا. وأما هو فنهض قائماً، وأخذ القدح من الوكيل، وخرّ ساجداً، وقرأ سورة السجود، وهي الفصل السادس(١)، ورفع رأسه، وقرأ سورة العين، وهي الفصل التاسع، ثم شرب الكأس وقرأ سورة السلام، وهي الفصل السابع.

ثم قام متوجهاً نحو الإمام قائلاً: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام. فقال له الإمام: ينعم عليك وعلى من حواليك. لقد علمتَ ما لم تعلمه هذه الجماعة لأنك أخذت القدح بيدك وشربتَ وسجدت وسلّمت ولله السجود. فما هي حاجتك وماذا تريد! فقال: أريد أن أتمّسى بوجه مولاي. ثم

انصرف ونظر نحو السماء ورجع إليهم قائلاً: نعم نعم نعم يا سيدي فأجابه الإمام كالأول: ما حاجتك وماذا تريد؟ فقال لي حاجة أريد قضاها. فقال اذهب اقضها. ثم انصرف عنهم ودنا مني لكي أقبّل يديه ورجليه فقبّلتهما ورجع إليهم أيضاً وقال: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام. فقال له الإمام: ما مرادك وماذا تريد؟ فأجابه إنه تراءى لي شخص بالطريق فقال: ألم تسمع ما قال سيّدنا المنتجب الدين « العاني »: الليل يجزع منه كل صنديد. فأجاب لي قلب قويّ ولا خوف عليّ. ثم نظر إليّ أيضاً والتفت إليهم وقال: هذا الشخص اسمه فلان، وهو قد أتى ليتأدب أمامكم. فقال: من دلّة علينا؟ فأجاب: المعنى القديم والاسم العظيم والباب الكريم. وهي لفظة عمس. فقال الإمام: أئت به لنراه. فأخذ المرشد بيدي اليمنى وذهب بي إلى الإمام. فلما دنوت منه مدّ لي رجليه فقبّلتهما ويديه أيضاً. وقال لي: ما حاجتك وماذا تريد أيها الغلام؟

ثم نهض النقيب ووقف بجانبي وعلّمني بأن أقول: بسرّ الذي أنتم فيه، يا معاشر المؤمنين. ثم نظر إليّ بعبوسة وقال: ما الذي حملك على أن تطلب منّا هذا السرّ المكلّل باللؤلؤ والدرّ ولم يحمله إلاّ كلّ ملاك مقرّب أو نبي مرسل؟ أعلم يا ولدي إن الملائكة كثيرون ولا يحمل هذا السرّ إلاّ المقرّبون. والأنبياء كثيرون وليس منهم من يحمل هذا السرّ إلاّ المرسلون. والمؤمنون كثيرون وليس منهم من يحمل هذا السرّ إلاّ الممتحنون أتقبل قطع الرأس واليدين والرجلين ولا تبيح بهذا السر العظيم؟ فقلت له: نعم. فقال لي: أريد منك مائة كفيل. فقال الحاضرون: القانون يا سيدنا الإمام. فقال: اكراماً لكم ليكن اثنا عشر كفيلاً. ثم قام المرشد الثاني

---

(١) هذه السور موجودة في كتاب المجموع. تراها في آخر الكتاب.

وقبّل أيدي الاثني عشر كفيلاً، وأنا أيضاً قبّلت أيديهم. ثم نهض الكفلاء وقالوا: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام. فقال الإمام: ما حاجتكم أيّها الشرفاء؟ قالوا: أتينا لنكفل فلاناً. فقال: إذا باح بهذا السرّ أتأتوني به لكي نقطعه تقطيعاً ونشرب دمه؟ فقالوا: نعم. فأجاب وقال: لست اكتفي بكفالتكم فقط بل أريد اثنين معتبرَين يكفلانكم. فجرى واحد من الكفلاء وأنا وراءه وقبّل أيدي الكفيلين المطلوبين وقبّلتهما أنا أيضاً. ثم نهضا قائمين وأيديهما موضوعة على صدريهما، فالتفتَ إليهما الإمام وقال: الله يمسيكما بالخير أيها الكفيلان المعتبران الطاهران أهل البرش والكرش فماذا تريدان؟ فأجابا: إننا قد أتينا لنكفل الاثني عشر كفيلاً وهذا الشخص أيضاً. فقال: فإذا هرب قبل أن يكمل حفظ الصلوة أو باح بهذا السرّ، هل تأتياني به لنعدم حياته؟ فقالا: نعم. قال الإمام: إن الكفلاء يفنون وكفلاء الكفلاء يفنون، وأنا أريد منه شيئاً لا يفنى. فقالا له: افعل ما شئت. فالتفت إليّ وقال: ادنِ مني يا غلام. فدنوت منه، وحينئذ استحلفني بجميع الأجرام السماوية بأني لا أبيح بهذا السرّ. ثم ناولني كتاب المجموع في يدي اليمنى وعلّمني النقيب الواقف بجانبي أن أقول: تفضّل حلّفني يا سيدي الإمام على هذا السرّ العظيم وأنت بريء من خطيئتي. فأخذ الكتاب مني وقال: يا ولدي احلّفك ليس لأجل مال ولا جوار بل لأجل سرّ الله فقط كما حلّفنا مشايخنا وساداتنا. وهكذا تكرر العمل والقول ثلاث مرّات. ثم وضعت يدي على « المجموع » ثلاث مرّات حالفاً به له أنْ لا أبيح بهذا السرّ ما دمت حيّاً...

ثم قال الإمام: اعلم يا ولدي أن الأرض لا تقبلك فيها مدفوناً إنْ أبحت بهذا السر ولا تعود تدخل القمصان البشرية، بل حين وفاتك تدخل

قمصان المسوخيّة وليس لك منها نجاة أبداً.

ثم أجلسوني بَيْنَهم وكشفوا رأسي ووضعوا عليه غطاءً، ثم إن الكفلاء وضعوا أيـديهم على رأسي، وأخذوا يصلّون فقرأوا أوّلاً سورة الفتح والسجود والعين، ثم شربوا خمراً وقرأوا سورة السلام، ورفعوا أيديهم عن رأسي وأخذني عمّ الدخول وسلّمني إلى مرشدي الأول، ثـم أخذ بيده كأس خمرٍ وسقاني وعلمني أنْ أقول: بسم الله، وبالله، وسرّ السـيّد أبـي عبـد الله، العارف بمعرفة الله، سرّ تذكاره الصالح سرّه أسعده الله.

ثم انصرفت الجماعة وأخذني السيد إلى بيته واسمه أحمد أفندي بن رضوان آغا مـن أعيان مدينة أدنه، والمرشد الثاني اسمه الشيخ صالح الجبلي رئيس الرمالين. ثم ابتـدأ السـيد يعلمني أوّلاً التبرّى، وهو سورة الشتائم... وحينئذ اطلعني على صلاتهم المشهورة...[٢].

******

أنت ترى بعض الفروقات بين رواية الاذني ورواية المخطوط ١٤٥٠. ومردّ ذلك إلى كون الأذني ينقل إلينا ما عند الشماليين، والمخطوط ينقل مـا عنـد الحيـدريين. الشـماليون والحيدريون هما قسمان كبيران في المذهب، لكل منهما نظرة مختلفة في الديانة وفي العقيدة، وممارسات خاصّة للعادات والاحتفالات الدينيّة، نراها في حينها.

---

(٢) كتاب الباكورة السليمانيّة في كشف أسرار الديانة النصيرية ٢ ـ ٧.

رابعاً: دور الإمام

يرأس الجماعة المؤمنة إمام، يتّصف بصفات روحية وخلقية وعقلية هامّة، وتقع عليه مستلزمات الإيمان وفروضه، ويترتّب عليه واجبات نحو جماعته تضعه في منتهى المسؤوليّة. فهو سيّد الجماعة، ورئيسهم، ومربّيهم، والمسؤول عنهم، ومحقّق طموحهم. وهو القيّم على أمور الدين، وكتمان سرّ الديانة، ومعلّم فروضها وواجباتها، وكاهن أسرارها، ومنشّئ رجالها، ومدرّب عقّالها... وبالجملة، الإمام هو نائب الله على الأرض.

جاء في « شرح الإمام »[١] إن « الإمام يحتاج إلى الصبر والاناة والعلم والرأي والفطنة والذكاء والعفة والمروّة والشجاعة والسخاء والتدبير والسياسة والأدب... وينبغي أن يجمع شروط العدالة، وشروط المؤذّن الذي يدعو إلى الصلاة والفلاح، وشروط الأمناء والثقاة لأن عنده دين الله وسرّه وخزائنه، وينبغي أن يجمع شروط المجاهدين... فإنّه هو الطبيب للأرواح. وينبغي أن يكون فيه شروط المنجّم فإنه هو منجّم الدين ومهندس العقول، وشروط التأليف فإنه هو مؤلّف الكلمات العقلية.

وينبغي أن يكون فيه حرص للزراعين ومعرفتهم في الأراضي وأوقات الزراعة وسقايتها، فإنه يحرث الدين ويعمّر الدين بالحقيقة ويحفر الأنهار

---

(١) « شرح الإمام » مخطوط المكتبة الوطنية في باريس، رقم ١٤٥٠، صفحة ١٥٥ ب ـ ١٥٨ ب.

ليجري فيها الماء الحقيقي الذي هو علم الباطن... وينبغي أن يكون فيه شروط الرعاة في حفظ الأغنام ورعيّتها لأنه بالحقيقة. وقد قال جعفر الصادق: « كلّ مسؤول عن رعيته والحق موجود لطالبه ».

فهذه هي شروط الإمامة وفضائل الإمام. ولا يليق لإمام أن يكون فيه نقص من دنيا ولا من دين، بل يكون كامل الخلقة والخلق والدين. ولا يكون همّازاً لمّازاً، ولا غمّازاً ولا نمّاماً، ولا فاسقاً ولا مرتاباً ولا مرائياً، ولا صاحب ضحكة، ولا ميالاً ولا صاحب وجهين...

ومن لا يكون بهذه الفضائل والصفات لا يجوز له أن يتأمّم ــ أي يصبح إماماً ــ في جماعة... »

وفي كتاب « المناظرة »[٢] ذكر ما يجب أن يقوم فيه الإمام، إذ لا يتقدّم أحد على جماعة إلاّ بعد أن يتبيّن علمه، ويظهر فعله. والعلماء ورثة الأنبياء والأوصياء. وهم أنوار الله في عالمه.

وممّا في كتب النصيريّة من أعمال الإمام ودوره بعض ما يجب عليه من واجبات. فـ« واجب على الإمام إذا حضر مجلس الحكم والعدل أن يأمر النقيب أن يأمر الجماعة قبل اشراع الطعام أن يتفقّد من كان حاضراً وغائباً. ويساوي بين الغني والفقير. ومن كان له دعوة على أحد من الإخوان، فيقف هو وخصمه بين أيدي الإمام ويتحاققوا على أخذه واعطاه. فمن ثبت عليه الجريمة والخطأ والظلمة فيقطعوه، إماماً كان أو نقيباً. فإن كان إماماً فينيّب مكانه نائب، وكذلك النقيب. ولا يقول الحاكم ما صحّ عندي لأن الحكم له

---

(٢) كتاب « المناظرة »، مخطوط باريس ١٤٥٠، ص ٦٧ ـ ١٥٥.

لا لغيره؛ ومتى بدا من أحد من الجماعة ذنب فيوجب المقاطعة فيقطعوه ليتأدّب به غيره.

وبعد أداء الفريضة يأمر الإمام للنقيب أن يأمر الجماعة: من كان له سؤال واجب فيقوم إلى بين يدي الإمام ويشرب سرّه ويقبّل يده، ويسأله عمّا بدا له، فإن كان السؤال ممّا لا يمكن لضعف الجماعة فيورد على الجميع، وإن كان السائل لا يحمل جواب ما سأل عنه لقصر فهمه وسقوط درجته، فلا بأس أن يقول له: الله وملائكته وأولو الأمر من المؤمنين، ما عندي جواب ما سألت عنه. وإنْ كانت الجماعة لا تحمل الجواب فيردّ منه إليه عند حركة الشهوة، ويحضروا من كان من المتعلّقين، وطلاّب العلم، ويذكرون أخباراً تحرّضهم على المعرفة، وأشعاراً تشوقّهم. فإذا غلب عليهم الشراب فيصرفون من كان من الضعفاء، فيتذاكروا في ذلك اليوم. وبعد ذلك يأمر النقيب الجماعة بالمسائل والمباحثة والمطارحة في العلم والتمتّع بالنظر بعضهم ببعض.

وهكذا تكون مجالس المؤمنين وسيرة الموحّدين »[٣].

ثم نقل إلينا سليمان الاذني نظرة العامّة إلى أئمّتهم فقال: « وهؤلاء الائمّة مهما رسموا من الطقوس أو غيرها، فالعامّة تصدقه وتقبله بكل رضى، لظنها بأنّهم لا يغلطون. ثم بعد وفاة هؤلاء الأئمة تنتقل وظيفتهم إلى خلفائهم. وكثيرون من العامّة يعتقدون بأن الشيوخ لا يغيطون، كما كنت أعتقد بهم. كذلك لمّا كنت حديث السنّ وصار بيني وبين بعض الناس شروط

---

(٣) انظر مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٥٠ ص ٧٨ ب ـ ٧٩ ب.

بشأن ذلك. ثم أتانا إمام منهم اسمه (فلان)... فراقبته ورأيت أنّه لا يفرق عن بقيّة الناس بشيء من هذا القبيل. وما شاهدت شيئاً يثبت فكري بهذه القضيّة، فاطّلعت على غيره فكان منه كما كان من الأول »[٤].

ويثبت قول الاذني مخطوط ببرلين يقول: « والنصيرية، بوجه العموم، يعتقدون بمشايخهم أنّهم يفهمون المستقبل. ولا بدّ لكلّ إنسان منهم أن يستشير الشيخ في كلّ عمل يصنعه. حتى إذا أحد منهم أراد أن يبني بيتاً لا بدّ من أن يستدعي الشيخ يحسب له إنْ كان يوضع الباب غرباً أو شرقاً أو قبلةً أم شمالاً. وإذا أراد أحد يتزوّج بنتاً فَقَبْلَ أن يخطبها يستشير الشيخ عنها إنْ كانت هي ذات سعد أو نحس. وإذا أحد أراد أنْ ينتقل من قرية إلى قرية أخرى أو من محلّ لمحلّ آخر لا بدّ من أن يستشير الشيخ إنْ كان النقلة توافقه بأوّل القمر أم بآخره أم بنصفه. وعلى حسبما يرشده ذلك الشيخ يفعل الرجل »[٥].

ثم لا يكون عيد أو احتفال أو اجتماع أو مناظرة إلاّ برئاسة إمام، أو من ينوب عنه، ويعاون الإمام في إدارة الجماعة المؤمنة ومجالس المؤمنين نقيب ونجيب. هذان يقومان بخدمة المؤمنين لقاء جعل معيّن، ويعلّمان العامّة حفظ الشريعة دون العقيدة التي هي من شأن الخاصّة منهم. وعبء تسليم الدين يقع على الثلاثة معاً الذين يختارون لذلك من ينوب عنهم كـ« العمّ السيّد » و « المرشد » و « الوكيل » . فالإمام يمثّل عليّاً، والنقيب محمّداً، والنجيب سلمان. وللنقيب ١٢ تلميذاً يُسمّون: الناجي، الحامد، الدليل، الغافر، الراجي، البشير، النذير، الكافل، المجيب، الخامد، المحيّي، الراهب.

---

(٤) الباكورة، ص ٥٦.

(٥) مكتبة برلين الملكية رقم ٤٢٩١ ص ٥٦.

الفصل الخامس

مراتب النصيريّين

أوّلاً : مراتب العلم النوراني

ثانياً : مراتب العالم البشري

ثالثاً : التدرّج في المراتب

[Blank Page]

أوّلاً: مراتب العالم النوراني

« إن العوالم هي كثيرة، لا يعلم عددها إلاّ خالقها. ومنها العالم الكبير النوراني، والعالم الصغير البشري الترابيّ الجنس »[١].

أمّا العالم الكبير النوراني فهو السماء التي هي نور الأنوار. وهو يحتوي على سبع مراتب قبل ظهورهم في العالم البشري. وهم: الأبواب، والأيتام، والنقباء، والنجباء، والمختصّون، والمخلّصون، والممتحنون. هذه المراتب ظهرت مع ظهور الله في الطبيعة البشريّة، وتجلّت في أشخاص معيّنين معروفين في التاريخ النصيري. كل مرتبة من هذه المراتب لها عملها، ولها علمها. وعددها، حتى الظهور الإلهي الأخير محدود.

١ ــ مرتبة الأبواب، يستمدّ الباب نوره من الاسم. كان ظهوره في التجلّي الإلهي الأخير في سلمان الفارسي. النصيري المؤمن يستطيع إذا ما علا في تجوهره بلوغ هذه المرتبة الإلهيّة والاستقرار في غبطته فيها. لكن هذا لا يعني مقدرته على الحصول عليها، لأنها مرتبة إلهيّة لا بشريّة. إلاَّ إنّه في حال بلوغها « يكون معايناً بالنظر. يكون إنْ شاء غائباً وإنْ شاء حاضراً وشاهداً وثابتاً وغائباً ومعايناً ومستمعاً، لا يغرب عليه شيء من طلبته وإرادته وبغيته. ويكون عند ذلك سبب من أسباب الله، وحجة على أوليائه، ونقمة على أعدائه، وسراجاً يُستضاء به، ومكاناً يشار إليه، ومقصداً

(١) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤال ٥٣ ص ١٣ أ.

ومطلباً... فإنه إذا تكاملت به السبع العقاب[٢] فإنما وراءها ظهور مولاه، وعيانه إيّاه، وسماعه لخطابه، وبلوغه إرادته... فإنه إذا صار إلى ذلك العقبة السابعة وحصل فيها، فقد خرج عن التعبّد[٣]، وصار حرّاً محرّراً، أعلم ما علم، فاستغنى عن التعليم، وبصر فأبصر، فغني عن مبصر... »[٤].

«... فإذا صار إلى العقبة السابعة وحصل فيها ودخل المحل الأعلى... وصفا وتخلّص وعاد إلى جوهره فعند ذلك يظهر له الاسم وهو الحجاب فيعاينه ويشاهده ويشهد أفعاله ويطلعه على علم تكوينه... ويعرفه بتقلّبه من حال إلى حال... ويعلم حيث يحلّ مولاه وحجابه وبابه. فإذا أراد حضوره حضر، وإنْ أحب أقامه بمكان من الأماكن، وإنْ أنس إلى البشرية باشرهم ويؤنسهم بنفسه ويعرفهم ويشهد لهم... يجلس بين أقوام فيحادثهم ويكلّمهم بلسان من الألسن الجارية فيما بينهم، وينصرف عنهم فلا يروه ولا يعلمون به... »[٥] عدد الأبواب أربعمائة.

٢ً ــ مرتبة الأيتام الخمسة. كان الأيتام في كل ظهور إلهي عبر التاريخ النصيري. وقد تجسّدوا، في الظهور العلوي الأخير في أشخاص خمسة هم: المقداد الذي يستمد نوره من نور الباب، وأبو الدرّ يستمدّ نوره من المقداد، وعبد الله بن رواحة يستمد نوره من أبي الدرّ، وعثمان يستمد نوره من عبد الله بن رواحة، وقنبر يستمدّ نوره من نور عثمان. كل واحد من هؤلاء الأيتام الخمسة يتولّى مهمّة معيّنة في الخليقة، ويهتمّ

---

(٢) العقاب جمع عقبة، وهي منزلة من منازل الصراط.
(٣) التعبّد يعني العبودية ضد الحريّة.
(٤) كتاب الصراط ص ٩٣ ب ـ ٩٦ أ.
(٥) المرجع نفسه ص ٩٨ أ و ب.

بمرتبة من المراتب التالية. فالمقداد يتولّى مرتبة النقباء، وأبو الدرّ مرتبة النجباء، وعبد الله بن رواحة مرتبة المختصين، وعثمان مرتبة المخلصين، وقنبر مرتبة الممتحنين.

سمّاهم الباب أيتاماً لأنهم « أيتموا بالباب وأيتم بهم من كان بعدهم من أهل المراتب »[٦]. عدد الأيتام « خمسمائة ولها سبعة من الدرَج، وهم المشارق والمغارب والأقمار والأهلّة والنجوم والرعود والبروق »[٧].

٣ً ــ مرتبة النقباء. وهم اثنا عشر نقيباً، وإنّما سمّوا نقباءً لأنهم نقّبوا عمّا في الصدور، من قول الله: « نقّبوا في البلاد هل من محيص »[٨]، أي ليس ثمّة شيء يحيص عن معرفة النقيب، أعني بذلك أن جميع المراتب التي من دون النقباء لا يخرجون عن معرفة النقيب. عدد النقباء ستمائة، و « لها سبعة من الدرج، وهم الصلاة والزكاة والحج والصيام والهجرة والجهاد والدعاء »[٩].

٤ً ــ مرتبة النجباء. يستمدون نورهم من نور النقباء. سُمّي النجيب نجيباً لأنه نجّب وسعى إلى معرفة باريه واسمه وبابه ومن يليهم من المراتب. عددهم سبعمائة « ولها سبعة من الدرج وهم: الجبال والمعصرات والبحار والأنهار والرياح والسحاب والصواعق »[١٠].

(٦) رسالة البيان ص ٥٥ أ ـ ٥٨ ب.
(٧) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٨.
(٨) سورة ق ٥٠ / ٣٦.
(٩) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٩.
(١٠) المرجع نفسه، سؤال ٦٠.

٥ً ــ مرتبة المختصّين. تستمدّ نورها من النجباء. سُمّي المختصّ مختصّاً لأنه اختصّ ابتداء، أيّ أوّل من اختصّ بمعرفة الباري واسمه وبابه ومن يليه من أهل المراتب بعده. هــم « ثمان مائة ولها سبعة من الدرج، وهم: « الليل والنهار والغداء والعشاء والغدو والأصــيل والسيل »(١١).

٦ً ــ مرتبة المخلّصين، يستمدون نورهم من المختصين. سُمّي المخلّص مخلّصاً لأنه أخلص لباريه واسمه وبابه. هم « تسعمائة ولها سبعة من الدرج وهم: الأنعام والدواب والإبل والنحل والطير والصوامع والبيع »(١٢).

٧ً ــ مرتبة الممتحنين. يستمدون نورهم من المخلصين. سُمّي الممتحن ممتحناً لأنــه كان سابع سبع مراتب، فامتحن فيها فثبت وحمل أمر الامتحان ولحق من تقدمه من المراتب. عددهم « ألف ومائة، ولها سبعة من الدرج وهم: البيوت والمساجد والنخل والأعناب والرمان والزيتون والتين »(١٣).

« فهــذه السبعة مراتب. وكل مرتبة لهــا سبع درجــات. الجملة تســعة وأربعــون درجة »(١٤). عدد المراتب جميعها: خمسة آلاف مرتبة في العالم النوراني العلوي.

---

(١١) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦١.
(١٢) نفس المرجع، سؤال ٦٢.
(١٣) تعليم الديانة، سؤال ٦٣.
(١٤) نفس المرجع، سؤال ٦٣.

ثانياً: مراتب العالم البشري

أمّا العالم الصغير البشري الترابيّ الجنس فهو الأرض[١]. وهو يحتوي علـــى ســـبع مراتب، هي:

١ً ــ المقرّبون. سُمّوا كذلك لأن الله قـــال فيهم: « والســـابقون الســـابقون، أولئـــك المقرّبون »[٢]، ولأنّهم سبقوا جميع المراتب البشريّة إلى معرفة باريهم واسمه وبابـــه ومـــن سبقهم من المراتب. عددهم أربعة عشر ألفاً[٣].

٢ً ــ الكاروبون. سُمّوا كذلك لأنهم رفع عنهم كرب البشرية لمّا عرفوا باريهم واسمه وبابه ومن سبقهم من المراتب. عددهم خمسة عشر ألفاً[٤].

٣ً ــ الروحانيون. سُمّوا كذلك لأنهم راحوا إلى النورانية لمّا عرفوا باريهم واســـمه وبابه ومن سبقهم من المراتب. عددهم ستة عشر ألفاً[٥].

٤ً ــ المقدّسون. سُمّوا كذلك لأنهم قدّسوا بروح القدس. ولأنهم عرفوا باريهم واســـمه وبابه من سبقهم من المراتب. عددهم سبعة عشر ألفاً[٦].

---

(١) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٥.
(٢) سورة الواقعة ٥٦ / ١٠.
(٣) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦٥.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) المرجع نفسه.

ً٥ ـــ السائحون[٧]... عددهم ثمانية عشر ألفاً[٨].

ً٦ ـــ المستمعون. سُمّوا كذلك لأنهم سمعوا النداء فاستجابوا إليه لمّا عرفـوا بـاريهم واسمه وبابه ومن سبقهم من المراتب. عددهم تسعة عشر ألفاً[٩].

ً٧ ـــ اللاحقون. سُمّى الله لاحقاً لأنه لحق بالمراتب المتقدمة قبله لمّا عـرف باريـه واسمه وبابه ومن سبقه من المراتب. عددهم عشرون ألفاً[١٠].

وبالجملة يكون عدد العالم البشري مائة وتسعة عشر ألفاً[١١]. نفس العدد تقرّره رسالة البيان بقولها: « أمّا العالم العلوي والسفلي فمائة ألف وأربعة وعشرين ألف، منها خمسة آلاف العالم العلوي ومائة ألف العالم السفلي وتسعة عشر ألف العالم السفلي البشري »[١٢].

يبدو أن الفرق بين مراتب العالم العلوي ومراتب العالم السفلي هو إنّ الأولـى هـي مراتب روحيّة والثانية مراتب بشريّة، والتدرّج بين العالمين ممكن بحسب ما ورد في كتـاب الصراط، على ما نرى.

(٧) ينقص في رسالة البيان التي عنها ننقل تعليل اسم السائحين.
(٨) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦٥.
(٩) المرجع نفسه.
(١٠) المرجع نفسه.
(١١) المرجع نفسه.
(١٢) رسالة البيان، ص ٦٠ ب. لمجمل هذا الفصل انظر الرسالة نفسها، ص ٥٥ أ ـ ٥٨ ب، وما يليها أيضاً.

ثالثاً: التدرّج في المراتب

« إن سبعة مراتب العالم الكبير النوراني كان لها غير أسماء في السماء قبل ظهورها على الأرض وقبل أن تُسمّى عندنا هذه الآلات في الدنيا... »[١] فالنجباء مثلاً فـي النورانيـة كان اسمهم « الشرطين » وفي البشرية « أبو أيوب خالد ابن زيد الأنصاري »، وهكذا سائر النجباء[٢].

الانتقال من النورانية إلى البشرية، أو التدرّج فيما بين المراتب العلوية والسفلية، يكون على الشكل التالي: يجيء العارف ويأخذ بيد الطالب، ويعدّه لسلوك عقبـة الممـتحن، « وإذا سمع الطالب المزيد يبلغه مولاه ويزلفه إلى العقبة الثانية وهي عقبة المخلص... فإذا حمل علم المخلص وقَبِلَهُ ولم يشك فيه يعدّه مولاه ويبلغه إلى مرتبة المختص... وإذا حمل علم المختص وما يلقيه إليه ويظهره عليه يرفعه مولاه إلى العقبة الرابعة النجيب... وإذا سمع علم النجيـب وحمله وصبر عليه ولم يجحده ولم يشك فيه، يجوز تلك العقبة ويعلو إلى ما فوقها من العقاب (العقبات) ويصير من أهل الصفا والتخلص ويعلو إلى سماع علم النقيب... وإذا حمـل علـم النقيب ولم يشك بجميع ما يورد عليه وما يظهر له وكان مسلّماً ويعلم أنه لا يدعوه إلى الباطل ولا يورده إلى الضلال يعلو درجة إلى سماع علم اليتيم... فإذا سمع علم

(١) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦٤.
(٢) المرجع نفسه، سؤال ٦٨.

اليتيم وقَبِلَه وسارع إليه يظهر له مولاه من اليتيم الاختبار العظيم... ويبلوه به... فـإذا ثبـت عنده ذلك ولم يزلّ ولم يشك استوجب أن يبلغ بفضل مولاه عليه وإحسانه إليه أن يسمع مـن الباب علم مولاه صراحاً وكشفاً وعياناً ».

ثم يتدرّج المؤمن ويترقّى في البشرية من مرتبة إلى مرتبة على الشكل الآتي: « مـن مرتبة اللاحق إلى المستمع إلى السائح إلى المقدس إلى الروحاني إلى الكروبي إلى المقـرّب إلى الممتحن إلى المخلص الخ... حتى يصل إلى درجة اليتيم. فيعلّمه علمه ويتسبّب به إلـى الباب. فيظهر له الباب فيعرّفه بحقه ويعلمه ويؤدبه ويوجده معرفته ويتسبب به إلى الحجـاب، فيظهر له ويوجده معرفته، فعند ذلك يكون قد بلغ إلى درجة الصفا ».

والشاهد بذلك قـول الله تعالى: « فإذا بلغ الأجلين لا يتقدّمون سـاعة ولا يتـأخّرون ساعة »[٣]، والأجلين: الباب والحجاب. فإذا بلغ المؤمن إلى الحجاب أوصله الحجـاب إلـى المعنى، فيظهر له المعنى ويمكّنه من النظر إليه بحسب ما يستحقّه. ولا يكون يغيب عنه ساعة واحدة. ويكشف له عن نظره حتى ينظر حسناته وسيّئاته، فإذا نظرها وجد سيّئاته قد تمحّصت عنه، وحسناته توفّرت عليه، فيذكر في ذلك الوقت أخاً من أخوانه في دار الدنيا كـان يـودّه ويصافيه، فيقول له: يا ربّ قد تفضّلت ولخّصت وصفّيت وخلّصت عبـدك مـن دار الـدنيا وألحقته في عالم سمائك ووفّرت على عبد حسناته. وأنا أسألك أن تهبها لي أهبها لأخي فـلان في دار الدنيا ليصير بها مثلي، فيضحك مولاه منه ويقول: تكرّمت علينا يا عبـدنا سنخلّصـه ونصفّيه ونخلّصه من دار الدنيا ونجعله مثلك ونرفعه ونوفّر عليه حسناته، فيصـفي الله عـزّ وجلّ ذلك العبد بسؤال أخيه »

---

(٣) لا وجود لهذه الآية في القرآن.

فيبقى على المؤمن أن يسأل باريه أن يكشف له عن نظره حتى يشاهد العالم العلوي والسفلي والسموات والأرض حتى لا يغيب عنه منه شيء، ولا قليل ولا كثير، ويهب له نفسه ويحكّمه فيها حتى يصير المؤمن عند ذاك يرقى إلى السماء متى شاء ويهبط إلى الأرض متى شاء، ويشرق إلى الشرق ويغرب إلى الغرب متى شاء، ويرتفع عن مؤنة الأكل والشرب والاهتمام بشيء من الأشياء، ويصير كوكباً درّيّاً معرّى من جميع ما في البشريّة، ويصير له المشيئة في نفسه.

والشاهد بذلك قول الله تعالى: « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء. فنعم أجر العاملين »[٤]. فبيّن إذاً لهم المشيئة في نفوسهم لا في غيرها »[٥].

وفي كتاب الهفت أيضاً وصف لترقّي المؤمن من مرتبة إلى مرتبة وتعيين للحدّ الذي ينتهي إليه. يقول: حدّ انتهاء المؤمن... إذا ارتقى المؤمن في درجة الأبواب حتى يصيروا ملائكة، ويرفع عنهم الأكل والشرب والاهتمام بتلك الأشياء ويرتقون إلى السماء وينزلون إلى الأرض على أي صورة شاء.

وإن في الأرض عدداً كثيراً تخاطبونهم ويخاطبونكم ولا تعرفونهم، وقد رفع الله عنهم القيود والأغلال التي كانت عليهم، وكفاهم مؤنة الأكل والشرب، وهم يسعون في الأرض على صورة بني آدم لا يهتمون ولا يغتمون، وإنهم يحضرون في مجالس الذكر، ويكلمون الناس ولا ينكرونهم. فإذا شاؤوا أن يصعدوا إلى السماء صعدوا، أو يبقوا في الأرض فلهم ما

---

(٤) سورة الزمر ٣٩ / ٧٤.
(٥) رسالة البيان، ص ٥٨ ب ـ ٦٠ ب.

يشاؤون. وإنّ الرجل منهم ليرى اليوم في المشرق ويرى كذلك في المغرب. قد أعطاه الله من القدرة كل هذه المعاجز.

فعلى هذا يرتقي المؤمنون درجة درجة، وفضيلة فضيلة، حتى يصيروا في السماء ملائكة وينزلوا إلى الأرض ويرجعوا إلى السماء...

فإن المؤمن إذا بلغ الدرجات في العلم والعمل، انتهى وصفا وخلص، وارتفع من الأكل والشرب والاهتمام والآفات من الطبائع، وصار مَلَكاً من الملائكة. كلّما أحب أن يرفع إلى السماء عرج، وكلّما أحب أن ينزل إلى الأرض نزل.

ويقول المترقّي في الدرجات: « نعم أنا، لا تعجب من تنقّلي من صورة إلى صورة، فإنني مؤمن مثلك، لكنّني قد بلغت وانتهيت »[٦].

يبدو من هذه النصوص أن المؤمن يستطيع الترقّي من آخر درجة في البشرية إلى أعلاها في النورانيّة. يبقى أنه لا يستطيع الحصول إلى رتبة المعنى نفسه، بل يستطيع أن يتأمّل في المعنى وطلب أي شيء منه مهما كان أمره صعباً مستصعباً. ويقال له عند ذلك إنه أصبح مشيئة في نفسه، أي إنّه يحصل ما يريد ويسأل ما يريد.

وعندما يصل إلى رؤية نفسه كمشيئة تكون عندئذ المشاهدة الإلهيّة. وهذا الترقّي يعتمد على تأويل آية قرآنية تقول: « وليرتقوا في الأسباب أسباب السموات والأرض »[٧].

---

(٦) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٦١ ـ ٦٥.
(٧) سورة ص ٣٨ / ١٠، وسورة غافر ٤٠ / ٣٦ ـ ٣٧.

الفصل السّادس

النصيريّة والباطنيّة

أوّلاً : الباطنيّة بوجه العموم

ثانياً : علم الباطن وعلم الظاهر

ثالثاً : التقيّة

أوّلاً: الباطنيّة بوجه العموم

الباطنيّة، بمفهومها العام، حركة فكرية إسلاميّة تميّز في القرآن بين علمين: علم الظاهر وعلم الباطن، أي علم التنزيل وعلم التأويل، وتأخذ بالثاني دون الأوّل، إذْ تعتبر علم التنزيل والظاهر لعامّة الناس، وعلم التأويل والباطن للخاصّة منهم. وهي من الخاصّة، أو تعتبر نفسها كذلك.

والذين يعتبرون أنفسهم من أهل الباطن هم الشيعة عامّة، ولهذا يعتمدون اعتماداً كليّاً على علم تأويل القرآن وتفسيره والاجتهاد في استخلاص معانيه. وهذا العلم، عندهم، منوط بالإمام، الذي أعطي له، بعلم خاص وبوحيّ إلهيّ، مهمّة تفسير آيات القرآن. فإذا كانت مهمّة النبي تنزيل الشريعة، فمهمّة الإمام أن يكون عليها وصيّاً ولها مفسّراً.

ويبدو أن القرآن نفسه أوجب هذين العلمين، لأنّ فيه آيات محكمات يدرك معانيها عامّة الناس وآيات متشابهات لا يدركها إلاّ العلماء. جاء فيه: « هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب، وأخر متشابهات. فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم... »[١].

---

(١) سورة آل عمران ٣ / ٧.

والباطنية هم الذين يدركون « الآيات المتشابهات » التي هي من خصائص الأئمّة وأبناء الأئمة وأحفادهم. وهؤلاء أعطوا مهمّتهم للعلماء من شيعتهم. وجرى، في تاريخ المسلمين، خلافات مستحكمة حول هذه المتشابهات. والذين يأخذون بها على ظاهرها لا يخلون من الكفر العظيم. أمّا الذين يدركون باطنها فهم « الخاصّة » أصحاب التوحيد.

هذا الخلاف أدّى إلى محن كادت تقضي على الإسلام نفسه. وليس شرّ من محنة تعمل في الداخل. فالمعتزلة، حفظاً لعدل الله ووحدانيّته، أخذت بتأويل كل « المتشابهات »؛ وأهل السلف، حفظاً لحرفيّة الوحيّ والتنزيل، أخذت بجميع الآيات القرآنية على ظواهرها؛ والأشعرية، حفظاً لوحدة الصفّ، عرجت بين الباطن والظاهر. وكل فرقة كان لها رأيها.

وانحصرت الاختلافات والفرق الكثيرة، اليوم، بين طائفتين: السنّة والشيعة. السنّة تعتمد على ظاهر القرآن وسنّة الرسول والأحاديث النبويّة، والشيعة تتخطّى الظاهر إلى الباطن، أو ترى في القرآن معنى حقيقياً يتجاوز المعنى المجازي. ومع هذا، وبعد غياب الإمام الثاني عشر، بقيت الشيعة معتدلة في فهم القرآن وتأويله. وهي مسلمة في كل حال.

بيد أنّ بعضاً من الشيعة راح بعيداً جداً في التأويل، ورأى في آيات القرآن ما لم يخطر ببال. لكأنّ القرآن أصبح قرآنين: قرآن لعامّة الناس، وقرآن لخاصّتهم. وأصحاب « الخاصّة »، في التاريخ، هم: الإسماعيليّة، على اختلاف فرقها، والنصيريّة، والدرزيّة. وأعدلهم الإسماعيليّة، وأكثرهم تطرّفاً النصيريّة، أمّا مع الدرزيّة فانقلب كل شيء رأساً على عقب. لا بأس، فمتانة العقيدة رهن بنزع الشوائب عنها.

من يمارس مهنة التأويل لا يعجزه أن يجد في القرآن ضالّته. فهو يجد فيه مثلاً كاملاً على ألوهيّة علي بن أبي طالب في « سورة يس بقوله: أوَليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم؟ »[٢]، فلفظة على تقرأونها عَلِيّ، بالياء، لكي تنتجوا منها أنّ عليّاً قادر على أن يخلق مثلهم »[٣]. ويجد أيضاً عقيدته في التناسخ في قوله: « منكم من يتوفّى ومنكم من يُرَدّ إلى أرذل العمر »[٤]. وغير ذلك من تأويل يبعد كل البعد عن مفهوم أهل السنّة والسلف.

هذا التأويل الباطني المتطرّف دفع بأهل القرآن لحمايته دفاعاً مستميتاً. فهو كلام الله. ويستحقّ الاستماتة في حمايته والدفاع عنه. وَدَفَعَ بالمقابل القائلين به لحماية أنفسهم من الاضطهادات والقهر المرير. اشتدّ القهر على الباطنيين واشتدت عصبية المقهورين، فراح هؤلاء يتبطّنون ويتستّرون ويكتمون تعاليمهم ويتعاملون بالرموز ويتفاهمون بالألغاز فنشأت من جرّاء ذلك فرق باطنيّة وعلوم باطنيّة وحركات باطنيّة، تارة تعلن عن نفسها وطوراً تختفي حتى امتلأت أرض الإسلام من مذاهبهم.

فكان منهم السبائية والكاملية والعلبائية والمغيرية والمنصوريّة والخطابية والكيالية والهشامية والنعمانية والنصيرية والاسحاقية[٥]. وزد عليهم الحربية والجناحيّة والغرابيّة والذميّة والشريعية والنميرية والبيانيّة والرزامية والمقنعية والحلمانية والحلاجية والعذافرة والسمنية[٦] وغيرهم ممّا يضيق بنا ذكر جميعهم... لكنّ بعضاً من هؤلاء اشتدّ عليهم القهر

---

(٢) سورة يس ٣٦ / ٨١.
(٣) الباكورة السليمانية، ص ١١١ ـ ١١٢.
(٤) سورة الحج ٢٢ / ٥، انظر كتاب الهفت ص ٥٧.
(٥) الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٧٣ ـ ١٩٨.
(٦) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٠ ـ ٣٠٧.

فزالوا، وآخرين مارسوا « التقيّة » فقاوموا هجمات القاهرين. ومن الذين قاوموا واستمرّوا: الإسماعيلية والنصيرية والدرزية (؟) واليزيدية وعامّة الإماميّة الاثنيعشرية.

و « الذين أسّسوا دعوة الباطنية جماعة: منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقدّاح (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) وكان مولى لجعفر بن محمّد الصادق، وكان من الأهواز. ومنهم: محمّد بن الحسين الملقّب بدندان، اجتمعوا كلّهم... في سجن والي العراق، فأسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية، ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن... فدخل في دينه جماعة من أكراد الجبل... ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب... وادّعى أنه من ولد محمّد بن إسماعيل... وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر »[٧].

وهكذا استمرّ الباطنيون واستمرّ عملهم، وانشقّوا عن المسلمين وانشقّوا عن بعضهم بعضاً، فكان خطرهم على المسلمين وعلى بعضهم بعضاً جسيماً جدّاً، حتى قال عنهم البغدادي: « إن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرّة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجّال الذي يظهر في آخر الزمان... وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر »[٨].

لئن خرجت النصيرية، في تاريخ الإسلام، من الباطنيّة، واقتصر بهذه التسميّة الاسماعيليّة دون سواها، فإنّ ذلك لا يمنعها من أن تعمد كغيرها إلى تأويل القرآن والأخذ بباطن الآيات دون ظاهرها. لقد اُعتبرت، بسبب خروجها من الإسلام، ديناً مستقلاًّ، ذات عقائد وتعاليم خاصّة.

---

(٧) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٨٢، انظر ص ٩ من هذا البحث.
(٨) المرجع نفسه، ص ٢٨٢.

ثانياً: علم الباطن وعلم الظاهر

يعتمد النصيريون في القول بالباطن والظاهر على القرآن الذي يجيزهما معــاً. فهــو يقول: « ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين »[١]، أي إن الله خلق من كل شيء ذكراً وأنثـــى، وخلق من العلوم ظاهراً وباطناً. ويقول: « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »[٢]، أي عند الله نعم باطنة يعطيها للمؤمنين به ونعمة ظاهرة يخصّ بها عامّة الناس. ويقول: « وضرب بينهم بسور، له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب »[٣]. في هذا القول تفضيل واضح للباطن على الظاهر، أي إنّ في الظاهر ومن يأخذ بالظاهر يصيبه العذاب، وإنّ فـــي البـــاطن ومن يأخذ الباطن يجد عند الله رحمةً. فمن لا يكمّل علم الظاهر بعلم الباطن يبقى دون رحمة الله، أي دون معرفته حقّ المعرفة[٤].

(١) سورة الذاريات ٥١ / ٤٩.
(٢) سورة لقمان ٣١ / ٢٠.
(٣) سورة الحديد ٥٧ / ١٣.
(٤) كثيراً ما يستشهد الدروز بهذه الآية ليستدلّوا منها على ثلاثة مذاهب أو ثلاثة علوم. مذهب أهل التنزيل (السنّة) وعلمهم الظاهر، ومذهب أهل التأويل (الشيعة) وعلمهم الباطن، ومذهب أهل التوحيد (الدروز) وعلمهم التوحيد. يقول الدروز في تفسير هذه الآية: « باطنه فيه الرحمة »، فدلّ بأن الرحمة غير الباطن... الناطق (محمّد) صاحب الظاهر، والأساس (علي) صاحب الباطن، والقائم (حمزة) صاحب الرحمة » (رسالة الشمعة رقم ٣٨ من رسائل الحكمة، ص ٢٧٩). وفي مكان

فالباطن والظاهر إذن هما شرطان أساسيّان في الدين. وبالنسبة إليهما يتوزّع المؤمنون بين خاصّة وعامّة، أو بين عقّال وجهّال. الخاصّة منهم هم أهل الباطن، والعامّة هم الواقفون على الظاهر. وشروط أهل الباطن العرفان والتفرّغ لعبادة اللاهوت في حقيقته، وشروط أهل الظاهر القيام بما توجبه الشريعة والممارسات الخارجية. وليس على هؤلاء أن يطمعوا بما لأولئك من علم وعبادة.

وقد يصعب على أهل الظاهر أن يصبحوا من أهل الباطن. فعند الإسماعيليّة مثلاً يقتضي عبور تسع مراتب[٥] أو سبع دعوات يندرج الإنسان فيها حتى ينحلّ عن الأديان كلّها ويصير معطّلاً إباحياً لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ويرى أنه وأهل نحلته على هدى وجميع من خالفهم أهل ضلالة »[٦]؛ وعند الدروز لن يتسلّم الدين إلاَّ من بلغ من الجهّال عمر الأربعين ومارس على نفسه القهر والعزلة والتقشّفات؛ وفي النصيرية يسلّم الدين لمن بلغ سنّ الرشد، أي الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره[٧].

آخر من رسائل الحكمة يقول الدروز في تفسير هذه الآية: « فدلّ بأن الظاهر من قبله العذاب، وأنه وصاحبه (محمّد) عذاب، والباطن فيه الرحمة. ولم يقلْ هو الرحمة... فدل بأن الباطن يدل على الرحمة، وهو القسم الثالث في الدين » (كتاب فيه تقسيم العلوم رقم ٣٦ من رسائل الحكمة، ص ٢٦١).

(٥) انظر البغدادي الذي يعدّها كما يلي: التفرّس، والتأنيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالإيمان والعهود، وآخرها الخلع والسلخ » (الفرق بين الفرق، ص ٢٩٨).

(٦) المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار...

(٧) انظر في هذا البحث الفصل الخاص بـ« تسليم الدين » ص ٨٥ ـ ٩٦.

أمّا مفهوم الباطن والظاهر، عند النصيرية، فكما جاء في كتاب تعليم الديانة. سؤال: « ما هو الباطن وما هو الظاهر؟ جواب: أعلم أن لفظة الباطن تدلّ على لاهوت مولانا، والظاهر يدل على إنسانيّته. ففي الظاهر نقول: مولانا علي بن أبي طالب؛ ومعناه في الباطن: المعنى والاسم والباب، وهو الله الرحمن الرحيم »[٨].

الظاهر إذن هو القول بأنّ عليّاً هو إمام المؤمنين، وأميرهم، ولد من أبي طالب، وتزوّج فاطمة بنت النبي، وله منها ثلاثة بنون: الحسن والحسين والمحسن... والباطن هو القول بأنّ عليّاً هو الله، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له زوج أو صاحبة، ولا ضدّ ولا ندّ. وهذان الموقفان من عليّ يقول بهما كتاب المجموع: « ظاهرك إمامي ووصيّة، وباطنك معنوي ولاهوت »[٩]. ويحسب قول الصادق: « من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر »[١٠]، أي من عرف عليّاً إلهاً معبوداً، لم يعد بحاجة إلى معرفته إنساناً مخلوقاً. بل من توصّل إلى معرفة اللاهوت كفاه ذلك من كل قول أو عمل في الظاهر.

فالعقيدة الأساسيّة عند النصيريين إذن هي أن تقول مع عامّة المسلمين: « الله الرحمن الرحيم » وتفهم بها: « المعنى والاسم والباب ». فالله هو المعنى، والرحمن هو الاسم، والرحيم هو الباب. وهكذا يتمّ الاعتقاد بـ عمس، الثالوث النصيري.

---

(٨) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٩٨.
(٩) السورة السادسة واسمها السجود من كتاب المجموع.
(١٠) كتاب الهفت والأظلة، ص ٥٩.

« وعن محمّد بن سنان عن الصادق وقــد سأله عن حروف « لا إله إلاّ الله »، قال: « أنحلها المعنى لاسمه، وأنحلها الاسم لسلمان. وأنّه (أي سلمان) أوّل من قالها عند نظره إلى مولاه (علي) بالصورة الذاتية الانزعية... لمّا أراد مولانا إظهار قدرته عقد ذاتيتّه وأقام سلمان مثل ما أقام اسمه. وقال: يا سلمان تعرفني؟ وقد ظهر له بالصورة الهاشمية العلوية. قال: نعم، أنت الله، لا إله إلاّ أنت، الأزل القديم، ربّي ورب الخلائق أجمعين. ثمّ ظهر بصورة الحســن وسائر الصور الإماميّة، فكان كلّما ظهر المولى لسلمان يقول: يا سلمان تعرفني؟ يقول: نعم يا مولاي، أنت أنت يا مولاي، لا إله إلاّ أنت الأزل. ويسجد عند كل ظهور سجدة حتــى ســجد اثنتي عشرة سجدة. وكان كلّما سجد سجدة أنحله حرفاً، فتمّت اثنا عشر حرف لاثنــي عشــر سجدة، وهي حروف: لا إله إلاّ الله (١٢ حرفاً) وهي واقعة على علــي محمّــد ســلمان (١٢ حرفاً) و أمير المؤمنين (١٢ حرفاً). ولا إله إلا الله فهو المعنى... فمن عرف: لا إلــه إلاَّ الله بهذه المعرفة ظاهراً وباطناً فهو من أصحاب أمير المؤمنين »(١١).

بهذا يكون القول بالظاهر، أي الأخذ بالقرآن، ضــرورياً للإيمــان بالبــاطن. أي إن الاعتقاد بإمامة علي ضروري للاعتقاد بألوهيّته. فالواحد يكمّل الآخر. ومن وجد خلافاً فهــو يتّبع هواه. والقول بهما معاً يحتّم الأخذ بمبدأ « التقيّة »، وهي العقيدة الأخرى الناجمــة عــن الباطنية. قال الصادق: « وجدنا الباطن ممازجاً ملائماً للظاهر، لا اختلاف بينهما إلاّ باتّبــاع الهوى والميل إلى الرأي والقياس »(١٢).

(١١) كتاب المناظرة، ص ١٣٠ أ ب.
(١٢) كتاب الهفت والاظلة، ص ٢٩.

ثالثاً: التقيّـــة

« وفي لبنان (قضاء عكّار) يوجد ألوف العلويين، ولكنّهم قيّدوا أنفسهم فـــي إحصـــاء النفوس: سنّيين، وذلك بناء على نصيحة بعض رؤساء العلويين (في محافظة اللاذقية) لهم، كما كان ذكر لي ذلك هذا الرئيس بوقته »[١].

وجاء في كلام الشيعة عامّة بأنّ « التقيّة » شرط واجب في الدين، قال بهـــا القـــرآن وجوّزها. قال الحسن الأمين: « التقيّة نطق بها القرآن الكريم، وجوّزها الشارع الحكـــيم فـــي أفظع وأعظم شيء يتصوّر في موالاة الكفار وإظهار كلمة الكفر ومدح الأصنام وسبّ الرسول الأعظم... وعيب التقيّة ليس على الشيعة الذين حفظوا بها دماءَهم وأموالهم وأعراضهم، بـــل عارها وشنارها ووبالها على من اضطر الشيعة إليها »[٢].

واعتمد الشيعة في جواز التقيّة على آيات من القرآن، فقال الحسن الأمين: « التقيّة... عبارة عن إظهار خلاف المعتقد، بقول أو عمل، عند الخوف على النفس أو العرض أو المال. وهذا ممّا قضى به العقل، وحكم بجوازه الشرع، حتى جوّز إظهار الكفر، بقوله تعـــالى: « إلاّ من أكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان »[٣]، « إلاَّ أن تتقوا منهم تقاة »[٤]، و « قال رجل مؤمن

---

(١) منير الشريف، المسلمون العلويون، من هم وأين هم؟ ص ١٢٣.
(٢) الحسن الأمين، الشيعة بين الحقائق والأوهام، ص ١٨٥.

من آل فرعون يكتم إيمانه »[٥]، « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة »[٦].

وسبب التقيّة كثرة الاضطهادات التي لحقت بالشيعة، قال الأمين: « وإنّما اشتهر الشيعة بالتقيّة دون غيرهم لكثرة ما جرى عليهم من الظلم والاضطهاد وحصل لهم من الخوف، فكثر عندهم استعمال التقيّة، واشتهروا بها دون غيرهم »[٧].

وقد يكون الإنسان مضطراً إلى التقيّة والقول بها يجوّزها العقل أيضاً: « إن الاضطرار يبيح المحرمات بضرورة شرع الإسلام، فيحلّ للمضطرّ أكل الميتة لحفظ حياته، ويحلّ لمس بدن الأجنبية لانقاذها من الغرق، ويسوّغ الكذب ــ وهو من الكبائر ــ لمصلحة لا تبلغ الاضطرار، كالإصلاح بين الناس. ويجب (الكذب) لحفظ نفس محترمة، إلى غير ذلك ممّا لا يحصى.

« وليست التقيّة إلاّ نوعا من الضرورات لحفظ الدم والمال والعرض. ومن العجب أنّ خصومنا (السنّيين) يتّقون إذا ابتلوا بما دون الخوف على النفس، ويشنّعون علينا إذا اتّقينا عند الخوف على أنفسنا »[٨].

هذا عند الشيعة عامّة. أمّا عند النصيريين فربّما يكون الأخذ بالتقيّة أشدّ وأخطر. فهؤلاء يعتبرون افشاء الحقيقة « سمّ قاتل »، وهنك حرمة سرّهم يؤدّي بهم إلى المسوخيّة. ومن لا يتّقي سرّه وحقيقته يكن بريئاً من الله والدين.

---

(٣) سورة النحل ١٦ / ١٠٦.
(٤) سورة آل عمران ٣ / ٢٨.
(٥) سورة غافر ٤٠ / ٢٨.
(٦) سورة البقرة ٢ / ١٩٥. الحسن الأمين، ص ١١ ـ ١٢.
(٧) الحسن الأمين، ص ١٨٥.
(٨) الحسن الأمين، ص ١٨٩.

جاء في كتاب تعليم الديانة النصيرية عن ضرورة التقيّة ما يلي:

سؤال: ما هو سرّ إيمان الموحدين الذي هو سرّ الأسرار وعقيدة الأبرار؟

جواب: هو سرّ التنتين وهو معرفة الله بالحقيقة، وهو سرّ كريم وخطاب عظيم وعلم جليل وخطر ثقيل، فلا تحمله الجبال لعظم محلّه وشرفه، وهو الترياق الشافي لمن حفظه أو دان به واتّقاه، والسمّ القاتل لمن إلى غير أهله كشفه وفشاه، وهو سرّ احتجاب مولانا في النور، أعني عين الشمس وظهوره في عبده عبد النور(٩).

سؤال: ماذا يحلّ بالذي يعرفه ويداخله به شكّ أو ريب؟

جواب: يكون من المبدرين الذين هم الكافرون أخوان الشياطين ويستحق المسوخيّة والسلوك في القمصان الردية الدنية، ويذيقه الله حرّ الحديد وبرده.

سؤال: ما هم الشروط الواجب على المؤمن حفظهم عند قبوله سرّ الأسرار؟

جواب: الأمر الأول الواجب عليه هو أن يفرغ جهده بمحافظة أخوانه ومراعاتهم ومداراتهم والمواظبة على تفقدهم وبرهم وصلاتهم. وجميع ما يرضاه لنفسه يرضاه لهم، ويجعل خمس ماله حلالاً مطلقاً لهم في كل عام ويقيم الصلاة في أوقاتها، ويؤدّي الزكاة إلى أهلها ويواظب على عمل المفترضات ويسارع في إقامة الحقوق والواجبات، ويكون لسيّده مجيباً داعياً شاكراً ذاكراً أميناً في جميع ما تقدر عليه ويرضاه ويتجنّب كل ما يكرهه له من البواطل.

سؤال: ما هو الأمر الثاني الواجب امتناع المؤمن عنه عند قبوله سرّ الأسرار؟

جواب: اعلم إن من الواجب عليه التحرّص عن مظالم أخوانه، ولا يتعدّى

---

(٩) عبد النور هو الخمرة التي بها يظهر عليّ ويتجسّد للنصيريين...

على أحد منهم ويتجنّب خطأهم ولا يخالف رضاهم ويحذر اساءتهم.

سؤال: هل يمكن للمؤمن أن يبدي لأحد بسرّ الأسرار؟

جواب: إنه لا يمكنه أن يبدي به لأحد من الناس سوى لأخ من أخوانه، وإنْ فعل غير ذلك يكون بريّاً من الله وكتبه ورسله »(١٠).

في جميع كتب النصيرية تحذير من إعلان سرّهم، وحثّ للأخذ بالتقيّة ولكل واحد من النصيريين هذه الوصية: « لا تكاشف به أهل الضلال. وكن لهم حرزاً. ولا تكتم أخوانك ما تعلمه، ولا تضنّ عليهم ما تفهمه »(١١)... وأيضاً: «أوصي نفسي بكتمان سرّ الله تعالى، وباطن مكنونه. فهو لبّ الألباب إلاّ من أخوانك الموحدين المقربين بمعرفة العلي الأعلى»(١٢). وقال الصادق: « يرحمك الله. اكتم سرّ ما أودعتك من مكنون سرّ الله وحده »(١٣). وقال أيضاً: « استر ما كشفناه إليك من علم الله الذي ستره من ملائكته. يرحمك الله »(١٤).

وأقوال الصادق في التقيّة كثيرة، نودّ كتابتها لأهميّة هذه العقيدة عند النصيريين، وليتأكّد القارئ منها حتى يتجنّب خطر ما تخفيه. قال الصادق: « التقيّة دين الله، والتحصين سيفه، ولولاهما ما عبد الله ». وقال: « ما عبد الله بأحسن من التقيّة ». وقال: « مثل

---

(١٠) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٨٢ ـ ٨٥.
(١١) رسالة التوحيد، ص ٤٨ ب.
(١٢) كتاب الهفت والأظلة، ص ٦٥.
(١٣) نفس المرجع، ص ١٧٢.
(١٤) نفس المرجع، ص ١٧٥.

طالب الآخرة كمثل أهل الكهف ستروا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مــرّتين...، وقال: «... التقيّة واجبة على كل مؤمن، كما جاء بالقرآن الكريم: « أن يصبروا ويتّقوا فــإن ذلك من عزم الأمور »[١٥]، وجاء أيضاً: « اصبروا وصابروا ورابطــوا واتّقــوا الله لعلّكــم تفلحون »[١٦]. وقال: « حصن المؤمن التقيّة، وسيفه التخلّص من وسواس الــنفس ». وقــال أيضاً: « من لم يستر سرّنا فإنّه لم يحفظ الأمانة ». وقال: « المؤمن لا يرفع إلى المقام الأعلى إلاّ بأربع خصال: الأمانة والأدب والصدق والتقيّة »[١٧].

فالتقيّة، إذن، بمفهوم النصيريين، هي: دين الله، وحصن المؤمن، وضــمانة الآخــرة. وهي أيضاً واجبة على المؤمن، لأنّها تحمي سرّ العقيدة، وتكتمه عن مدارك العامّة، وتؤدّيــه كأمانة إلى أصحابه، كما جاء في القرآن: « إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها »[١٨]. فكل شيء، في النصيرية، مغمور بالسرّ، على ما جاء في أقوال الصادق: « قضيّتنا سرّ فــي سرّ، سرّ أمر دائم الستر، سرّ لا يكشف عنه إلاّ سرّ آخر، إنه سرّ على سرّ، يكتفي بســرّ ». وكما قال عليّ زين العابدين الإمام الرابع شعراً:

« إنّي لأكتــم من علمي جواهــره   كيلا يرى الحقَّ ذو جهل فيفتــننا ».

وأوجب ما في التقيّة، لا سترها وكتمانها فحسب، بل التمويه في الحقيقة والتدليس على الناس. وقد يكون ذلك أخطر من إخفائها. أنْ تقول غير الحقيقة أمر أكثر جسامة من أن تسكت عنها. والنصيريون بارعون

(١٥) سورة آل عمران ٣ / ١٨٦.
(١٦) سورة آل عمران ٣ / ٢٠٠.
(١٧) كتاب « الحكم الجعفرية للإمام الصادق جعفر بن محمّد »، جمع وتحقيق عارف تامر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٥٧.
(١٨) سورة النساء ٤ / ٥٨.

بذلك. وبراعتهم هذه أوقفت عنهم القهر والاضطهادات عبر تاريخهم الطويل مع جميع أعدائهم الدينيين والسياسيين.

هذه التقيّة، بحسبهم، أمر بها الله منذ البدء. منذ البدء، وقبل خلق العالمين، « قال الله لمحمّد: انزل إليهم (إلى المؤمنين) ثم حذّرهم من إبليس وذريّته، فإنّهم أضمروا عداوة للمؤمنين. وتقدّم إلى المؤمنين بأن لا يخبروا إبليس بخلقهم، ولا من أي شيء خلقوا. وأمرهم في الكتمان ».

ويعلّق الصادق على هذه القصة بقوله: « فمن هنا أمرتم بالكتمان. وهو امتحان الطاعة والمعصية، لأن التقيّة ديني ودين آبائي وأجدادي. ومن لا تقيّة له لا إيمان له »[١٩]. وقال أيضاً: « فدخل الكتمان في الميثاق الذي أخذه (الله) على الأنبياء والأوصياء... فقال: استروا ذلك واكتموه لمّا علم ما في قلوب الأعدء »[٢٠].

ويعتبر النصيريون أنّ الجهاد الذي أمر به الإسلام هو « إخفاء مذهبهم عن غيرهم، ولا يظهرونه ولو أصبحوا في أعظم الخطر، ولو خطر الموت »[٢١].

ثم إن العمل بالتقيّة يؤدّي إلى « التظاهر بمذاهب جميع الطوائف. فإذا لقوا المسلمين يحلفون لهم ويقولون نحن مثلكم نصوم ونصلّي. فالصوم يوجّهونه على الرضاعة. وإذا دخلوا المسجد مع المسلمين فلا يتلون من الصلاة شيئاً، بل يخفضون ويرفعون مثلهم، ويشتمون أبا بكر

---

(١٩) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٤٥، ٤٦.
(٢٠) نفس المرجع، ص ٥٢ ـ ٥٣.
(٢١) الباكورة السليمانيّة، ص ٢٥.

وعمر وعثمان وغيرهم، ويسمّون التظاهر في الطوائف بمثل وهو قولهم: إنّنا نحن الجسد وباقي الطوائف هم لباس، فأيّ نوع يلبس الإنسان لا يضرّه، ومن لا يتظاهر هكذا فهو مجنون، لأنه ليس عاقل يمشي عرياناً في السوق... متى باح (النصيري) بصلاته فقد خرج من مذهبه، لأنه، هكذا يقول سيّدهم الخصيبي: من باح بشهادتنا فحرمت عليه جنّتنا »[٢٢].

هذه التقيّة أمر بها الدروز بشدّة. قال حمزة: « صونوا الحكمة من غير أهلها، ولا تمنعوها لمستحقّها. فإنّ من منع الحكمة عن أهلها فقد دنّس أمانته ودينه. ومن سلّمها إلى غير أهلها فقد تغيّر في اتّباع الحقّ يقينه. فعليكم بحفظها وصيانتها من غير أهلها، والاستتار بالمألوف عند أهله. ولا تنكشفوا عند من غلبت عليه شقوته وجهله. فأنتم ترونهم من حيث لا يرونكم. وأنتم بما في أيديهم عارفون، وعلى ما ألّفوه من زخرف قولهم مطّلعون. وهم عمّا في أيديكم غافلون، وعمّا اقتبستموه من نور الحكمة محجوبون. لقد أُخرِسوا ونَطَقتم، وأُبكِموا وسَمِعتم وعَمُوا وأَبصرتم، وجَهِلوا وعَرَفتم... فاحمدُوا المولى... »[٢٣].

وسبب التشديد على التقية، عند النصيريين كما عند الدروز، هو، بلا شكّ، حدّة الصراع الذي كان بينهم وبين المسلمين. ولم يكن تمظهرهم بجميع الطوائف والأديان إلاّ للنجاة بنفوسهم من القهر الطويل. ولهذا السبب بقيت في تقاليدهم وطقوسهم وأعيادهم بقايا من جميع الطوائف والملل.

(٢٢) الباكورة السليمانية، ص ٨٢. يرد تشبيه « العاقل الذي يمشي عرياناً في السوق... » في رسالة الردّ على النصيري الفاسق رقم ١٥ من رسائل الحكمة، ص ١٦٨، ممّا يدلّ على صحّة معرفة حمزة بالنصيرية.
(٢٣) رسالة التحذير والتنبيه، رقم ٣٣ من رسائل الحكمة، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

بقي علينا أن نعرف كيف يعرف النصيريون بعضهم بعضاً، إذا ما مارسوا هذه التقيّة بدقّة وحزم! ينقل إلينا سليمان الأذني « العلامة التي بها يعرف بعضهم بعضاً. فهي:

إنْ أتى غريب إلى بين النصيرية يسألهم ويقول: لي قريب، فهل تعرفونه؟ فيجيبون: ما اسمه؟ فيقول لهم: اسمه الحسين. فيجيبوه: ابن حمدان. فيقول: الخصيبي.

والعلامة الثانية، يقولون للغريب: شاش عمّك كم دور؟ فإنْ أجاب ستة عشر يقبلوه.

العلامة الثالثة، إنْ عطش عمّك من أين تسقيه؟ الجواب: من عين العلوية.

العلامة الرابعة، إنْ غاط عمّك فماذا تهديه؟ الجواب: لحية معاوية.

والعلامة الخامسة، إنْ ضاع عمّك فأين تلاقيه؟ الجواب: بالنسبة.

العلامة السادسة، أربعة وأربعتين وثلاثة واثنين وقدرهم مرّتين في دينك أين؟ الجواب: بالمسافرة.

سؤال: أقسم لي إيّاهم: جواب: منهم سبعة عشر عراقي وسبعة عشر شاميّ وسبعة عشر مخفي. سؤال: أين يوجدون؟ جواب: على باب مدينة حرّان. سؤال: ما يعملون؟ جواب: يأخذون بالحقّ ويعطونه بالحقّ »[٢٤].

---

(٢٤) الباكورة السليمانيّة، ص ٨٣.

الفصل السَّابع

الأعياد النصيريّة

أوّلاً : ذكر أعياد النصيريين

ثانياً : كيفيّة الاحتفال بالعيد

ثالثاً : الصلوات والقدّاسات

أوّلاً: ذكر أعياد النصيريين

عند النصيريين أعياد عربية وأعياد نصرانيّة وأعياد فارسـيّة. نعتمـد فـي ذكرهـا وتعدادها ومعناها على جملة مصادر، أهمّها « كتاب مجموع الأعياد » للطبراني[١]، ومخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٦١٨٢[٢]، وكتاب « الباكورة السليمانيّة »، فيكون لنا بذلك فكرة واضحة عن أعياد النصيريين واحتفالاتهم بها وصلواتهم فيها.

أمّا الأعياد العربيّة فمنها سنّيّة ومنها شيعيّة ومنها خاصّ بهم. أهمّها:

١ ــ عيد غدير خمّ في ١٨ من ذي الحجة، و « هو اليوم الذي أظهر السيّد محمّد فيه معنويّة مولانا أمير النحل منه السلام، للخاصّ والعام. فأقرّ من أقرّ وأنكر من أنكر »[٣]. هذا العيد هو أكبر الأعياد عندهم، يحتفل به عادة كبار الشيوخ. قال فيه الطبراني: « أمّا بعد يـا ولدي فضل يوم الغدير وما جعل الله فيه من التشريف وما يجب على المؤمنين من العمل فيه. اعلم أنه في شهر ذي الحجة وهو اليوم الثامن عشر في كل سنة، وله فضل كبيـر وشـرف عظيم، وإن السيّد محمّد دعا في هذا

---

(١) عن هذا الكتاب انظر في كتب النصيريّة من هذا البحث.
(٢) عن الأعياد النصيرية في ملحق على « كتاب تعليم الديانة النصيرية ».
(٣) المخطوط ٦١٨٢، ص ٣٨ أ، انظر الباكورة، ص ٣٤...

اليوم إلى مولاه ومعناه، وهو يوم عظيم شريف كبير محلّه. وفي هذا اليوم يقوم قائم آل بيت محمّد، وهو اليوم المشهود، يظهر المولى فيه ويكشف الغطاء ويعظم فيه الجزاء »[٤].

في هذا العيد يمتنع النصيريون عن السجود: « في كل اجتماعاتهم عند تلاوتهم سورة السجود، يركعون على الأرض. ولكن في يوم عيد الغدير، حين تلاوتها، يرفعون رؤوسهم نحو السماء »[٥].

ذكر الله في كتابه هذا العيد يوم قال لمحمّد: « يا أيّها الرسول، « بلّغ ما أنزل إليك من ربّك، فإنْ لم تفعل فما بلّغت رسالات ربّك. والله يعصمك من الناس »[٦]. فقال: فعند ذلك عمّد رسول الله إلى الاقتاب[٧]، فجعلها، وهو بغدير خمّ، وصعد على الاقتاب وخطب بالناس ثم قال: من كنت مولاه ـــ وقبض على عضدي أمير المؤمنين ورفعه حتى بان بياض أبطي رسول الله، ثم قال: من كنت مولاه ـــ فعليّ مولاه. اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله »[٨]. هذا برواية الشيعة المقصّرة، وامّا برواية أهل التوحيد[٩]، فرأوا قوله وتحقّقوه: من كنت مولاه فعليّ معناه. فبيّن وأوضح معنويّة مولانا أمير المؤمنين، لأنه يوم ظهور وكشف، وهو ندى من الأندية في القبّة المحمّدية، لأن فيه كان المعنى عزّ عزّه ظاهراً بذاته، واسمه ظاهراً بين يديه، يدعوه ويرشد العالم إليه وشاهداً لهم وعليهم...

---

(٤) مجموع الأعياد، ص ٢٠ ب.
(٥) الباكورة السليمانية، ص ٥٤.
(٦) سورة المائدة، ٥ / ٧١.
(٧) الاقتاب هي الاجلال، جمع جلال، والبرادع.
(٨) راجع في شأن غدير خمّ وعظة محمد صفحة ١٦ من هذا البحث.
(٩) أهل التوحيد هم، هنا، النصيريون، بمقابل الشيعة المقصّرة.

هذا العيد هو « يوم كشف وظهور، فاستعملت فيه الأكل والشرب والأفراح والمصافحة والدعاء إلى الله تعالى والشكر على ما أنعم به من فضله. يؤيّد ذلك ما قاله سيّدنا أبو عبد الله الخصيبي في قصيدته الغديرية:

أنّ يومَ الغدير يومُ السروري   بيّنَ اللهُ فيه فضلَ الغديري[١٠].

٢ً ـــ عيد الفطر « وهو اليوم الذي يؤذن فيه للمؤمنين بالنطق وإظهار أمر الله عزّ وجلّ »[١١]. يقول فيه الطبراني: « إنّ أوّل الأعياد، في السنة العربية، عيد الفطر، وهو السيّد محمّد أوّل الأعداد، وهو الواحد والأعداد بدؤها منه، وعودها إليه. والسيّد محمّد يثني ويدخل في الأعداد والقسمة. فلمّا كان السيّد محمّد أوّل الأعداد وجب أن يكون عيد الفطر أوّل الأعياد »[١٢].

أمّا المعنى الحقيقي لهذا العيد عند النصيريين فهو، كما تظهره هذه الصلاة، « إنّي أشهد أنّ محمّداً اسمك ومكانك المقصود وحجابك الموجود المعبود، وإنه شخص هذا اليوم الذي أعلنت ظاهره وعظّمت باطنه، وهو الذي أظهرت فيه نفسك ومحلّ قدسك، فحققت الإسلام وفطرت فيه الصيام، وهو عيد المؤمنين وبخات العارفين »[١٣].

٣ً ـــ عيد الأضحى، أو الأضحية، « وهو يوم خروج القائم منه السلام بالسيف وإهراقه الدماء »[١٤]، يقع في ١٠ من ذي الحجة « تذكاراً لإسمعيل بن هاجر »[١٥].

---

(١٠) مجموع الأعياد، ص ١٧ ب.
(١١) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٨ أ.
(١٢) مجموع الأعياد، ص ٦ ب.
(١٣) نفس المرجع، ص ٧ ب.
(١٤) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٨ أ.
(١٥) الباكورة، ص ٣٤، ومجموع الأعياد، فصل ٣ ـ ٥.

٤ً ــ عيد المباهلة[١٦]، وهو اليوم الذي جادل فيه النبي أهل نجران في شأن المسيح[١٧]، يقع في ٢١ من ذي الحجة. وهو يوم عزيز على قلوب النصيريين لأنّ محمّداً كان فيه مع « أصحاب الكساء »، أي: فاطمة وعلي الحسن والحسين[١٨].

٥ً ــ يوم الفراش، أي الفراش الذي نام فيه عليّ مكان محمّد ليخلّصه من كفّار قريش، ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة سنة ٦٢٢. يقع في ٢٩ من ذي الحجة. فيه جاء كفّار قريش « وكبسوا داره (دار النبي) لقتله، وقالوا: اقصدوا فراشه حتى نقتله فيه. فقال رسول الله لمولانا أمير المؤمنين يا أخي إنّ مشركي قريش يكبسوني في هذه الليلة، ويقصدون فراشي، فما أنت صانع يا عليّ؟ فقال له أمير المؤمنين: أنا، يا رسول الله، أتضجع في فراشك ويكون خديجة في الدار في موضع منه، واصطحب الله إلى حيث تأمن على نفسك. فقال رسول الله: فديتك يا أبا الحسن، أخرج لي ناقتي الغضباء حتى أركبها، واخرج إلى الله هارباً من مشركيّ قريش »[١٩].

٦ً ــ عيد عاشوراء. « فيه معرفة يوم كربلاء واستشهاد الحسين. يقع في العاشر من شهر محرّم. أنشده الخصيبي جملة من قصائده. يعتبر النصيريون أنَّ الحسين كالمسيح في القرآن، لم يقتل ولم يمت، بل غاب[٢٠]. فالحسين « كانت سيرته تقارب سيرة سيّدنا المسيح وما أظهره من القتل والصلب وسائر سيرته »[٢١]. وفي مكان آخر هذا الدعاء: « أشهد أنّك

(١٦) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٩ أ.
(١٧) انظر سورة آل عمران ٣ / ٥٤. كان ذلك في عام الوفود سنة ٦٣١.
(١٨) مجموع الأعياد، ص ٢٧ ب.
(١٩) نفس المرجع، ص ٣١ ب، مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٩ أ. لا تذكره الباكورة.
(٢٠) سورة النساء ٤ / ١٥٧ ـ ١٥٨. « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم... ».
(٢١) مجموع الأعياد، ص ٣٥ أ.

ما قتلت ولا غلبت ولا قهرت ولا متّ ولا تموت، بل أظهرت الغيبة بقدرتك، واحتجبت عــن عيون الناظرين بحكمتك، وأنت يا مولاي حاضر غائب غير بعيد تسمع الكلام وتردّ الجــواب عليك يا مولاي. أتيتك يا مولاي زائراً بفضلك مقرّاً بظهورك، لائذاً بك عابداً صورك »[٢٢].

وفي عقيدة النصيريين أن الحسين ذبح في الظاهر مراراً كثيرة، أمّا في الحقيقة فهــو يتعالى عن أيّة أساءة. « وكان الحسين بن عليّ أكرم على الله من أن يذيقه القتل على أيــدي الكفرة الظالمين، وحاشا أن يذيقه حرّ الحديد، وأن عند الله من لطف التدبير ما يتلطف بأوليائه وينقذهم من أهل عداوته، ويهلك أعداءه وأعداء أوليائه بالحجة البالغة... ولقد فعل الله سبحانه بالحسين فعلة لم يفعلها بالمسيح ولا بزكريا ولا بيحيى ولا بأحد الأنبياء. وإن الذبح في الظاهر كان إلى اسماعيل الذي فدى بذبح عظيم، وهو الحسين الذي هو عينه واسمه ونســبه، ولــيس بينهما فرق كأنّهما واحد. ولقد ذبح في الظاهر أكثر من ألف مرّة... »[٢٣].

وكيفيّة ذلك إن الكفّار « لمّا اجتمعوا على الحسين ليذبحوه، كما يقولون، خرج من بدنه ورفعه الله إليه، ومنع الأعداء الظالمين منه »[٢٤]، لأن « الإمام يدخل فــي الأبــدان طوعــاً وكرهــاً، ويخرج منه إذا شاء طوعاً وكرهاً، كما ينزع أحدكم جبّته وقميصه بلا تكلّــف ولا ريب »[٢٥].

وقصّة ذلك إنّ « الحسين، لما خرج إلى العراق وكان الله محتجباً به، وصار لا ينزل منزلاً صلوات الله عليه، إلاّ ويأتيه جبريل

---

(٢٢) مجموع الأعياد، ص ٤١ أ.
(٢٣) كتاب الهفت والاظلة، ص ٩٨.
(٢٤) المرجع نفسه، ص ١٠١.
(٢٥) نفس المرجع، ص ١٠١.

فيحدثه، حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر عليه، واصطفّت الخيول لديه، وقامت الحرب، حينئذ دعا مولانا الحسين جبريل، وقال له: يا أخي من أنا؟ قال: أنت وليّ الله، لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم المميت والمحيي، أنت الذي يا ابن الزهراء تأمر السماء فتطيعك، وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد، ولا ضرر ضارّ... »[٢٦].

تأتي أهميّة هذا العيد في الدرجة الأولى من الأعياد النصيريّة. فيه تُلبس الثياب البيضاء الطاهرة، ويدعى على الذين عذّبوا رسول الله. قال الصادق: « يا عبد الله بن سنان، إنّي أفضّل ما يأتي به في يوم عاشوراء أن تعمد إلى ثياب طاهرة وتلبسها وتحلّل أزرارك وتكشف عن ذراعيك ثم تخرج إلى أرض مقفرة حيث لا يراك أحد، أو في منزلك أنت وأخوانك حتى يرتفع النهار، ثم تقول: اللهم عذّب الذين حاربوا رسلك وشاقّوهم وعبدوا غيرك »[٢٧].

٧ً ــ اليوم التاسع من شهر ربيع الأول في كل سنة وهو مقتل دلام لعنه الله[٢٨]، واسمه غدير الثاني[٢٩]. فيه ذكرى تعريف محمّد برسالة أولاد عليّ. في مثل هذا اليوم دخل حذيفة بن اليمان على رسولِ الله وقال: « فرأيت سيّدي أمير المؤمنين مع ولديه الحسن والحسين يأكلون مع رسول الله، ورسول الله يتبسّم في وجه الحسن والحسين ويقول لهما: كُلاَ[٣٠]، هنيئاً لكما، على بركة الله وبركة هذا اليوم وسعادته، فإنه

(٢٦) كتاب الهفت والأظلّة، ص ١٠٢. انظر الفصل كله ص ٩٧ ـ ١٠٧.
(٢٧) مجموع الأعياد، ص ٣٩ ب ـ ٤٠ أ.
(٢٨) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٩ أ.
(٢٩) الباكورة السليمانية، ص ٣٥.
(٣٠) انظر سورة الطور ٥٢ / ١٩.

اليوم الذي يقبض الله فيه عدوّه وعدوّ جدّكما ويستجيب فيه دعاء أمّكما، كُلاَ، فإنَّه اليوم الــذي يُقتل فيه عدوّكما، ويقبل فيه أعمال شيعتكما ومحبّيكما، كُلاَ، فإنَّه اليومُ الذي يَصدق فيه قــول الله: فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا[٣١]، كُلاَ، فإنَّه اليوم الذي كَسَر الله به شــوكة مبغضــة[٣٢] جدّكما، وناصر عدوّكما. كُلاَ[٣٣].

٨ً ــ ليلة نصف شعبان، فيــها أيضاً ذكــر الحسين. وهي واجبــة على النصيريين: « يجب على المؤمنين الاجتماع فيها، ثم احياؤها بالفرح والسرور والمذاكرة الحسنة على عبد النور (الخمرة) والثناء على الله وعلى أسمائه ومقاماته وأبوابه ومراتب قدسه »[٣٤].

وأعياد كثيرة أخرى مذكورة في المراجع التي عنها ننقل.

أمّا الأعياد النصرانيّة فكثيرة أيضاً. نذكر أهمّها:

١ً ــ عيد الميلاد، أي عيد ميلاد السيّد المسيح ليلة الرابعة والعشــرين مــن كــانون الأول. في هذه الليلة « السيد المسيح أظهر الولادة من السيدة العذراء مــريم ابنــة عمــران الطاهرة الزكيّة، وقد ذكرها الله في كتابه[٣٥]، ولكن مريم ليست إلاّ آمنة بنت وهب أمّ ســيّدنا محمّد؛

---

(٣١) انظر سورة النمل ٢٧ / ٥٢.
(٣٢) انظر سورة الأنفال ٨ / ٧.
(٣٣) مجموع الأعياد، ص ٤٩ ب.
(٣٤) المرجع نفسه، ص ٥١ أ ب.
(٣٥) انظر سورة التحريم ٦٦ / ١٢ فيها نصّ الآية التي ينقلها كتاب المجموع.

وكثير من أهل ملّتنا يقولون إنها هي فاطمة عليها السلام. ويستندون في ذلك إلى قول سـيّدنا محمّد لها حين دخلت عليه: ادخلي يا أمّ أبيك، أو في رواية أخرى: مرحباً بك يا أمّ أبيك. ولم يقل النبي هذا القول إلاّ ليشير إلى أنّها أمّ الحاآت الثلاثة: الحسن والحسين والمحسن. أمّـا أمّ سيّدنا محمّد فهي آمنة بنت وهب التي باسم مريم ولدت عيسى كما ظهر سيّدنا محمّد بولادتـه من أمّه آمنة بنت وهب »[٣٦].

وفي مكان آخر يقول الطبراني: « إن مريم بنت عمران هي بعينها آمنة بنت وهـب بالنسبة إلى سيّدنا محمّد، وإن الله تعالى أشار إلى ذلك في كتابه العزيز، فقال: « واذكر فـي الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكان شرقيّاً... الخ »[٣٧]. ثم يورد أبياتاً قالها الخصيبي فـي مريم ويقول إنه لمّا كان سيدنا عيسى قد تكلّم في هذه الليلة وظهر، فإن هذه الليلـة صـارت مباركة، ومن واجب المؤمنين إذن الاحتفال بهذه الليلة كما تستحق، وذلـك بـتلاوة الأدعيـة الموجّهة إلى الله تعالى. ثم يورد الدعاء الذي ينبغي تلاوته في هذه المناسبة »[٣٨].

٢ ـــ عيد الغطاس في ٦ كانون الثاني[٣٩]، أو عيد القداس، وهو اليوم الذي فيه تعمّد المسيح على يد يحيى السابق في نهر الأردن. لهذا العيد مكان مرموق في سوريا، فيه تغسـل النساء أولادهنّ تيّمناً بعماد المسيح في الأردنّ[٤٠].

(٣٦) انظر « مذاهب الاسلاميين ج ٢ ص ٤٦٦ لعبد الرحمن بدوي.
(٣٧) انظر سورة مريم ١٩ / ١٦ ـ ٣٠، فيها يستشهد مجموع الأعياد.
(٣٨) مذاهب الاسلاميين، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.
(٣٩) الباكورة السليمانية، ص ٣٥.
(٤٠) R. Dussaud, Hist. et Rel. des Nosairis, 149…

٣ً ــ عيد البربارة في ١٦ تشرين الأوّل[٤١]، وهو عيد شعبي كبير، فيه تُعَدّ الحلــوى ويُسلَق القمح وتُقَدّم المآكل الطيّبة، ويَختارُ أصحابُ الاحتفال فيه شخصاً يسمّونه « عرندس ». و « العرندس قالوا هو اسم من أسماء الأسد »[٤٢]، يدهنون وجهه بالدخان الأسود، ويلبســونه ثياباً هزلية، وهم يقولون: « بسّيّة بربارة، بسّيّة بربارة... »[٤٣].

٤ً ــ عيد السابع عشر من آذار[٤٤] « ممّا استخرج مــن كتــاب الأكــوار والأدوار النورانيّة »[٤٥].

وأعياد أخرى كثيرة: عيد الشعانين، عيد العنصرة، عيد مريم المجدليّة، عيد يوحنّا فم الذهب، عيد القديسة كاترينا، عيد في ١١ من تشرين الثاني، وفي ١٨ منه[٤٦]. وأعياد خاصّة أخرى تحتفل بها كل عشيرة أو عيلة أو شيخ... ثم عيد رأس السنة المســيحية أو الروميّــة، وفيها يتزيّنون ويطربون بالمآكل والشراب والسهر والرقص...

« أمّا في أعياد نيسان و١٧ من آذار و١٦ تشرين الأول... فيضــعون قــدام الإمــام طستَ ماءٍ كبيراً، فيه أغصان زيتون أو ريحان أو صفصاف... وبعد انتهاء الصلاة يكشفون رؤوسهم جميعاً ويقوم النجيب ويرشّ عليهم من ذلك الماء ويفرّق علــيهم قلــيلاً مــن تلــك الأغصان فيأخذونه ويضعونها في كوابرهم لأجل التبرّك »[٤٧].

---

(٤١) تضعه الباكورة في ٤ ت ٢، ص ٣٤.
(٤٢) شيخو، المشرق عد ١ ص ١١٣٤.
(٤٣) المرجع نفسه.
(٤٤) الباكورة السليمانية، ص ٣٥.
(٤٥) كتاب مجموع الأعياد، فصل ٤٥ ـ ٤٦.
(٤٦) الباكورة، ٣٤ ـ ١٣٥.
(٤٧) نفس المرجع، ص ٥٤.

أمّا الأعياد الفارسيّة فمنها:

ً١ ــ عبد النوروز « وهو اليوم الرابع من نيسان في كل سنة، وله شــرف عظــيم وفضل كبير »[٤٨]، وهــو أيضاً عيد النور « سمّى الله ذلك اليوم النــور، وســمّته الفــرس: النوروز »[٤٩]. إنّه « يوم عظيم مبارك، مجّده الأكاسرة وأقرّوا بفضله. وكانوا في ذلك اليــوم يحملون تيجاناً من الريحان والشقائق، ويرشون الماء، وكانوا يتبادلون فيه الهدايا... إن المولى تجلّى في شخص ملوك الفرس وتجلّت فيهم أسماؤه وأبوابه وأولياؤه النورانيــون. وذكــر أن الخصيبي شرح هذه المسألة في إحدى رسائله، وينسب إلى الفرس الحكمة، لأن الاسم والمعنى يتجلّيان عندهم في مقامين من ملوكهم الأول: أردشير بن بابك، وسابور بن أردشير... »[٥٠].

ً٢ ــ عيد المهرجان، وهو في ١٦ تشرين الأول[٥١].

ً٣ ــ عيد أوّل نيسان[٥٢].

ً٤ ــ عيد ١٥ نيسان[٥٣]......

*****

إن سبب هذا التنوع في الأعياد لهو بدون شكّ نوع من « التقيّة »، فالنصيريون، حفظاً لحياتهم، لبسوا، كما رأينا، لباس كلّ الطوائف التي سيطرت عليهم وقهرتهم في جبالهم النائية. ولا يزالون، إلى اليوم، يحتفلون بها كعادات وتقاليد، يقيمون بمناسبتها شركة السرّ: سرّ الخمرة والقدّاس.

(٤٨) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٩ أ. والسؤال ٩٠ من تعليم الديانة النصيرية.
(٤٩) مجموع الأعياد، ص ٦٥.
(٥٠) انظر « مذاهب الاسلاميين » ج ٢ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠.
(٥١) مخطوط ٦١٨٢ ص ٣٩ أ. مجموع الأعياد فصل ٤٧ ـ ٥٥. الباكورة ٣٤.
(٥٢) الباكورة ص ٣٥.
(٥٣) الباكورة ص ٣٥.

ثانياً: كيفيّة الاحتفال بالعيد

« والنصيريّة ليس لهم معابد مثل الإسلام والنصارى، بل إنّهم، في كل مدّة، يجتمعون في بيوت معلومة لهم. وهذا الجمع يسمّونه عيد. وفيه تجتمع مشايخ ديانتهم، ويقرأون على جماعتهم بعض قصص وأخبار وخرافات(١). ولا بد كل إنسان متقدّم أن يخصّص لنفسه يوماً معلوماً يسمّيه بالعيد. وصاحب العيد يضحّي في ذلك اليوم بعضاً من مواشيه »(٢).

هذا الوصف المختصر سيتناوله سلمان الاذني في كتابه الباكورة، ويسترسل بتوسيعه. ونحن نلخّص ما جاء في فصوله:

« إنّ كل رجل غني ملتزم بعمل عيد أو عيدين أو ثلاثة، حسب طاعته لمذهبه »(٣). وإنّنا لنرى في احتفالاتهم بالعيد « الذبائح والطبائخ، والناس مجتمعين أفواجاً. فكان أهل المدن يعملون أعيادهم غلساً لكي لا يظهر عليهم أحد. وأمّا سكّان القرى فلا يبالون. وعندهم أعياد الفرح في رمضان كالإسلام، وعيد الضحيّة... ثم عيد رأس السنة... فسكان القرى يعتبرونه أكبر من ذينك العيدين. وإمّا سكان المدن فلا يعتبرونه لئلا يظهر عليهم المسلمون، بل يعتبرون ذينك العيدين للفرح فقط »(٤).

---

(١) قد تكون هذه المخطوطة من وضع يد غير نصيرية لنسبة الـ« خرافات » إليهم.
(٢) مخطوط المكتبة الملكية ببرلين رقم ٤٢٩١، ص ٥٦ أ.
(٣) الباكورة السليمانية، ص ٣٤.
(٤) نفس المرجع، ص ٣٦.

يكون الاحتفال بالعيد على الشكل التالي:

« متى حان يوم عيدهم تجتمع الناس إلى بيت صاحب العيد، ويأتي الإمام ويجلس، ويضعون أمامه خرقة بيضاء فيها محلب وكافور وشموع وورق الريحان أو الزيتون، ويقدّمون اناءً مملوّاً خمراً، أو نقيع العنيب، أو الزبيب، ويجلس نقيبان، أحدهما عن يمين الإمام والآخر عن يساره، ثمّ يميّز صاحب العيد نقيباً آخر للخدمة، وبعد ذلك يتقدّم ويقبّل يد الإمام ويد النقيب الذي عن يمينه، ثم يد الذي عن الشمال. وبعد ذلك يد النقيب الممتاز للخدمة.

« ينهض النقيب ويضع يديه على صدره قائلاً: « الله يمسّيكم بالخير يا أسيادي، ويصحبكم بالرضى والسعادة. هل ترضوني خادماً لكم في هذا العيد المبارك على كيس صاحب العمل فلان الله يبارك عليه؟ فيجيبه الحاضرون: نعم. حينئذ يقبّل الأرض طاعة للحاضرين، ويأخذ بيديه ورق الريحان، ويفرّق عليهم، وهو يتلو هذه الآية، واسمها سطر الريحان:

« قوله تعالى: فإمّا إن كان من المقربين فروح وريحان وجنّة نعيم »(٥). اللهم صلّي على أسماء أشخاص الريحان، هم صعصعه بن صوحان، وزيد بن صوحان العبدي، وعمّار بن ياسر صاحب الفضل والمآثر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد ابن أبي حذيفة، صلوات الله عليهم أجمعين ».

« وكذلك الحاضرون يتلونه أيضاً ويأخذون ذلك الورق ويفركونه بأيديهم، ويشمّون رائحته.

---

(٥) من سورة الواقعة ٥٦ / ٨٧ ـ ٨٨.

« ثم بعد ذلك يأخذ طست ماء ويضع فيه محلباً وكافوراً. ويقرأ قدّاس الطيب[٦]. ثـم يسكب على يد الإمام ملعقة من الطيب ويناول الطست للنجيب ليسكب على يد كلّ منهم ملعقة منه، فيدور عليهم به، ويقرأ عند المناولة هذه الآية، واسمها سطر الطيب:

« قوله تعالى: أوَلم يرَ الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حيّ، أفلا يؤمنون »[٧]. سبحان من أحيا الميّت بأرض صرصـر بقـدرة مولانا العلي الأكبر. الله أكبر الله أكبر.

« وكذلك الحاضرون يتلونها عند التناول، ويغسلون وجوههم ثـم إن النقيـب يأخـذ مجمرة بخور وينهض قائماً ويقرأ القداس الثاني واسمه قداس البخور[٨].

« ثم يبخّر الإمام وكل الجالسين عن يمينه ويساره، ويناول النجيب المجمـرة ليبخـر الجماعة، وحينما يدور عليهم يتلو هذه السورة واسمها سطر البخور:

« اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمد المصطفى والحسن والحسين ابني علـيّ وعلـي زين العابدين وابنه محمّد الباقر وابنه جعفر الصادق... إلى الحسن العسكري... صـلوات الله عليهم أجمعين.

« والمبخَرون يتلونها أيضاً ثم يأخذ النقيب بيده كأس خمر ويقوم قائماً ويقرأ القـداس الثالث واسمه قداس الأذان[٩].

(٦) سيأتي نصّه بعد حين.
(٧) من سورة الأنبياء ٢١ / ٣٠.
(٨) سيأتي نصّه بعد حين.
(٩) سيأتي نصّه بعد حين.

« ثم يناول الإمام القدح ويملي كأساً أخرى، ويناولها للجالس على اليمنـــى، وكأســـاً للجالس على اليسار، وعند المناولة يتلون:

« أشهد أن مولاي ومولاك أمير النحل عليّ بن أبي طالب الذي لا حال ولا زال ولا ينتقل من حال إلى حال. وأشهد بأن حجابه السيّد محمّد وبابه السيد سلمان، ولا منفصل بـــين المعنى والاسم والباب.

« بعد ذلك يقول المناول للمتناول:

« خذ يا أخي هذه الكأس بيمينك واستعن بمولاك علي بن أبي طالب يدبّرك ويعينـــك. فيجيبه المتناول: « هات يا أخي ما في يمينك واستعن بربك وخالقك فهو يدبّرك ويعينك على أمور دينك أثمر الله من هذا من ماله بحرمة محمّد وآله ». ثمّ يقبّلان أيادي بعضهما.

« ثم ينهض النقيب ويضع يديه على صدره ويقول:

« الله يمسّيكم بالخير يا أخوان، ويصبحكم بالرضى يا أهل الإيمان، سامحونا من الغلط والسهيان، لأن الإنسان ما سُمّي إنساناً إلاّ لأجل أنه يخطئ وما تمّ الكمال إلاّ لمولانا على ذي الجلال وهو بكل شيء عليم ».

ثمّ يقبّل الأرض، ويجلس. وبعده يتوجّه الإمام نحو الجماعة قائلاً:

« الله يمسّيكم بالخير يا أخوان ويصبحكم بالرضى يا أهل الإيمان، هـــل ترضـــوني خادماً لكم في هذا النهار المبارك على كيس صاحب العمل، بـــارك الله عليـــه؟ » ثـــمّ يقبّـــل الأرض، وكذلك الجماعة ويقولون: « قبلناك شيخنا وسيّدنا ».

ثم يقول الإمام:

« قد روى الخبر عن مولانا جعفر الصادق الصامت الناطق، الفاتق الرائق، أنه قـال في أوقات الصلاة: لا يجوز أخذ ولا عطا، ولا بيع ولا شرا، ولا حـديث ولا شوشـرة، ولا حرج ولا مرج، ولا حديث فوق الريحان إلاّ الصمت والاستماع وكلمة آمين. اعلموا يا أخوان من كانت على رأسه عمامة سوداء، أو بأصبعه كشتبان، أو في وسطه سكّين ذات حـدّين(١٠)، فصلواته غير جائزة. وأكبر الـذنوب الخطأ فوق الريحـان، وما على الرسـول إلاّ الـبلاغ المبين ».

ثمّ يقبّل الأرض ويقول: « هذه الطاعة لله ولكم يا أخوان ».

ثمّ يخرّ الحـاضرون ويقبّلون الأرض ويرفعـون أيديهـم على رؤوسهم ويقولـون: « طاعتك لله تعالى يا شيخنا وسيّدنا ». ثم يقرأ الإمام سورة التبرّى، أو سورة الشتائم(١١). ثم يمسح يده على صدره قائلاً للحاضرين: نتبرّأ من هؤلاء الشياطين الخبثاء المارقين على فضل ع م س. وكذلك الجميع يقبّلون أيادي بعضهم يميناً ويساراً. ثم يقرأ الإمام آيات مـن القـرآن وبعدها يتوجّه نحو الجماعة يقول:

« اعلموا يا أخوان أنّ مثل هؤلاء (هذه الآيات) شواهد وآيات كثيرة تدلّ على معرفة العلي الكبير. اسألك يا أمير النحل يا عليّ يا عظيم بحرمة هؤلاء الشواهد والسور والمعـاجز والقدر، وبحرمة السيد محمّد الذي هو من نور ذاتك انفطر بأن تحلف وتبارك لأصحاب هـذا الخير وهذا

---

(١٠) أصحاب العمامة هم شيوخ المسلمين، أصحاب الكشتبان هم أساقفة الكنيسة، وأصحاب السكين هم الدروز، من قول حمزة: « ولا يمشي أحد منهم إلاّ ومعه شيء من السلاح وأقلّه سكّين » (تقليد الرضى رقم ٢١ من رسائل الحكمة، ص ٢١٠) والإسماعيليّة، من قول ابن بطوطة عنهم: « ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا إلى قتله » (رحلة، ص ٧٦).

الإحسان وهذا الأثر، ويجعل محلّكم معمّر وفرعكم أخضر وعدوكم مـــدمّر. يبـــارك علـــيكم مولاكم العليّ المقتدر النافخ في الصور. اللهم صلّي وسلّم على سيّدنا الخضر الأخضر ونبـــي الله الاسكندر والملك جعفر الطيّار والسلطان حبيب النجار وسيّدي ميثم الثمار. ويقدس ويرحم روح سيّدي الشيخ حسن الأسمر والشيخ ابراهيم بن قشمر والشيخ خليل منور والشيخ علي في الصنوبر ويجعلها مساة وليلة مباركة علينا وعليكم. يا أخوان يا من حضر بحرمـــة العزيـــز المقتدر، يا أمير النحل يا علي يا عظيم. »

ويتلو الإمام صلوات كثيرة وقدّاسات أخرى تقيم المجد والعبادة لعليّ. وينتهي كل ذلك بقدّاس التمام أو قدّاس الاشارة[١٢]، ثمّ سورة الإشارة من كتاب المجموع.

وبعد الفراغ من كل هذا يأخذ الإمام بيده قدح الخمر ويقرأ خبراً عـــن الحســـين بـــن حمدان الخصيبي. ثم يأمر الجماعة بتلاوة سورة السجود من كتاب المجموع. ثم يأخذ الإمـــام القدح الذي بيد الجالس عن يمينه ويمزجه مع الكأس الذي بيده، ويقول عند مزجه:

« أرأيت ثم أرأيت نعيماً وملكاً كبيراً عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلّوا أساور من فضة وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ».

ثم ينشد الإمام هذه الترنيمة للخصيبي:

(١١) سيأتي نصّها بعد حين.
(١٢) سيأتي نصّه بعد حين.

حكـــم ساقهـــا إليـــكم أخيكم عبد عبد لثـــاني عشر بـــدور
جنبلانيكـــم سليـــل خصيب يستقيها من فيض بحر الـــزخور
من عيون التسنيم يسقى رحيقا سلســـليّا مختمـــا بعبـــير.

ثم يشرب من الكأس قليلاً، ويناوله للجالس عن يمينه ويأخذ الكأس الآخر من الجالس عن شماله ويشرب منه قليلاً ويناوله إيّاه أيضاً. ويناول الكأس الذي معه إلى النقيب الخـــادم، فتدور الكؤوس بينهم من واحد إلى آخر. وعند المناولة يقبّل الواحد أيـــدي الآخـــر، ويقـــول المناول للمتناول: « تفضّل اشرب يا أخي وسيّدي سرّ ع م س ». ثم يأخذ المتناول فيشـــرب ويقول: « سقاك الله يا أخي وسيّدي ». ويجيبه المناول: « هنّاك الله في شـــرابك ومشـــروبك ويبلّغك مقصودك ومطلوبك ».

ثم يقرأ الإمام سُوَرَاً من كتاب المجموع، ومن القرآن، ثـــم دعـــاء اليمـــين ودعـــاء الشمال[١٣]، ثم ترنيمات من شعر الخصيبي... ثم يقبّل الأرض، وكذلك الجماعة. ثم ينهضون جميعاً ويقبّلون أيادي بعضهم بعضاً يميناً ويساراً ومن يكون قريباً إلـــيهم. وحينئـــذ يطفئـــون الشموع.

ويأتي صاحب العيد ويفرّق الزكاة، وهي دراهم، للإمام وللنقيب ولجميع القارئين. ثـــم يأخذ الإمام كتاب المجموع ويقرأ عليهم قليلاً، ويأمرهم بالركعة، فيركعون. وبعدها يأمر بتلاوة الفاتحة وهي:

« الفـــاتحة يا أخوان في إبادة الدولـــة العثمانيّـــة واســـتظهار الطائفـــة الخصـــيبية النصيرية... ». ويطلبون من ربّهم لأجل إبادة حكّام المسلمين. ثم تمدّ المآكل ويأكل الجميـــع. وأخيراً ينصرفون[١٤].

(١٣) سترى هذه الصلوات والأدعية في ما يلي.
(١٤) الباكورة السليمانية، ص ٣٤ ـ ٥٩.

ثالثاً: الصلوات والقدّاسات

يقيم النصيريون، أثناء الاحتفال بأعيادهم، صلوات كثيرة ومتنوّعة، وهي قدّاسات، وتوسّلات، وأدعية، وترانيم... نشر بعضها سليمان الاذني في « الباكورة السليمانيّة »(١)، ونشر بعضها الآخر « كتافاغو » مع ترجمتها الألمانيّة(٢). ويوجد قسم منها في مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٦١٨٢(٣)، وقسم آخر في مخطوط رقم ٥١٨٨(٤). ونلاحظ في جميع هذه المصادر أخطاء لغوية ونحوية وإملائية عديدة، سنصلح بعضاً منها دون النيل من معناها.

١) القدّاسات النصيريّة

إنّها كثيرة، نعطي أربعة منها. وهي تقال في الأعياد في المكان الذي نوّهنا إليه في الصفحات السابقة. هذه الأربعة تشدّد، بنوع خاصّ، على ألوهيّة عليّ، وتتوجّه مباشرة إليه. وقد حدّد كتاب تعليم الديانة

(١) كتاب الباكورة السليمانية، ص ٣٨ ـ ٥٩.
(٢) Catafago, ZDMG, II, pp. 388-394, année 1848.
(٣) في هذا المخطوط قسمان: القسم الأول في « كتاب تعليم الديانة النصيريّة »، والقسم الثاني حيث بعض القداسات والصلوات واسمه « التوجيه » و « المشيخة ».
(٤) في هذا المخطوط أيضاً قسمان: قسم ترجمة فرنسية لتعليم الديانة، وقسم فيه بعض الصلوات والقداسات والخطب التي ألقاها عليٌّ في ألوهيّته.

النصيرية « القدّاس » ومضمونه، بشكل سؤال وجواب، كما يلي:

س: ما هو القدّاس ؟ ج: هو تقديس الشراب، وشربه بسرّ النقباء والنجباء.

س: ما هو القربان؟ ج: هو الخبز الذي يقرّبه المؤمنون عن أرواح أخوانهم ويقال له القداس(٥).

س: من هو الذي يقدّس القدّاس ويقربّ القربان للمؤمنين؟ ج: هو إمامهم وخطيبهم العظيم.

س: ما هو سرّ الله الأكبر؟ ج: هو سرّ اللحم والدم الذي قال المسيح عنه لتلاميذه عليه السلام: هذا لحمي ودمي، فكلوا واشربوا منه لأنه حياة الأبدية.

س: ما هو القداس الأول؟ ج: هو الذي يقال قبل النوروز.

س: ما هو القداس الثاني؟ ج: هو الذي يقال بعد النوروز.

س: ما هوالنوروز؟ ج: هو تقديس الشراب بالجام(٦).

س: قل لي ما هو النوروز؟ ج: اعلم أن النوروز هو هذا:

نوروز حــقّ مستفيد غــانم — متحقق بمولاي أكــرم هاشم
يوم أبــان الله فيــه ظهــوره — قبل الأعارب في قباب عاجم
وسما بها نحو السما فأبصروا — فيها مراجيحا برايــا حــازم
ولسلســل فيه ظهــور مهيمنا — متــابع لقديمنــا المتقــادم
فاشرب من الخمر الزلال فانّه — يــوم تجلّى نــوره بغمــائم
يوم الغــدير قــد أشار محمّد — بالقصد نحو إلــه رب عالم

س: ماذا يدعى الخمر المقدس الذي تشرب منه المؤمنون؟ ج: يدعى عبد النور.

س: لماذا يدعى عبد النور ؟ ج: لأن الله ظهر به. ولهذا روى عن سيّدنا

---

(٥) ليس القربان من خبر قمح، كما عند المسيحيين، بل هو ورق الريحان.
(٦) الشراب بالجام هو الخمرة بالكأس.

أبي عبد الله الحسين الخصيبي الرأي المصيب، إذ كان يحضر بين يديه عبد النور كان يأخذ القدح في يمينه وينهل منه ثلاثة نهلات ويترنّم عليه قائلاً:

اللهمّ إن هذا عبدك عبد النور شخص حللته وكرّمته وفضّلته لأولئك العارفين بكل حلال طلقاً وحرمته على أعدائك الجاحدين المنكرين لك حرام نصّاً اللهم مولاي كما حللته لنا أرزقنا به الأمن والأمان والصحة من الأسقام، وانف عنّا به الهمّ والأحزان...[٧].

القدّاس الأوّل

قدّاس الطيب لكل أخ حبيب

« أيّها المؤمنون! انظروا إلى مقامكم هذا الذي أنتم به تجتمعون، وانزعوا الغلّ من قلوبكم والشك والحقد من صدوركم ليكمل لكم دينكم بمعرفة معينكم ويستجاب منكم دعاؤكم ويكرّم مثواكم مولانا ومولاكم. اعلموا أن عليّا بن أبي طالب قائم معكم وحاضر بينكم ويسمع ويرى ويعلم ما فوق السماوات السبع وما تحت الثرى وهو عليم بذات الصدور[٨] والعزيز الغفور.

« إياكم إيّاكم يا أخوان من الضحك والقهقهة في أوقات الصلاة مع الجهّال، فإنها بئس الفعال وتقرب الآجال وتهبط صالح الأعمال، ولكن اصغوا واسمعوا لمقال السيّد الإمام لأنه قائم فيكم كقيام الفرد الصمد العليّ العلاّم.

---

(٧) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٧٦ ـ ٧٩، ٨٧ ـ ٩٢.
(٨) القرآن: ٣ / ١١٩ و١٥٤، ٥ / ٧، ٨ / ٤٣، ١١ / ٥، ٤١ / ٢٣، ٣٥ / ٣٨، ٣٩ / ٧، ٤٢ / ٢٤، ٥٧/ ٦، ٦٤ / ٤، ٦٧ / ١٣.

« إنّا مزجنا لكم هذا الطيب على هذه النيّة كما مزجت السماوات في السبعة الإماميّة في خالص عقد النفوس الجوهرية تنزيهاً للصورة البشريّة المرئيّة الأنزعية. طيبوا بها أنفسكم الطاهرة الذكية من سائر الأفعال الردية. لقد خصّ بها من الميم للسين في كل وقت وحين اليّا اليّا فهو عليّا إله له الدين الخالص إنما يدعون من دونه باطل وعبادة المخلوقات هي الرأي العاطل لأنه تعالى عزّ شأنه في علو مكانه السميع العليم العلي العظيم ».

القداس الثاني

قدّاس البخور

وروائح تدور في البيت المعمور في محلّ الهنا والفرح والسرور.

« إنّه كان شيخنا وسيّدنا محمّد بن سنان الزاهري علينا سلامه يقوم إلى الصلاة الجامعة في كل يوم وليلة مرّة أو مرّتين ويأخذ بيده ياقوته حمراء تنزيهاً لفاطمة الزهراء، ويبخّر الأقداح وتتمّ الأفراح ويبخّر بها عبد النور في وقت الزينة والزهور.

« اعلموا يا مؤمنين أنّ النور محمّد والليل سلمان. بخّروا أقداحكم وأنيروا مصباحكم وقولوا بأجمعكم: الحمد لله، الحمد لله الذي جعل لنا فضله تامم وسرّه كاتم، إنّه جواد كريم، عليّ عظيم. آمنوا وصدقوا يا مؤمنين، إن شخص عبد النور حلال لكم معكم حرام عليكم مع غيركم[٩] ».

(٩) المقصود: إن الخمرة حلال للنصيريين مع بعضهم بعضاً، وحرام مع غيرهم.

القدّاس الثالث

قدّاس الأذان وبالله المستعان.

« الله أكبر الله أكبر الله أكبر، وجّهت وجهي إلى السيّد محمّد المحمود، وطالب سـره المقصود وعينه الودود مقرّاً بالمعرفة والتجلّيات والصفات ومنزّهاً المعنى بالذات هـو عـين العلوية الذاتية الانزعيّة هو المعنى عليّ المعال وأمّا فاطر ذو الجـلال والحسـن ذو الكمـال ومحسن سرّ الخفيّ المفضال. إنّي عبد يا مؤمنين مقرّ بما قرّ به السيد سلمان في وقت النـدا والأذان. أذّن المؤذّن في المأذنة وبلغ القوم في آذانه وهو يقول: الله أكبر الله أكبر.

« أشهد بأن ليس إله إلاّ علي أمير النحل والأصلع المعبود، ولا حجاب إلاَّ السيد محمّد الحمد الأجل الأعظم المحمود، ولا باب إلاّ السيد سلمان الفارسي المقصود. وإن محمد حجابه المتصل ونبيّه المرسل وكتابه المنزل وعرشه العظيم وكرسيّه المتين. وإن السيد سلمان سلسل سلسلبيل بابه الكريم ونهجه القويم الذي لا يؤتى إليه إلاّ منه، وسفينة النجاة وعين الحياة حـيّ على الصلاة حيّ على الصلاة. صلّوا يا معشر المؤمنين تدخلوا الجنّة التي أنتم بها موعودين، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح تفلحون يا مؤمنين وتخلصون من كثائف الأبـدان وظلمـة الأجسام وتسكنون بين الحور والولدان وتعاينون مولاكم الجليل أمير النحل العلي الكبير.

« الله أكبر الله أكبر، مولاكم أمير النحل عليّ أكبر ممّن تكبّر وأعظم ممـن تجبّـر، صمداً لا يُرام، عزيزاً لا يُضام، قيّوماً لا ينام. الله أكبر الله أكبر، قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها.

« أسألك يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب أن تقيمها وتديمها، كما دامتـــا الســـماء والأرض. واجعل السيد محمد ختامها وصيامها وصلاتها، والسيد سلمان ســـلامها وزكاتهـــا، والمقداد يمينها ومعينها، وأبو الدرّ شمالها وكمالها، والعالمين سبيلها، والمؤمنين دليلهـــا إلـــى الأبد. آمين ».

القدّاس الرابع

قـــدّاس الإشـــارة

« الحمد لله على التمام، عَلِيٌّ نورُ الأنام، عَلِيّ ربُّ العزّة، عليٌّ فالق الحبّة، علِيّ باري النسمة، علِيّ ينبوع الحكمة، علِيّ مفتاح الرحمة، علِيّ سراج الظلمة، علِيّ جبّار الجبابرة، عليّ مبيد الأكاسرة، عليّ صاحب القباب الفاخرة، عليّ إمام المحراب، عليّ قالع الباب، عليّ مفرّج الكربات، عليّ صاحب المعجزات، عليّ داحي الأرض، عليّ حبّه فرض، عليّ نزهة الشيب، عليّ عالم الغيب، عليّ مالك الدنيا، عليّ صاحب الآخرة والأولى، عليّ شق الصخر، عليّ نور الفجر، عليّ نهر الخمر، عليّ أبو الحسن، عليّ نهر اللبن، عليّ معلّل العلـــل، علـــيّ مفنـــي حركات الدول، عليّ نهر العسل، عليّ نهر الماء، عليّ رافع السماء، عليّ بديع الزمان، علـــيّ رفيع الشان، عليّ كثير العجائب، عليّ ربّ المشارق والمغارب، عليّ حيدرة الأصلع، علـــيّ البطين الأنزع، عليّ صاحب النون، عليّ السرّ المكنون، عليّ شجرة الزيتون، عليّ عالم مـــا في الصدور، عليّ البحر المسجور، عليّ صاحب القدرة، عليّ شقّ الصـــخرة، علـــيّ ســـورة البقرة، عليّ فارس الفوارس، عليّ محيي العظام الدوارس، عليّ منزّل الكتاب، علـــيّ مفـــرّق السحاب، عليّ ردّ الشمس، عليّ قابض على كل نفس، عليّ العزيز الجبّار، عليّ قادر قهّـــار، عليّ ضارب بذو الفقار، عليّ حيدرة الكرّار، عليّ جبّار الأرض،

عليّ صاحب النوافل والفرض، عليّ أحد فرد، عليّ هابيل، عليّ شيت، عليّ يوسف، عليّ يوشع، عليّ آساف، عليّ شمعون الصفى.

« وإلى هذا المعنى نسبّح ونقدّس ونهلّل ونكبّر ونمجّد ونعظّم. إلى ما أشارت إليه الأولين، ودلّت على قدم معنويته الأنبياء والمرسلين. ونشير إلى ما أشار إليه شخنا وسيّدنا الحسين بن حمدان الخصيبي، ونشير إلى ما أشار إليه جدّه محمد بن نصير العبدي البكري النميري، ونشير إلى ما أشار إليه سلمان الباب، ودلّ على معنويته السيد محمد الحجاب، في السبعة الأقباب، من هابيل الرضى إلى حيدرة أبي تراب.

« اعلموا يا أخواني إن إلهكم معنى المعاني، القديم الأحد الفرد الصمداني. بولايته نرتفع إلى جنان الرضى، وزيادة الأنوار. اعلموا أنّ هذه صلاتنا وحجّنا وزكاتنا وإشارتنا وعبادتنا في سرّ سرّنا وخالص يقيننا إلى عليّ بن أبي طالب الأنزع البطين الذي لا يتجزّأ ولا يتبعّض ولا ينثني في قسم، ولا يدخل في عدد، ولا يحول ولا يزول ولا تغيّره الأزمنة والدهور، المكنّى بحيدرة أبي تراب الذي له ولعظم جلال هيبته وكبريا سنى برق لاهوته تخضّعت له الرقاب، وذلّت له الأمور الشداد الصعاب. »

٢) سورة التبرّى أو الشتائم

« استغفر الله العليّ العظيم من كل ذنب عظيم من جميع الخطايا والبلايا والزلل، على نيّة الصلاة نصلّي إنْ شاء الله تعالى. أسألك يا أمير النحل، يا عليّ بن أبي طالب، أن تجعلها منّا ساعة إجابة وساعة

غفران، وساعة رضوان، وتقبلها بأحسن قبول، بحق السيد الرسول، وفاطمة البتول، ومحسن سرّ الخفي، والليل الساجي السدول، أنْ تقبلها منّا كما قبلتها من أوليائك الصالحين، وأنبيائــك المرسلين، وأهل طاعتك أجمعين من الأولين والآخرين. روى الخبر عن أبي شعيب محمّد بن نصير العبدي البكري النميري أنّه قال: من أراد النجاة من حرّ النيران، فليقل:

« اللهمّ! العن فيئة أَسّست الظلمَ والطغيان الذين هم التسعة رهــط المفســدين، الــذين أفسدوا وما أصلحوا بالدين، الذين هم إلى جهنم سائرين، وإليها ضالين، أوّلهم أبو بكر اللعين، وعمر ابن الخطاب الضدّ الأثيم، وعثمان بن عفّان الشيطان الرجيم، وطلحة وســعد وســعيد، وخالد بن الوليد، صاحب العمود الحديد، ومعاوية وابنه يزيد، والحجاج بــن يوســف الثقفــي النكيد، وعبد الملك بن مروان البليد، وهارون الرشيد. خلّد عليهم اللعنة تخليداً ليوم الوعيــد، يوم يقال لجهنّم: هل امتلئت؟ فتقول: هل من مزيد؟[١٠].

« ثمّ إنك يا علي بن أبي طالب تفعل ما تشاء وتحكم بما تريــد، وأســألك أنْ تنــزل سخطك وعذابك على إسحق الأحمر المخزول[١١]، وإسمعيل بن خلاّد الجهول، والعن الشــيخ أحمد البدوي، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ إبراهيم الدسوقي، والشــيخ محمّــد المغربــي، والشبل المرجان، والشيخ عبد القادر الكيلاني، وكل يهودي ونصراني. والعن المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي.

---

(١٠) سورة ق ٥٠ / ٣٠.
(١١) إسحق الأحمر صاحب الفرقة « الإسحاقيّة » من جملة غلاة الشيعة. تميل « الى تقرير الشركة في النبوة » بين عليّ ومحمّد (الشهرستاني ١ / ١٨٨) وتُسمى أيضاً بـ« الأحمريّة ». أما سائر الأسماء فهي من عشائر نصيرية...

« وانزل يا أمير النحل يا عليّ بن أبي طالب سخطك وعذابك على الجلند بن كركر، واسحق الأحمر، وعاقر الناقة قيدار، وحبيّب العطّار. فأدخلهم في سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تزر، لوّاحة للبشر، عليهم اللعنة تسعة عشر[١٢].

« والعن لعّابي القرود، ومسّاكي الحيّات السود، وجميع النصارى واليهود، وكل من يعتقد في عليّ بن أبي طالب آكلاً أو شارباً أو مولوداً أو ناكحاً. لعنهم الله. واجعل اللعنة على يوحنا مارون، البطرك الملعون[١٣]، وعلى كل من أكل خيرك، وعبد غيرك. وأبرئنا منهم براءة تامّة تبرئة اللحم عن العظم، بحرمة عليّ ومحمد وسلمان، وبفضل ع م س ».

٣) الأدعيــة النصيريّة

دعـــاء اليمين

« أسألك يا أمير النحل يا عليّ يا عظيم، بحق هذه الصـلاة والسـجود والزيـارات والحدود والبروق والرعود، وبنوح وهود، وبحق توراة موسى

(١٢) سورة المدّثر ٧٤ / ٢٧ ـ ٣٠.
(١٣) « هذه اللعنة نراها أيضاً، إلى اليوم، عند الروم الأورثوذكس، في سوريا، واحتفظ بها الملكانيون. ورأيناها في مخطوطات عديدة... ويجب أن تكون قديمة أيضاً عند النصيريين الذين عرفوا المؤسسات المارونيّة في جبل السمّاق قبل الجيل التاسع للميلاد... انظر مقالة:
H. Lammens, Etudes, Août, 1899, p. 475-476.

وإنجيل عيسى وقرآن محمّد وزبور داود، وبحق صورتك صورة الوجود المرئيّة في الضياء والظل والممدود، وبحق يتيمك المقداد ابن الأسود الكندي، الذي قدّت منه عالم الصفا قدود بعد قدود، وبنورك المشتق من باطن العامود[١٤] بأن تخلف وتبارك لأصحاب هذا الخير وهذا الإحسان وهذا الجود، ويجعل خيره علينا وعليكم مورود، والشرّ عنّا وعنكم مبعداً مطرود، ويهلك عنّا وعنكم شرّ الأوباش والضدود، ويرحم لنا ولكم من هو تحت التراب ملحود.

« اللهم صلّي وسلّم على سيّدي الخضر الأخضر والملك جعفر الطيّار، والسلطان حبيب النجار الذي نجّر العود بالعود، والسلطان ابراهيم وولده محمود، ويقدس ويرحم روح سيّدي وأستاذي الشيخ حسن ماسك وطا العوجة والشيخ حسن الأجرود، والشيخ عليّ الصوبري والشيخ علي بن ممدود، والشيخ سعد وأخيه الشيخ مسعود، وبالسفرقيّة الشيخ داود. ويقدّس ويرحم أرواح جميع المؤمنين في أربع أركان الدنيا والحدود. علينا وعليكم السلام من عليّ الانزع المعبود. سلّموا تسلموا من جميع البلاء والنكود ».

دعاء الشمال

« ابتدأتُ وتوسّلتُ إليك يا أمير النحل، يا عليّ يا عظيم يا قديم الأيام، يا صاحب العصر والزمان، بحق أربعة عشر مرتبة من مراتب السلام منها سبعة عدّت للعالم الكبير وسبعة أخرى عدّت للعالم الصغير. بحقّ ما بينهما من التسبيح والتكبير والتعظيم والتقديس والتذكير، بشبر ومشبّر

(١٤) « أي عامود الصبح الذي هو احمرار الشمس عند طلوعها وغروبها ».

وأشبير، بالاسكندر وأزدشير، بالجب والدلو وزليخة والصاع والعير، بأصحاب أهل الكهــف وكلبهم قطمير، بالمغارة والقنطرة والشبّ المسجّى على السرير، وبحق من غــازى وحــارب وقاتل الجانّ في قرار البير، بأربع بيعات لمولانا العليّ الكبير: بيعة دار الخيزران، وبيعــة أم سلمى، وبيعة رضوان تحت الشجرة، وبيعة خمّ يوم عيد الغدير، بأن تخلف وتبارك أصــحاب هذا الجود والاحسان والخير، ويدبر حالنا وحالكم بأحسن التدبير، ومهما أمسكتموه بأيديكم يقبل ويصير، ويتقبل عليكم الحنطة والشعير، والذرة والسمسم والقطن والحرير، ويقــدس ويــرحم روح سيّدي الشيخ محمد الكبير والشيخ حيدر الكبير، والشيخ إبراهيم بضاش دامير، والشــيخ يوسف القصير، ويقدّس أرواح جميع المؤمنين في أربع أقاطير ».

*****

بعد هذا الفصل الطويل في أعياد النصيريين واحتفالاتهم وصلواتهم وبعد ملاحظتنــا لهذا التنوّع في المصادر، نشير إلى صعوبة معرفة انتماء النصيريين الديني. فهل هــم بقايــا مسيحيين انقطعوا عن الكنيسة بسبب الاضطهاد والقهر، كما يقول « لامنس »؟ أم هم بقايا من الوثنيين الفينيقيين، كما يقول « دوسّو »؟ أم هم من متطرّفي الشيعة الذين خرجوا على الإسلام السنّي والشيعي المعتدل معاً، كما يقول « ماسّينيون »، و « الشهرستاني »، « والبغــدادي »، و « النوبختي »، وغيرهم من مؤلّفي الفرق؟ هذا ما ســنراه الآن. وســنرى أيضــاً علاقــة النصيريين بمختلف الأديان والمذاهب التي عرفوها وعايشوا أصحابها وخضعوا لنفوذها.

*****

الفصل الثامن

النصيريّة وسائر الأديان

أوّلاً : موقف النصيريّة من الأديان عامّة

ثانياً : النصيريّة والإسلام

ثالثاً : النصيريّة والدرزيّة

رابعاً : النصيريّة والمسيحيّة

أوّلاً: موقف النصيرية من الأديان عامّة

إذا كانت النصيرية، كما رأينا حتى الآن، تعتمد على بعض العقائد المسيحية والإسلام، وإذا كانت تعاليمها مزيجاً من القرآن والتوراة والإنجيل، ومن الغنوصيّة والمانوية، ومن الوثنية القديمة، ومن عبدة الكواكب والنجوم، بحسب ما نقل إلينا منها الطبراني في « مجموع الأعياد »، فإنّ كل هذا لا يعني بأنّها كانت تقابل مجمل هذه الأديان والمذاهب بالتسامح والقبول. فهي تختلف عنها بجوهر عقيدتها، حتى لو كانت هذه العقيدة تلمّ مجمل عناصرها من هنا وهناك. فموقف النصيريين من الأديان والشرائع السابقة هو موقف عداء ومناصبة، وموقف نسخ لها وإلغاء.

في رأي النصيريين، إن الله، عندما ظهر بعليّ، ألغى كل ما تقدّم من شرائع، ولم يبق منها إلاّ أسماؤها وأسماء أصحابها، ولم يلزم بها أحداً من النصيريين. وحجّة ذلك هي أنّ « المقام العلويّ » هو أكمل المقامات الإلهيّة السابقة. وهو، بالتالي، يغني عنها جميعها. قالوا:

« وعند ظهوره بأنزع بطين (أي عند ظهور الله بعليّ)، وظهور اسمه بالمحمّدية، نسخ سائر الشرائع المتقدّمة... ولم يطالبنا إلاّ بما قامه لنا من حدود هذه الشريعة (النصيرية)، ولم يستعبدنا في الشرائع المتقدّمة... وأمّا نحن فلم نطالب إلاّ بما نعرفه. وأمّا ما سلف من المقامات ما بقى معنا منها إلاّ أساميها. وأمّا حدودها وشرائعها فلم يلزمنا بها،

إذا علمنا أنّ صاحبها واحد. ولو ألزمنا إقامة حدودها لوجب أن نصلّي مع النصارى، ونصوم بصومهم، ونقوم مع اليهود فيما هم فيه، ومع البراهيميّة، وغيرهم من أصحاب الشرائع »[١].

وسبب تخطّي هذه الشرائع هو أنّ المقام الأخير أكمل من المقامات الماضية. فـ« إذا تحقّقت أن صاحب هذا المقام هو صاحب المقامات الماضية غنيت عن عبادتك للسبع أسامي في وقت واحد... (لكن) إذا عبدت سبعة في وقت واحد لزمك أن تقيم لكل اسم منها معنى ناطق حتى تصحّ دعواك »[٢].

والسبب أيضاً، في رأي النصيريين، إن الأمم، قبل موسى وقبل كل الشرائع، كانت تعتمد على حكمة العقل وفطنة القلب. ولم تكن يوماً بحاجة إلى شريعة، فلذلك يمكن الاستغناء عن الشرائع الماضية وعن أصحابِها معاً. سأل سائل:

« أخبرني عن الذين كانوا قبل زمان موسى، لا كتاب لهم ولا رسول يأتيهم... أين كان لهم البصيرة، وكيف كانت لهم الحجّة؟ كيف عرفوا الحقّ والباطل؟... أجاب العالم: « بعقولهم وفطن قلوبهم وآيات ربّهم »[٣].

ثم يعتبر النصيريون أنّ كل ما جاءت به الرسل والأنبياء من أديان وشرائع هي صادقة وكاذبة في آن معاً. ولكن كان ذلك لحاجة الناس بحسب أوضاعهم وظروف حياتهم، تماماً كالثوب الذي تخيط منه عدّة ألبسة لعدّة مناسبات. وكل لباس منها يفيد بوقته، ولا يفيد لوقت آخر. قال السائل:

(١) كتاب المناظرة، ص ١٠٧ ب، ١٠٨ ب.
(٢) نفس المرجع، ص ١٠٩ أ.
(٣) كتاب الأسوس، ص ٣٤ أ.

«... قد رأيت الولي والعدوّ يعبدون الله ويتضرّعون إليه بكلّ شريعة مع كل قبيلــة، وكلّهم يبتهلون ويبكون خوفاً وطمعاً، ويرجون لقاه؛ فإن كانوا كلّهم مصيبين فكلّهم مخطئــون، لأنّهم يكفروا بعضهم في بعض. ففي ذلك الكفر المحض إذا كفر من كان على الحق، وإنْ قال قائل كلّهم على صدق.

« قال العالم: من قال ذلك؟... إن الأنبياء وكلاء الله، يريد أن يعبد الله بكل لسان فــي كل جهة ترابيع الأرض، كما يعبد في ترابيع السماء بكل لسان آدمي كما يعبد بكل لسان ملكي على كل جهة. وكلّهم يبنون له بيوت يذكر فيها اسمه، ويعبد إلى أن يشاء الله ما يشــاء مــن تغيير وزيادة ونقصان، حتى لا أحد يعبد إلاّ الرب بقدرته؛ ويظنّ الجاهل أن تنــاقض ونفــي بغير علم، وأن الذي أرسل هؤلاء غير حكيم...

« ومثل ذلك مثل ثوب قطع منه رجل طيلساناً يتجمّل به وينتفع منه، ثم خــاط منــه خائطاً جبّة لينتفع منها، وهي خلاف الطيلسان، لا تصلح لما يصلح له الطيلسان، ولا أفضــل منه. ثم جعل له من الثوب نفسه سراويل... بمثل هذا يعيش الناس بعض من بعض...

« فإن ربّنا خلق الخلق فعلم بصلحهم في كل زمان، فأرسل إليهم في كل زمــان نبيّــاً يصلحهم ويبطل شريعة من كان قبله ويخرجهم من شريعة إلى شريعة حتى يتمّ الحكمة ويبلغ الهمّة ويتمّ العلم والتقديم إلى آخر الأبد على انقطاع العلل. كل ذلك يظهر فيهم قدرته، ويبــيّن آياته. ولو كان ديناً واحداً لكان غير حكيم، كما فصّل صاحب الثوب... كذلك الخالق أظهــر فيهم قدرته وبيّن آياته. ولــو كانت آية واحدة من رسول واحد لكان غير حكيم لمــا يصــلح العباد »[٤].

لكن، إذا كان النصيريون بالظهورات الإلهيّة الستة السابقة، ويعتبرونهـا ضـروريّة للظهور الأخير في عليّ بن أبي طالب، فمعنى ذلك أنّهم يعتمدون في دينهم على سائر الأديان السابقة، ويأخذون بشرائعها وبأصحابها. علماً بأنّ الظهور الأخير جاء ليعتمد عليها وليلغيهـا في آن معاً. تماماً كما جاء على لسان المسيح: « أتيت لأكمّل الناموس لا لألغيه »، ولكنّ اتمام الناموس السابق، في المسيحية كما في النصيريّة، يقضي تصحيحه واكماله، لأنّ فيـه نقصـاً وضعفاً.

ولكن أيضاً، إذا كانت الدعوة النصيرية مغلقة، لا تسمح لأحد بالدخول إليها والاطّلاع عليها، وبالتالي، يكون عدد النصيريين، كما جاء في كتبهم أربعة وعشرين ألفاً، فمعنى ذلـك أيضاً أن كلّ الخوارج عن النصيريّة هالكون لا محالة. وبالتالي، يكون هؤلاء كفرة وملحدين، ولا يستحقّون معرفة « سرّ الأسرار »، كما لا يستحقّون الانتماء إلى النصيرية، ولو أعجبتهم. فالمصيبة الكبرى هي أن لا يستطيع الإنسان الخارج عنهم أن يلبّي فيه نداء صوت الحقّ. فهل ستفتح الأبواب يوماً؟

في كل حال، إنْ لم يفتح الحقّ مدخلاً إليه، فإنّ لنا بمعرفته كلّ عزاء. ونحن نكتفـي بالبحث عنه إذ فيه كل الجزاء.

*****

---

(٤) كتاب الاسوس، ص ٣١ ـ ٣٢.

ثانياً: النصيرية والإسلام

ليس من الصعب علينا معرفة العداء المستشرى بين النصيريّن والمسلمين عامّة، على مختلف شيعهم وفرقهم. ومن يتصفّح تاريخ النصيريين ومجمل تعاليمهم لن يصعب عليه لمس ذلك لمس اليد. « لقد كانوا دائماً أعداء للإسلام السنّي، دين قاهرينهم[١] فلازم القهر تاريخهم، وأفتى بعض الأئمّة المسلمين بكفرهم، وحلّلوا دماءَهم وأموالهم، وأوجبوا ضدهم الجهاد المقدّس، ومنعوا على المسلم الزواج بنسائهم. وذلك واضح في « فتاوي ابن تيميّة »[٢] الذي عنه ننقل:

قال «... في النصيرية القائلين باستحلال الخمر، وتناسخ الأرواح، وقدم العالم، وإنكار وجود البعث والنشور، والجنّة والنار في غير الحياة الدنيا، وإن الصلوات الخمس عبارة عن خمس أسماء وهي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة. فذكر هؤلاء الخمسة يغنيهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقيّة شروط الصلاة وواجباتها. وإن الصوم عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة...

... وإن الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب، وهو عندهم الإله في السماء والإمام في الأرض. فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت

(١) H. Lammens, Les Nosairis furent-ils chrétiens? dans Rev. de l'Orient chrétien, 1900, p. 16…

(٢) تقي الدين أحمد بن تيميّة (+ ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م)، يبدو معرفته بالنصيريين...

بهذا الناسوت، على رأيهم، إنه ليؤنس خلقه وعبيده ليعلّمهم كيف يعبدونه ويعرفونه. وبأنّ النصيري عندهم لا يصير نصيرياً مؤمناً يجالسونه ويشربون معه ويطلعونه على أسرارهم ويزوّجونه من نسائهم، حتى يخاطبه معلّمهم. وحقيقة الخطاب عندهم أنّهم يحلّفونه على كتمان دينهم ومعرفة مشايخه واكبار أهل مذهبه...

« فمن حقيقة الخطاب عندهم والدين أن يعلم أن عليّاً هو الربّ، ومحمّد هو الحجاب، وسلمان هو الباب، وذلك على الترتيب، لم يزل ولا يزال. ومن شعر بعض فضلائهم، المشهور عنه، قوله الملعون:

أشهد أن لا إله إلاّ   عليّ الأنزع البطين
ولا حجاب عليه إلاّ   محمّد الصادق الأمين
ولا طريق إليه إلاّ   سلمان ذو القوّة المتين.

وكذلك الخمسة الأيتام، والاثنا عشر نقيباً، وأسماؤهم معروفة عندهم في كتبهم الخبيثة، لا يزالون يظهرون مع الربّ والحجاب والباب في كل كور ودور أبداً سرمداً، وأن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب، ودونه في رتبة الإبليسية أبو بكر، ثم عثمان، رضي الله عنهم أجمعين ونزّههم وأعلى رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال الغالين المفسدين، ولا يزالون في كل وقت ملعونين حيثما ذكروا.

« ومذاهبهم الفاسدة، شِعَب وتفاصيل، ترجع إلى هذه الأصول...

« وهذه الطريقة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام فهم معروفون مشهورون يتظاهرون بهذا المذهب. وقد حقّق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم وعامّة الناس أيضاً في هذا الزمان، لأنّ أحوالهم كانت مستورة عن كثير من الناس وقت استيلاء الافرنج

المخذولين على البلاد الساحلية. فلما كان أيام الإسلام[٣] انكشف حالهم وظهر ضلالهم. والابتلاء بهم كثير جدّاً والحالة هذه.

« وما حكم الجُبن المعمول من أنفحة ذبيحتهم؟

« وما حكم أوانيهم وملابسهم أيضاً؟

« وهل يجوز دفنهم بين المسلمين، أم لا؟

« وهل يجوز استخلافهم في ثغور الإسلام وتسليمها إليهم، أم لا؟

« وهل يجب على وليّ الأمر قطعهم واستخدام غيرهم من رجال المسلمين الكفاة؟ وهل يأثم إذا أخذ في طردهم واستخدام غيرهم؟ أم يجوز له التمهّل، مع أنّه في عزمه ذلك؟ فإذا استخدمهم، ثم قطعهم أو لم يقطع، هل يجوز صرف أموال بيت المال عليهم؟ وإذا صرفهم وتأخّر بعضهم بقيّة من معلومهم المسمّى فأخره وليّ الأمر عنه وصرفه على غيره من المسلمين المستحقين أو أرضوه لذلك، هل يجوز له فعل ذلك على هذه الصورة، أم يجب عليه؟

« وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة، وأموالهم حلال، أم لا؟

« وإذا جاهدهم وليّ الأمر، أيّده الله تعالى، لإخماد باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين، وحذّر أهل الإسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم، وأمرهم بالصوم والصلاة، ومنعهم من إظهار دينهم الباطل وهو بعينه من الكفر، هل ذلك أفضل وأكثر جزاء من التصدّي والترصّد لقتال التتار في بلادهم وهجم بلاد الصين وبلاد الزنج على أهلها، أم هذا أفضل؟

---

(٣) يعني: « لمّا عادت دولة الإسلام إلى هذه البلاد ». (عبد الرحمن ٤٤٧).

« وهل يعدّ مجاهد النصيرية المذكورين مرابطاً، ويكون أجره كأجر المرابط في الثغور على ساحل البحر خشية قصد الافرنج، أم هذا أكثر جزاء؟

« وهل يجب على من عرف المذكورين ومذهبهم أن يشهّر أمرهم ويساعد على إبطال باطلهم وإظهار الإسلام بينهم، فلعلّ أن الله ذرّيتهم وأولادهم مسلمين، أم يجوز له التغافل والاهمال؟

« وما أجر المجتهد على ذلك والمجاهد فيه والمرابط والعازم عليه؟

« وابسطوا القول في ذلك مثابين مؤيّدين مأجورين.

« هؤلاء القوم الموصوفون المسمّون بالنصيرية، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية، أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين. وضررهم على أمّة محمّد أعظم من ضرر الكفّار المحاربين مثل كفّار الترك والافرنج وغيرهم. فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهّال المسلمين بالتشيّع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابة، ولا بأمر ولا بنهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنّة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد، ولا بملة من الملل السالفة، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند المسلمين يتأوّلونه على أمور يقرّونها ويدّعون بأنّها علم الباطنية...

« ليس لهم حدّ محدود فيما يدّعونه من الإلحاد في أسماء الله وآياته، وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه. إذْ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق، مع التظاهر بأن هذه الأمور حقائق يعرفونها...

« ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنّفة. فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا مرّة الحجّاج وألقوهم في زمزم، وأخذوا الحجر الأسود وبقي معهم مدّة، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم

وأمرائهم وصدورهم من لا يحصى عددهم إلاّ الله تعالى. وصنّفوا كتباً كثيرة فيها... وصنّف علماء المسلمين كتباً من كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وبيّنوا ما هم عليه من الكفر والزندقة. وبالالحاد الذين هم فيه أكفر من اليهود والنصارى، ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام...

« ومن المعلوم عندهم (أي عند علماء المسلمين) أنّ السواحل الشاميّة إنّما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائماً كلّ عدوّ للمسلمين. فهم مع النصارى على المسلمين. ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار. ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين الساحل وقهر النصارى. ومن أعظم أعيادهم إذا استولى ـ والعياذ بالله ـ النصارى على ثغور المسلمين. فإنّ ثغور المسلمين ما زالت بأيدي المسلمين حتى جزيرة قبرص فتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفّان، فتحها معاوية بن أبي سفيان، إلى أن أتت المائة الرابعة، فانّ هؤلاء المحادّين (أي المعادين) لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها. فاستولى النصارى بسببهم، ثم استولى على القدس وغيره ـ فإنّ أحوالهم كانت من أعظم الأسباب (المؤدّية إلى استيلاء النصارى على القدس والشام).

« ثمّ لمّا أقام الله ملوكَ الإسلام، كنور الدين الشهيد (نور الدين زنكي (+ ١١٧٤ م) وصلاح الدين (+ ١١٩٣ م) وأتباعهما، وفتحوا الساحل من النصارى (الصليبيين) وممّن كان بها منهم، فتحوا أيضاً أرض مصر، فإنّهم كانوا متولين عليها نحو مائتي سنة[٤]، واتّفقوا هم والنصارى. فجاهدهم المسلمون حتى إنّهم فتحوا البلاد. ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام في البلاد المصرية والشاميّة. ثم إن التتار دخلوا بلاد المسلمين

---

(٤) يقصد الفاطميين الذين استولوا على مصر والمغرب.

وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين بمعاونتهم ومؤازرتهم، فإنّ منجمّ هلاكو سلطان التتار[٥] الذي كان وزيره النصير الطوسي بالألموت، هو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء.

« وشرح مقاصدهم يطول، كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بشيء من الأنبياء والمرسلين، لا بنوح ولا بإبراهيم ولا موسى ولا عيسى، ولا محمّد، ولا بشيء من كتب الله المنزّلة، ولا التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن. ولا يقرّون بأنّ للعالم خالقاً خلقه، ولا بأنّ له ديناً أمر به، ولا أنّ له داراً يجزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار.

« وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب المتفلسفة الطبيعية أو الالاهيين، فإنّهم تارة يبنونه على قول المتفلسفة وغرض المجوس الذين يعبدون الثور ويضحون إلى درك الكفر والرفض، ويحتجّون لذلك من كلام النبوّات... وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين... وفيه (في باطلهم) أيضاً جحد شرائعه (شرائع الله) ودينه، وجحد ما جاء به الأنبياء، والدّعوى أنهم كانوا من جنسهم طالبين الرئاسة. فمنهم من أحسن في طلبها، ومنهم من أساء حتى قتل... وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفرائض ما يطول وصفه.

« وفيهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضاً. وهم إذا كانوا في بلاد الإسلام التي يكثر فيها أهل الإيمان فقد يُخفَون على من لا يعرفهم. وقد اتّفق علماء الإسلام على أنّ مثل هؤلاء لا تجوز مناكحتهم، ولا يجوز

(٥) هولاكو (+ ١٢٦٥ م) فاتح مغولي أخضع أمراء الفرس والإسماعيلية في ألموت ١٢٥٦ م، وقضى على الخلافة العباسية في بغداد ١٢٥٨ م واحتل سوريا...

أن ينكح الرجل مولاته منهم، ولا يتزوّج منهم امرأة، ولا تباح ذبائحهم. وأمّا الجُبن (فمختلف فيه بين المذاهب. منهم من ينجّسه ومنهم من يسمح به ولكن على حذر). وأمّا أوانيهم وملابسهم... فلا تستعمل إلاّ بعد غسلها... ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، ولا يصلّى على من مات منهم... وأمّا استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم وجندهم فهو من الكبائر، بمنزلة من استخدام الذئاب لرعي الغنم، فإنهم من أغشّ الناس للمسلمين ولولاة أمرهم، ومن أحرص الناس على فساد الملّة والدولة، ومن أحرص الناس على تسليم الحصون إلى أعداء المسلمين...

« لكن دماؤهم وأموالهم مباحة، وإذا أظهروا التوبة، ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء... ولا ريب أنّ جهاد هؤلاء من الحدود عليهم أعظم الطاعات وأكبر الواجبات... ولا يحلّ لأحد أنْ يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشون أخبارهم ويظهرونها ليعرف المسلمون حقّ حالهم... ولا يحلّ لأحد أنْ يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين. ولا يحلّ لأحد أنْ ينهي عن القيام عليهم بما أمر الله ورسوله. فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد في سبيل الله تعالى... »[٦].

بعد هذه الفتوى بوقت قصير مرّ الرحالة ابن بطوطة (++ ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) ببلاد الشام وأخبر عنهم، وقال:

« وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيرية الذين يعتقدون

---

(٦) تجد هذه الفتوى لابن تيمية في « مذاهب الإسلاميين » لعبد الرحمن بدوي ج ٢ ص ٤٤٥ ـ ٤٥٧. وفي:
S. Guyard, J. A. 6°, XVIII, ….

أنّ عليّ بن أبي طالب إله. وهم لا يصلّون ولا يتطهّرون ولا يصومون. وكان الملك الظاهر (+ ١٢٢٦ م) ألزمهم بناء المساجد بقراهم. فبنوا بكلّ قرية مسجداً بعيداً عن العمارة، ولا يدخلونه ولا يعمرونه. وربّما أوت إليه مواشيهم ودوابّهم، وربّما وصل الغريب إليهم، فينزل بالمسجد ويؤذّن للصلاة، فيقولون له: لا تنهق! علفك يأتيك. وعددهم كثير »[٧].

ويخبر ابن بطوطة عنهم بأنّ الإمام « أمرهم بالتجهيز لقتال المسلمين وأن يبدأوا بمدينة جبلة... فغدروا مدينة جبلة، وأهلها في صلاة الجمعة، فدخلوا الدّور وهتكوا الحريم. وثار المسلمون من مسجدهم فأخذوا السلاحل وقتلوهم كيف شاؤوا... حتى قتلوا منهم نحو عشرين ألفاً، وتحصّن الباقون بالجبال، وراسلوا ملك الأمراء والتزموا أن يعطوه ديناراً من كل رأس إنْ هو حاول إبقاءهم... (ووصل) الخبر إلى الملك الناصر، وصدر جوابه أن يحمل عليهم بالسيف. فراجعه ملك الأمراء وألقى له أنّهم عمّال المسلمين في حراثة الأرض، وأنهم إنْ قتلوا ضعف المسلمون لذلك، فأمر بالإبقاء عليهم »[٨].

وفي الباكورة السليمانيّة إشارة واضحة إلى العداء المستحكم بين النصيريّين والمسلمين. فالنصيريون، في صلواتهم « يطلبون من ربّهم لأجل إبادة حكّام المسلمين »[٩]، « وإذا دخلوا المسجد مع المسلمين فلا يتلون من الصلاة شيئاً، بل يخفضون ويرفعون مثلهم، ويشتمون أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم »[١٠]. وإذا مات شرفاء المسلمين الراسخون في العلم

(٧) ابن بطوطة في رحلته، دار صادر، بيروت ١٩٦٤، ص ٧٩ ـ ٨٠.
(٨) نفس المرجع، ص ٨٠.
(٩) الباكورة السليمانية، ص ٥٣ ـ ٥٤.

« تحلّ أرواحهم في هياكل الحمير »[١١].

بيد أنّ نصيريي اليوم، وقد علّمهم التاريخ دروساً قاسية، وحطّم كيانهم السياسي، وفتك بمئات الألوف منهم، وقهر عزّتهم، رجعوا إلى مبادئ « التقيّة » عندهم، وحفظوا سرّهم، ليصونوا أنفسهم، فَاسْتَجْدُوا من المسلمين فتوى بانتمائهم إلى الإسلام فجاء على لسان الحاج أمين الحسيني بتاريخ ٢٢ محرّم سنة ١٣٥٥ هـ ما يلي:

« إنّ هؤلاء العلويين مسلمون، وإنّه يجب على عامّة المسلمين أن يتعاونوا معهم على البرّ والتقوى، ويتناهوا عن الإثم والعدوان، وأن يتناصروا جميعاً، ويتضافروا، ليكونوا قلباً واحداً، في نصرة الدين، ويداً واحدة في مصالح الدين، لأنّهم أخوان في الملّة، ولأنّ أصولهم في الدين واحدة، ومصالحهم في الدين مشتركة، ويجب على كل منهم، بمقتضى الأخوّة الإسلامية، أن يحب للآخر ما يحب لنفسه. وبالله التوفيق » (عن جريدة الشعب الدمشقية ٣١ تموز سنة ١٩٣٦)[١٢].

وتجاوب النصيريون مع هذه الفتوى المدهشة، وأعلنوا إسلامهم قائلين: « نحن الموقّعين، الشيوخ الروحيين المسلمين العلويين، دحضاً لما يُشاع عن أن المسلمين العلويين غير مسلمين، وبعد التداول بالرأي، والرجوع إلى النصوص الشرعيّة، قرّرنا البنديْن الآتييْن:

١ً ــ كل علويّ هو مسلم، يعتقد بالشهادتين، ويقيم أركان الإسلام

---

(١٠) الباكورة السليمانيّة، ص ٨٢.
(١١) نفس المرجع، ص ٨١.
(١٢) منير الشريف، المسلمون العلويون من هم؟ وأين هم؟ ص ١٠٧.

الخمس.

٢ً ـــ كل علويّ لا يعترف بإسلاميته، وينكر أنّ القرآن الشريف كتابه، وأنّ محمّـــداً نبيّه، فلا يعدّ بنظر الشرع علوياً، ولا يصحّ انتسابه للمسلمين العلوييّن... »

ويلي هذا البلاغ أسماء الشيوخ الموقّعين(١٣). وكان ذلك في شهر تموز ســـنة ١٩٣٦. وفي شهر آذار سنة ١٩٨٠ أعلن الرفيق حافظ أسد انتماءَه إلى الإسلام « منذ ثلاثين سنة »... ولكنّ البيانات والبلاغات لن تمحوا فتوى ابن تيميّة وشهادة ابن بطوطة ووثائق عهد الانتداب.

ولن يقلّ انتماؤهم إلى الإسلام عن انتمائهم إلى العروبة. فهم، إن أعلنـــوا عـــروبتهم بالصراخ والضجيج، فلن يتمكّنوا من تغيير صفحات التاريخ. فانجذابهم إلى الفرس كان منـــذ نشأتهم، وكذلك كان عداؤهم للعرب. فالنصيريون « يظهرون انجذاباً للايرانيين أكثـــر ممّـــا يظهرونه للعرب والأتراك المحيطين بهم »(١٤)، و « قبلاً لم يقبلوا أحدا من الطوائف الغريبـــة الاّ إنْ كان من العجم »(١٥)، واليوم، كما بالأمس، يناصرون ثورة إيران...

وبالأمس القريب أيضاً، حذّر الملك فيصل عاهل السعوديّة أنور السادات من التعـــاون مع علويّي سوريا، وذلك قبيل حرب حزيران سنة ١٩٦٧. وأعلن السادات هـــذا الســـرّ فـــي خطاب ١ أيّار سنة ١٩٧٩، وقال: « إن الألغام قد أزيلت يومها من هضبة الجولان والقنيطرة قبل دخول الإسرائيليين، وإن السلطة قد بادرت إلى إعدام الضابط الذي أعلن عن

---

(١٣) عن جريدة القبس ٢٧ تموز ١٩٣٦، انظر منير الشريف، ص ١٠٨.
(١٤) M. Ern. Chantre, Archives des Missions scientifiques, 1883, p. 228: 1897, p. 140.
(١٥) الباكورة السليمانية، ص ٨١.

سقوط الجولان قبل سقوطه... »[١٦].

يبدو، من هذه الشهادات، أنّ حظّ العروبة، عند النصيريون، لم يكن أحسن من حظّ الإسلام. كلا العروبة والإسلام مطعون به. لكنّ مصلحتهم تقضي اليوم بحمل ألوية متنوّعة كألوان قوس القزح. فهم يحملون بحماس لواء الإسلام، ولواء العروبة، ولواء القضيّة الفلسطينية، ولواء محاربة العدوّ المشترك، ولواء الأردن والعراق، ولكن إلى حين.

لن نوجّه إليهم أيّ لوم ولا أيّة تهمة، لأنهم شعب يريد البقاء فهم أقلّية مقهورة وسط أكثريّات تضمر لهم الإبادة والزوال. ولئن حملوا كل هذه الألوية فلكي يحتاطوا للحياة. وطلب الحياة خير عظيم في كل حال. وقد شهد لذكائهم عدوّ لهم لدود، فقال: « ويتمتّعون في غالبيتهم بقسط وافر من الذكاء، وقد عرفوا كيف يتصرّفون بمهارة، فباتوا يتمتّعون بنفوذ راجح في داخل الدولة والحزب والإدارة »[١٧].

*****

(١٦) انظر الجرائد اللبنانية اليوميّة في ٢ أيّار سنة ١٩٧٩.
(١٧) كمال جنبلاط، هذه وصيّتي، ص ١١٥.

ثالثاً: النصيريّة والدرزيّة

لم تسلم العلاقة بين النصيريين والدروز. فهم، على كونهما أقلّيّتين مضطهدتين من الأكثريّة المسلمة، اضطهدوا بعضهم بعضاً منذ نشأتهم. وشرّ الاضطهاد هو الذي يتناول العقيدة والدين. هذا لن يستطيع التاريخ محو آثاره، لأنّه مسجّل في الكتب المقدسة عند كليهما.

وفيما نحن نبيّن الخلاف بين المذهبين نقتصر على الخلاف في العقيدة، وما جاء في كتبهما.

كتب حمزة بن علي بن أحمد (+ ٤١١ هـ) نبيّ الموحّدين الدروز كتاباً سمّاه: « الرسالة الدامغة للفاسق. الردّ على النصيري. لعنه المولى في كل كور ودور »[١]. جاء فيه: « ورد إليّ كتاب ألّفه بعض النصيرية الكافرين بمولانا جلّ ذكره، المشركين به، الكاذبين عليه، الغاوي للمؤمنين والمؤمنات، الطالب الشهوات البهيميّة، وبرازة الطبيعيّة، ودينه دين النصيريّة الدنيّة، فعليه وعليهم لعنة مولانا سبحانه، ولعنة الخنازير[٢] العابدين لإبليس[٣] وحزبه. وسمّاه: كتاب الحقائق وكشف

(١) رسالة رقم ١٥ من « رسائل الحكمة » جزء ٢، ص ١٦٣ ـ ١٧٥.
(٢) الخنازير كناية عن أهل التنزيل وأهل الظاهر، أهل السنّة.
(٣) إبليس هو صاحب التنزيل والظاهر، محمّد.

المحجوب. فَمَن قَبِلَ كتابَه عَبَدَ إبليس، واعتقد التناسخ[٤]، وحلّل الفروج[٥]، واستحلّ الكـذب[٦] والبهتان. ونسبه إلى الموحّدين الحقيقيّة. وحاشا دين مولانا عزّ وجلّ من المنكرات. وحاشا الموحّدين[٧] من الفاحشات. وحاشا لعبيد مولانا سبحانه أن ينسب إليهم شيء من الشهوات البهيميّة الدنيّة، والأقاويل الشركيّة...[٨].

« فلمّا قرأته وجب عليّ الاحتياط عليكم معشر الأخوان والحفظ لأديانكم، فكتبت هذه الرسالة ردّاً على ما ألّفه هذا الفاسق النصيري، لعنه المولى، كيلا يدخل في أديانكم شبهة، ولا يقع عليكم تهمة.

« فأوّل ما قال هذا الفاسق النصيري، لعنه المولى، بأنّ جميع ما حرّموه من القتل والسرقة والكذب والبهتان والزنا واللياطة فهو مطلق للعارف والعارفة بمولانا جل ذكره.

« فقد كذّب بالتنزيل والتأويل[٩]، وحرّف، وما جاز له أن يسرق مال الناس، ولا وسعة له في الدين أن يكذب إذ كان أصل دينه الكذب وأصل الكفر والشرك. والسدق[١٠] من الإيمان كالرأس من الجسد. والقتل فما يستحسنه أحد إلاّ أن يكون كافراً بنعمة مولانا، مشركاً به غيره.

« وأمّا قوله أنه يجب على المؤمن أن لا يمنع أخاه من ماله ولا من

---

(٤) يعتقد النصيريون بالتناسخ، فيما الدروز يعتقدون بالتقمّص.
(٥) جاء ذلك في « فرق الشيعة » للنوبختي، ص ٧٨. انظر ص ٢٨ من البحث.
(٦) والدروز أيضاً يستحلّون الكذب، ولكن مع غيرهم.
(٧) الموحدون هم الدروز، وهو الاسم المفضل لهم وعندهم.
(٨) يكمّل حمزة في عرض ما جاء في كتاب النصيري من تعاليم دنيّة، ويحذّر منها.
(٩) التنزيل هو شريعة القرآن ومحمّد، والتأويل شريعة علي وشيعته.
(١٠) عادة ما تكتب هذه الكلمة بـ« السين » لا بـ« الصاد » لتناسب عدداً معيّناً...

جاهه، وأن يظهر لأخيه المؤمن عياله، ولا يعترض عليهم فيما يجري بينهم، وإلاّ فلا يتمّ إيمانه.

« فقد كذب، لعنه الله، وسرق الأوّل من مجالس الحكمة[١١] بقوله: لا يمنع أخاه من ماله ولا من جاهه، ويستر بذلك كفره وكذبه. وإلاّ فمن لا يغار على عياله فليس بمؤمن... إذ كان الجماع ليس هو من الدين...

« وأمّا قوله بأن يجب على المؤمنة لا تمنع أخاها فَرْجَهَا وأن تبذل فرجها له مباحاً حيث يشاء، وأنّه لا يتمّ نكاح الباطن إلاّ بنكاح الظاهر، ونسبه إلى توحيد مولانا جلّ ذكره.

« فقد كذب على مولانا عزّ اسمه وأشرك به وألحد فيه، وحرّف مقالة أوليائه الموحّدين. فعليه وعلى من يعتقده لعنة اليهود والنصارى والمجوس. فطلب هذا الفاسق التهمة في أبدانكنّ، والفساد في أديانكنّ. ولو نظرتنّ، معاشر الموحّدات، في الأديان المضلّة لبانت لكنّ الحقائق، وامتنعتنّ عن الشهوات والبوائق، وتفكّرتنّ في المجالس الباطنية التأويلية... فعلمنا بأنّه لم يكن لهذا الفاسق النصيري، لعنة المولى عليه، بغية غير الفساد في دين مولانا جلّ ذكره ودين المؤمنين...[١٢].

« وأمّا قوله بأنّ أرواح النواصب والأضداد[١٣] ترجع في الكلاب والقردة والخنازير... وبعضهم في الطير والبوم، وبعضهم ترجع إلى الامرأة التي تثكل ولدها. فقد كذّب على مولانا...[١٤].

(١١) مجالس الحكمة حيث يجتمع الموحدون ليقرأوا أسفار الحكمة المقدسة.
(١٢) يستفيض حمزة في الشتم بسبب تحليل النصيري فروج النساء لكل أخ في الدين.
(١٣) النواصب هم المسلمون السنّيون، والأضداد كل ملحد مشرك.
(١٤) يضحد حمزة نظرية التناسخ في الحيوانات ويكفّر القائلين بها...

ثم يتّهم حمزة النصيري الذي يعبد عليّاً ويعتبره إلهاً، ويقول: « لا يكون في الكفر أعظم من هذا... والكفر ما أعتقده الفاسق من العبادة في عليّ بن أبي طالب والجحود لمولانا جلّ ذكره...

« وأمّا قوله بأنّ محمّد بن عبد الله هو الحجاب الأعظم.. فقد كذب في جميع ما قاله المنجوس النصيري، فما عرف الدين ولا الحجاب... وهذا قول من عقله سخيف ودينه ضعيف... ».

هذه الرسالة كافية للدلالة على ما بين الدروز والنصيريين من خلاف في التعاليم والدين. وهي تدلّ على معرفة متبادلة بين المذهبين، وعلى احتكاك مباشر بين الشعبين. وقد حدث هذا الاحتكاك في جبال السمّاق بالقرب من حلب، وفي بانياس الجنوبية ووادي التّيم. وكان نتيجة ذلك أن هجر الدروز جبال السمّاق تاركينها لأعدائهم، وأنْ هجر النصيريون جنوبي سوريّا مخلين مواقعهم للدروز.

وفي مراحل لاحقة من التاريخ سيعود الخلاف بينهما ليظهر انتقاماً من الزمن الغابر. وسترى ذلك عند كلامنا على حملة ابراهيم باشا المصري، وعند تخلّي الحكم العلوي عن الجولان وبعض حوران للإسرائيليين، وأيضاً في دخول الجيوش السورية البعثية العلوية إلى لبنان وقتلهم زعيماً درزيّاً في معقله وعقر داره.

*****

رابعاً: النصيريّة والمسيحيّة

حدث في أواخر القرن الماضي وأوائل الحالي جدال علمـــي رصـــين حـــول نشـــأة النصيريين وانتمائهم الديني. وحدث الجدال بين كاتبَين كبيرَين هما: الأب « هنري لامـــنس » اليسوعي والباحث الشاب « البارون رينه دوسّو ». الأوّل رأى في النصيريين بقايا نصـــارى انقطعوا في جبالهم الوعرة عن الكنيسة الأمّ وعقائدها؛ والثاني رجع بهم إلى الوثنيّة ــ الفينيقيّة وعاداتها. وكان لكلّ منهما حججه وبراهينه. وجاء بعدهما، فـــي أواســـط القـــرن الحـــالي، المستشرق « لويس ماسّـــينيون »، آخـــذاً بنظريّـــات « الشهرســـتاني » و « النـــوبختي » و«البغدادي»، ليردّهم إلى الحظيرة الإسلاميّة، فاعتبرهم من « غلاة الشعية » ومن الإسلام(١).

(١) راجع في مجمل هذا الفصل:

R. Dussaud, Histoire et Religion des Nosairis, Ed. E. Bouillon, Paris 1900, XXXV-211 pp.

H. Lammens, Les Nosairis furent-ils chrétiens? Rev. de l'Orient Chrétien, Beyrouth 1900.

--- Les Nosairis, Notes sur leur Histoire et leur Religion, Etudes, Août 1899, n° 16.

--- Les Pays des Nosairis, Musée Belge, 1900…

--- Notes de Géographie syrienne, Mélanges de la Faculté Orientale, Beyrouth, 1906.

L. Massignon, Opera Minora, Liban 1960.

الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٨٨ ـ ١٩٠.

النوبختي، فرق الشيعة ص ٧٨.

البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥...

نقف، في هذا الفصل الذي نعالج فيه الصلة بين النصيريّة والمسيحية، على رأي الأب « لامنس »، الذي يقول فيه بصراحة ويؤكّد: « كما أنّ لبنان أصبح ملجأ الموازنة، هكذا صار في جبل السمّاق، إبّان الفتح الإسلامي. إذ اعتنق سكّانه المسيحيّة »[٢]. ويقول أيضاً: « إنّهم يدينون كثيراً من الإنجيل، ولا شيء من القرآن »[٣].

وحججه على ذلك كثيرة. فهو عند « زيارة القسم الشمالي لهذه المنطقة (من سوريا)، كنّا ندهش من كثرة الخرائب المسيحيّة »[٤]. وفي جولته في البلاد النصيرية، استطاع اكتشاف ٥٩ أثراً مسيحياً[٥] من صلبان وكتابات وخرائب كنائس وقبور ونواميس...[٦].

ورأى أيضاً في عقيدة الثالوث الإلهي عند النصيريين تقارباً مع العقيدة المسيحية[٧]، وكذلك في عقيدة التجسّد[٨]، وفي عدد النقباء الاثني عشر[٩] مع عدد رسل المسيح، وفي السقطة الأولى حيث هبطت النفوس الخيّرة من السماء إلى الأرض وأضحت عرضة لأعمال الشرّ[١٠]...

وفي الاحتفالات الليتورجيّة أيضاً كان للأب « لامنس » رأى واضح فيما بين الممارسات المسيحية والنصيريّة. فلفظة « قدّاس » هي، على السواء، نصيرية ومسيحية[١١]، وكذلك في استعمال الخمرة وتحليلها[١٢] وشربها وظهور الله فيها[١٣]، وفي استعمال البخور والشموع[١٤]...

(٢) Etudes, p. 470, v. 483.
(٣) Op. cit, p. 491.
(٤) Op. cit, p. 470.
(٥) Les Pays des Nosairis, 278-322.
(٦) Les Nosairis furent-ils chrétiens, 1-18.
(٧) Etudes, p. 470-483..

« أضف إلى ذلك روزنامة الأعياد المسيحية التي تحتلّ مكاناً هامّاً، كعيـد المـيلاد، والغطاس، الفصح، وأحد الشعانين، والعنصرة، دون حساب أعياد القديسين »[١٥] كـ« عيـد القديسة بربارة، وأعياد القديس يوحنا فمّ الذهب، والقديسة كاترينا[١٦]، وعيد رأس السنة الـذي يعتبرونه ويحيطونه بكثير من الفخامة »[١٧].

و « يحمل النصيريون، برضى، أسماء مسيحيّة، مثل: متـى وجبريـل وسـبيريدون وكاترين وهيلانة، الخ؛ إنّها أسماء غير مستحبّة لدى سائر الفرق الإسلامية »[١٨].

وعرف الأب « لامنس »، خلال رحلاته في البلاد النصيرية، أنّ النصيريين لا يكنّون ضد المسيحيين أيّة عداوة. فـ« أهل جبل السمّاق ليس عندهم علامة الإسلاميين المميزة، وفي كل فرقهم: بغض المسيحيّ. فالسنّة والشيعة يتباغضون، ولكـنّهم يجتمعـون ضـدّنا. فيمـا النصيريون لا يغذّون ضدنا أيّة نظرة بغض. وقد سمعتهم مراراً يقولون: إنّهم يودّون المـوت على دين المسيح أو على دين عيسى. وهم، في أيّامنا هذه، يزورون معابـدنا، ويستشـيرون الكهنة المسيحيين، ويَقبلون من أيديهم الماءِ والأشياء المباركة، كما اختبرت ذلك بنفسي »[١٩].

---

(٨) Etudes, p. 483.
(٩) Op. cit, p. 484.
(١٠) Op. cit, p. 486.
(١١) Op. cit, p. 490.
(١٢) Op. cit, p. 491.
(١٣) Op. cit, p. 491.
(١٤) Op. cit, p. 487-488.
(١٥) Op. cit, p. 491.
(١٦) يسمى النصيريون بناتهم اسم «كاترينا». انظر: Op. cit. p. 476, n°1
(١٧) Op. cit, p. 476.
(١٨) Op. cit, p. 491.
(١٩) Op. cit, p. 491-492.

ورأى « لامنس » أنّ اللعنة التي يطلقها النصيريون على يوحنّا مارون أوّل بطريرك على الموارنة (+ ٧٠٧ م)[٢٠]، ليست هي من صنعهم، لأنّ الروم الأورثوذكس والملكــانيين، في سوريّا، أطلقوها قبلهم، منذ الجيل التاسع، وكتبهم مليئة بها، وذلك بسبب عصــبيّتهم ضـــد الموارنة أنصار المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع (٤٥١ م) الذي حرمت فيه عقيدة الطبيعة الواحدة[٢١]. فالأب « لامنس » يبرّئ النصيريين من هذه اللعنة، لأنّ « المؤسّسات المارونيّــة في جبل السمّاق، حيث يتواجد النصيريون، لم تكن كثيرة (لتكون فاعلة)، ولم تكن قديمة العهد. ففي الأمر صدى بعيد لجدال بين الموازنة والملكانيين سابق للجيل التاسع »[٢٢].

مع هذا ينتقد الاب « لامنس » ما جاء في قول « رينان »: « أنّ النصيريين يعبدون كإله القديس مارون، شفيع الموارنة، الذي أصبح، كــ مار أنطون، صانع معجزات ذا شــهرة واسعة في معتقد جميع الفرق »[٢٣]. ويقول « لامنس » عن قول « رينان »: « مــن غيــر الممكن أن نرى مغالطات بهذا القدر في أسطر قليلة »[٢٤].

ويخلص الأب « لامنس » إلى القول: « إنّي أقرّ بأنّني لم أعرف إلاّ تفســيراً واحــداً يرضي، وهو: إن النصيريين كانوا نصارى »[٢٥].

---

(٢٠) سورة الشتائم، انظر ص: ١٥٨ من هذا البحث.

(٢١) Etudes, p. 475.

(٢٢) Op. cit, p. 476.

(٢٣) E. Renan, Mission de Phénicie, 114.

(٢٤) Etudes, p. 475, n° 8.

(٢٥) Op. cit, p. 492.

لنا على رأي الأب « هنري لامنس » جملة ملاحظات:

١ً ــ في كل ما كتب الأب « لامنس » عن النصيريين لا نجد أيّ إشـــارة إلـــى أيّ مرجع نصيري. لم يعرف الاب « لامنس »، على ما يبدو، أيّ مخطوط أو كتاب للنصيريين. فهو لم يستشهد بواحد منها، على كثرتها ووجودها في المكتبة الوطنية بباريس. وهو لم يستقِ معلوماته عن النصيرية من كتب النصيريين، بل من كتب وضعها باحثون. فكـــان مرجعـــه الأساسي سليمان الأذني المرتدّ عن النصيرية. ومرجعه الثاني جولاته ورحلاتـــه فـــي بـــلاد النصيريين، ورؤيته الخِرَب المسيحية في مختلف قراهم، وأحاديثه معهم، وتصريحهم له بأنّهم نصارى وأصلهم نصرانيّ... وغاب عن الأب « لامنس » أنّ التقيّة عندهم مذهب ومبدأ، بـــه تنقلب الحقائق أكاذيب، والأكاذيب حقـــائق، والصدق كذباً، والكذب صدقاً. علماً بأنّه عـــرف ذلك، عند الباطنيين بوجه العموم، حيث « النفاق يسمو عندهم إلى مرتبة المبدأ »(٢٦)، وحيـــث « إفشاء الحقيقة سمّ قاتل »(٢٧)...

٢ً ــ ثمّ إنّ كثرة المعالم المسيحية في بلاد النصيريين قد لا يعني أنّ أصل النصيريين مسيحيّ؛ إذ قد تكون قرية مسيحيّة يُهَجَّر سكّانها عن بكرة أبيهم ويَحلّ مكانَهم آخرون علـــى غير دينهم، وتبقى فيها آثار وخِرَب وكنائس وصلبان وأديار وكتابات هـــي بمثابـــة أطـــلال مندرسة. قد لا يفهم الأب « لامنس »، بعقليته الأوروبيّة، أمر « التهجير » الذي حدث، فـــي الشرق، مراراً وتكراراً. وما زال يحدث ويحدث في يومنا هذا... فماذا يقول مثلاً عن موارنة جبل سمعان وأفاميا في القديم. هل سكّان هاتين

---

(٢٦) انظر المرجع في صفحة ٣٦ من هذا البحث.
(٢٧) انظر فصل « التقيّة » ص ١٢٣ ـ ١٣٠ من هذا البحث.

المنطقتين اليوم هم موارنة مرتدّون إلى الإسلام؟! وهل سكّان الدامور اليوم هم مسلمون فلسطينيون من أصل ماروني؟! وهل مهجّرو النبعة هم موارنة من أصل شيعي؟! وهكذا... فقصة الهجرة والتهجير لن يفهمها الغربي بذهنيّته الأوروبيّة، لأنّ هذا لم يحدث في الغرب ولم تحدث حروب دينية قصد الإبادة، ولم يحدث أنْ احتلّ محتلّ وبقي على أرض احتلّها. اللّهم سوى ما حدث مع عرب إسبانيا. وهذا أيضاً من مباهج الشرق وثمار أديانه!!!

٣ً ــ هل يدلّنا الأب « لامنس » على مسيحيّ واحد شذّ في عقيدته مثل هذا الشذوذ، فاعتقد بالثالوث الإلهي مكوّناً من علي ومحمّد وسلمان، بدل الآب والابن والروح القدس! هل من مسيحيّ في الشرق، رغم شدّة الاضطهاد عليه، احتفل، إلى جانب الميلاد والقيامة والعنصرة...، بأعياد الغدير والفطر والفراش...؟ مثل هذا الاضطهاد يجرّ إلى التعصّب لا إلى الانفلات. ولئن اعتنق بعض المسيحيين، في زمن الفتوحات الإسلامية، دين الفاتحين، فإنّه من غير الممكن أن يتساهل الفاتحون بقبول شيء من تقاليد المغلوب على أمره وعقائده وطقوسه... ولئن حدث شيء من هذا فهو على صعيد فردي، أو في مجالات عادات الشعوب، لا أكثر...

٤ً ــ ثم إنّ الأب « لامنس » يشهد على « عجميّة » مؤسّسي النصيريّة، فيعتبر محمّد بن نصير والخصيبي وغيرهما من أصل فارسي، ويعترف، مع سليمان الأذني، بأنّ معظم مؤسسي غلاة الشيعة من بلاد العجم، وبأنّ العجم ذهبوا بعيداً في تأليه عليّ بن أبي طالب... فكيف يعود « لامنس » عن هذه الرؤية ليرى للنصيريين أصلاً نصرانيّاً!!!

الحقّ يُقال: إن النصيريين هم من متطرّفي الشيعة. غدر بهم

الزمان، وقهرهم التاريخ، فانطووا على أنفسهم، وخشوا من الإبادة والفناء. حاربهم أعداؤهم السنّيون، وقهرهم أبناء مذهبهم الشيعيون، وغدر بهم جيرانهم الإسماعيليون، واستذلّهم الصليبيون، وانتقم منهم الأرمن والعثمانيون، وأذلّهم الفرنسيون... فهم، بالحقيقة، شعب قهر لم يعرفوا استقراراً في جبالهم الوعرة.

فـ« بكونهم شيعة دينية، بالمعنى الحصري، النصيريون هم من غلاة الشيعة »[٢٨]. هذا رأي المستشرق « ماسّينيون ». وهو رأي من قال قبله مثل الشهرستاني الذي بحث عنهم في فصل « الشيعة الغالية »[٢٩]، والأب « لامنس » نفسه يشهد لما للشهرستاني من دقّة وصوابية في وصفهم[٣٠]. وهو أيضاً رأي البغدادي الذي يعتبرهم من الشيعة «الرافضة»[٣١]، ورأي النوبختي في اعتبارهم من « فرق الشيعة »[٣٢]... هذا في القديم. وأمّا اليوم، فمحمّد أمين غالب الطويل[٣٣]، والشيخ عبد الرحمن خير[٣٤] ومنير الشريف[٣٥].. وغيرهم. هؤلاء يعتبرون النصيريين من المسلمين، وعبد الرحمن بدوى من « مذاهب الإسلاميين »[٣٦].

كلّ هذه الآراء قد تكون مصيبة وقد تكون مخطئة. والحقيقة هي أنّ النصيرية نسيج وحدها. لا هي هذه ولا هي تلك. هي أمّة أسست لها ديناً وكياناً وأرضاً ودولةً وحدوداً. وهي اليوم تسعى إلى تمامها.

---

(٢٨) L. Massignon, Opera Minora, p. 619.
(٢٩) الشهرستاني ص ١٧٣.
(٣٠) H. Lammens, Etudes, p. 466.
(٣١) البغدادي ص ٢٥٠.
(٣٢) النوبختي ص ٧٨.
(٣٣) تاريخ العلويين (بمجمله).
(٣٤) تاريخ العلويين، المقدمة.
(٣٥) المسلمون العلويون من هم؟...
(٣٦) صفحة ٤٢٥: «النصيرية من غلاة الشيعة...».

الفصل التاسع

المجتمع النصيري

أوّلاً : الطوائف والعشائر النصيريّة

ثانياً : المرأة والزواج عند النصيريين

ثالثاً : الحياة النصيريّة وتقاليدها

أوّلاً: الطوائف والعشائر النصيرية

تجزّئ الأمّة النصيرية عشائر وقبائل، منها العربية ومنها الفارسيّة، ومنها أيضاً التركية والكردية والتتاريّة... وفي يومنا هذا يعاني النصيريّون من كثرة تشعّباتهم. وربّما أدّى انحسارهم في جبالهم بسبب قهر القاهرين، إلى خصومات وتحزّبات فيما بينهم، وإلى تفاوت عميق في العقيدة والتقاليد. بيد أنّهم، مع تشتّتهم الكثير، حافظوا على مجمل عقائدهم الأساسيّة. وهم، بالنسبة إلى خلافاتهم الدينية، لا يزيدون على أربع طوائف: الشماليون، والكلازيون، وعابدو الشفق، وعابدو الهوا.

« ١ ــ أمّا الشماليون، أو الشمسيّون، فهم الذين يعتقدون في عليّ بن أبي طالب أنه يظهر في قلب الشمس، و « هو العلي العظيم الكبير، يظهر يوم الرجعة البيضاء من عين الشمس »[١]. ويقولون: « إن المعبود يرى ولكنّه ليس محدوداً... ويعنون بذلك: السماء. ويقولون إن الكواكب منها تشرق، وفيها تغيب، وإنها ظاهرة، لكن لا يقدر أحد أن يحدّها بصورتها الأصليّة إلاّ « الاسم » (أي محمّد)[٢]. ولذلك دعي محمّد « حجاب عليّ ومكانه » كما رأينا سابقاً. فإذا كان محمّد مكان عليّ يكون إذن هو السماء وعلي هو الشمس.

---

(١) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٥٠ ص ١٢٦.
(٢) الباكورة السليمانية في تفسيرها على السورة ١١. ص ٩.

يستدلّ الشماليون على صحة معتقدهم من قول السورة السادسة: « يا مخترع شـــمس الضحى وخالق البدر المنير »، ويقولون: « ها إن البدر مخلوق »[٣]، وهم بـــذلك يوجّهـــون انتقادهم إلى الكلازيين عبدة القمر. وفي رأيهم أيضاً « أن الشمس المذكورة في السورة الحادية عشرة هي كناية عن فاطمة بنت أسد المولود منها عليّ، لأنهم، كسائر النصيرية، يعتقدون أن فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت محمّد هما « الاسم » أي محمّد. وهو عندهم الشمس »[٤].

يعتقدون أيضاً بأن « المؤمنين، إذا خلصوا من هذه القمصان البشرية، ينتقلـــون إلـــى درب التبّان، ويصيرون كواكب، ويرون السماء صـــفراء »[٥]. والملائكـــة عنـــدهم « هـــم الكواكب، ودرب التبّان الذي هو أنفس مؤمنيهم. هم يرون السماء صفراء، والبشـــر يرونهـــا زرقاء »[٦].

ويتميّزون أيضاً عن سواهم بأنّهم، حين تلاوة السورة الثامنة « يضعون اليد اليمنـــى على الصدر، ويجعلون باطن الإبهام على باطن الوسطى »[٧]. وهم لا يحلقـــون لحـــاهم، ولا وجوههم. وبعضهم يحرّمون أكل القرع الأصفر، وشرب الدخان لا يجوز لأحـــد مـــنهم، ولا البـــاميا ولا الفليفلة ولا البنـــادورة، ويحرّمون لبس الأحمر على الرجـــال[٨]. ويفسّرون مبدأ « الفرض اللازم والحق الواجب »، الذي سنراه عند الكلازيين، بـــ« بذل العلم والمال »[٩].

---

(٣) الباكورة في تفسير السورة السادسة، ص ٢١.
(٤) الباكورة في تفسير السورة ١١، ص ٢٨.
(٥) نفس المرجع ص ٩ تفسير السورة الأولى.
(٦) نفس المرجع: تفسير السورة الأولى.
(٧) نفس المرجع ص ٢٥ تفسير الثامنة.
(٨) نفس المرجع ص ٥٧.
(٩) نفس المرجع ص ٥٩.

٢ً ــ والكلازيون، نسبة إلى محمّد الكلازي، شيخ جليل، ومؤلّف كتب وشاعر قصائد، فهم « عابدو القمر. ويستدلون على عبادته من قول السورة الأولى: « وطلعتك الزاهــرة ». ويقولون: إنه ظاهر، والسواد الذي في القمر هو ذات عليّ، وهو محجوب عن أعيننا، ونــراه الآن أسود، ومتى خلصنا من هذه القمصان فإنّنا نرتفع بأمانتنا إلى ما بين الكواكب، وحينئــذ نراه بنظرة الصفرة »[١٠].

ويقولون: « إنّ علي خلق القمر ليسكن فيه، كالرجل الذي يبني له بيتــاً ليســكنه، أو يصنع كرسياً يجلس عليه، لأنهم يعتقدون بأن السواد الذي هو القمر هو المعبود، ولــه يــدان ورجلان وبدن، وعلى البدن رأس، وعلى الرأس تاج، وبيــده ســيف هــو ذو الفقــار »[١١]. ويفسّرون قول السورة الحادية عشرة « وظهور علي من عين الشمس »، بأن القمر هو الذي يظهر من مطلع الشمس[١٢].

عند صلاتهم يبسطون الكف ناصبين الإبهام لتكون اليد على صــورة الهــلال عنــد ابتدائه[١٣]. إنهــم يحلقون لحاهم. وما حرّم عند الشماليين هو حلال عندهم[١٤]. يأخذون بمبدأ « الفرض اللازم والحق الواجب »، وهو يعني: إذا حضر إمام منهم إلى إمام آخــر نظيــره، فالثاني ملتزم بأن يقدّم حرمته للأوّل، ويحكمون على من يخالفه بعدم دخوله الجنّة[١٥].

---

(١٠) الباكورة تفسير السورة الأولى ص ٩ ـ ١٠.
(١١) الباكورة تفسير السورة السادسة، ص ٢١.
(١٢) الباكورة تفسير السورة ١١، ص ٢٧.
(١٣) الباكورة تفسير السورة الثامنة، ص ٢٥.
(١٤) الباكورة ص ٥٨.
(١٥) الباكورة ص ٥٨ ـ ٥٩.

٣ً ــ أمّا عابدو الشفق فيستدلون على عقيدتهم من قول السورة الأولــى: « يــا مــن أنوارك منك تشرق وفيك تغرب »، ويقولون: إن جميع الأنوار لم تظهر إلاّ مــن المشــرق، وترجع وتغيب في المغرب. فلذلك تراهم وقت صلواتهم يتوجّهون نحو الشمس عند شــروقها وغروبها... ظانّين أنّ ذلك الإحمرار هو خالق الشمس، كقول سيدهم الشيخ علي الماخوســي في الوراثة المتروكة لهم منه: والبدر أنواره من شمسه ظهرت، وشمسه من عــامود الشــبح موجدها »[١٦]. ويفهمون من قول السورة الحادية عشرة: « وظهور عليّ بن أبي طالب مــن عين الشمس »: إن الشفق يظهر من عين الشمس ويعتقدون أن ذلك الإحمــرار هــو خــالق الشمس[١٧]. صلواتهم كصلوات الشماليين...

٤ً ــ وعابدو الهوا يستدلون على عبادته بقول السورة الأولى: « يا هو يــا هــو »، فيقرأون هذه اللفظة بفتح الهاء والواو، لكي ينتجون من ذلك عبــادتهم للهــواء »[١٨]. وفــي صلواتهم يضعون الكف على الصدر رافعين السبابة إلى خارج وواضعين باطن انملة الإبهــم على باطن الوسطى[١٩].

*****

وما سوى ذلك جميعهم متّفق. إلاّ أنّ الاضطهادات فرّقت بينهم سياسيّاً. ولمّا لم يكــن لهم كتب مطبوعة ومنتشرة فيما بينهم لتتوحّد عقيدتهم ويجتمعون على تفسير واحد لها، راحت كل طائفة منهم تعالج سرّها كما تتخيّل. فلذلك، شعر نصيريو اليوم بضرورة خلــق مجــالس دينية وسياسية معاً.

---

(١٦) الباكورة، ص ١٠.
(١٧) الباكورة، ص ٢٧ ـ ٢٨.
(١٨) الباكروة، ص ١٠.
(١٩) الباكورة، ص ٢٥.

أمّا العشائر والقبائل النصيرية فكثيرة جدّاً. وربّما كل عيلة تفتخر بانتسابها إلى عشيرة وحدها، لكي يكون لها كيان مستقلّ وتقاليد خاصّة بها دون سواها، ومزار معيّن، وشيخ يقيم دينها. واشتهر في تاريخ النصيريين جملة عشائر، أهمّها:

الخيّاطية، نسبة إلى علي الخياط الذي استقدم الأميرَ المكزون ملتمساً منه أن يساعده على إزالة مظالم الأكراد والإسماعيلية. سكن معظمهم في طرابلس وجنوبي النهر الكبير في سهول عكّار، « ضايقهم المسيحيون الموارنة مضايقة أدبية لم يشعروا بها حتى ألجأهوهم أخيراً للرحيل إلى شمالي نهر الكبير »[٢٠]. تفرّعوا إلى « فقاورة » و« عبدية » و« بغدادية » و « صرامطة » و « عمامرة ». اشتهر منهم زمن الانتداب الفرنسي سليمان مرشد.

عشيرة بني علي، سكنت في قرية ست يللو، وحرف الصليب، وبيت ياشوط، وجبل الوادي، وعين الشقاق، ومغسلة، وديروتان، والمعصرة... كان بينها وبين الكلبية والنواصرة معارك أحرقت فيها مجمل قراهم. ثم عادوا وأحرقوا ونهبوا بدورهم ما قد حصل عليه الكلبيون. ولمّا كانت شديدة الساعد استولت على أراض كثيرة حتى جبلة التي عصت عليهم إذ كانت مركز الحكومة العثمانيّة.

عشيرة المهالبة. تسكن في قلعة المرسالية التي كانت تُسمّى قلعة بلاطونس، وتُسمّى الآن أيضاً قلعة المهالبة، واستولوا على جبلة من يد الأتراك برئاسة زعيمهم علي شلهوم. وهي اليوم أصغر العشائر.

الحدادون. هم أصل العشائر. تنسب إلى المعلم محمد الحداد

---

(٢٠) محمد الطويل، تاريخ العلويين، ص ٣٥٩.

ابن الأمير محمود السنجاري ابن أخ الأمير حسن المكزون. حاربوا الإسـماعيليين ودامـت الحروب بينهم سجالاً حوالي مائة سنة. هم أكثر النصيريين علماً وتقدّماً. يقطنون طرطـوس وبانياس وصافيتا.

عشيرة المتاورة أتت مع الأمير حسن المكزون سنة ٦٢٠ هجرية. ولها عدة فـروع: المتاورة والجواهرة والصوارمة والنميلاتية والدراوسة والعراجنة والمحارزة. « كان رئيسهم المحترم المرحوم الشيخ صالح العلي رئيس ثورة العلويين ضد الفرنسيين في سني ١٩١٩ ـ ١٩٢١ »[٢١].

عشيرة الدراوسة، رغم كونها من العشائر السنجارية، تحتوي على عدد كبير من أصل تركي. كانوا حلفاء العمامرة. استولوا على جبل دريوس.

المحارزة كانوا في البدء على اتفاق مع الاسماعيليين، إلاّ أنهم فيما بعد، اختلفوا حتى كادوا يفنون بعضهم بعضاً. وكانت قلاع القدموس والعليقة والمينقة تارة تكون معهم وطـوراً مع الإسماعيليين. يدّعي المحارزة حصولهم على سيف الإمام الحسين وكتاب النسب.

الكلبية تنتسب إلى العشائر السنجارية التي أتت مع الأمير حسن المكزون. كـان أوّل نزولهم في « عين كلاب » في جبّ رملة منطقة مصياف، فتكنّوا بالكلبيين. ثم توسّعوا شمالاً وغرباً وسُمّي الجبل باسمهم جبل الكلبية. يقطنون جبلة والحفة واللاذقية وصافيتا وطرطـوس والقرداحة. من رؤوسائهم اليوم: الأسد، وخير بك، وآل إسمعيل، ورسلان..

... ...

(٢١) منير الشريف، العلويين من هم؟..، ص ١٢٠.

ثانياً: المرأة والزواج عند النصيريين

أغرب تعاليم النصيريين نظرتهم في المـــرأة. فهـــم يعتقـــدون أنّ: « الإنـــاث هـــنّ كالحيوانات مجرّدين عن وجود النفس الناطقة، وأن أنفاس النساء تمـــوت كأجســـادهنّ »[١]. ولمس هذه العقيدة جنرال فرنسي فنقل لنا: « إن النساء محرومات كالحيوانات من نفس عاقلة. تموت نفوسهنّ كأجسادهنّ »[٢]. « لذلك، فعلى كل نصيريّة، قبل قبولها مني الرجل، أن تغتسل وتتطهّر وتستعدّ لقبول زرع الرجل الخالد »[٣].

هذه المرأة خلقت من أذناب الأبالسة[٤]، و « خلق عزّ وجلّ من معصية إبليس النساء المخالفات »[٥]. وقال الصادق « الشياطين من الامرأة »[٦]، وقال الباقر: « إن أصل كل شرّ النساء »[٧]. وعن جعفر قـــوله: « إن الرجـــال الضالين المضـــلّين هـــــم صـــور النســـاء الشياطين »[٨]...

وقال الصادق: « يردّ الكافر في صورة الامرأة الكافرة، ولا تردّ

---

(١) مخطوط المكتبة الملكية ببرلين، رقم ٤٢٩١ صفحة ٥٦.
(٢) Colonel P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, 23.
(٣) L. Massignon, Opera Minora, p. 621.
(٤) الباكورة السليمانيّة، ص ٦١. انظر أيضاً المرجع السابق.
(٥) كتاب الهفت والاظلة، ص ٤٩.
(٦) نفس المرجع، ص ١٤٤.
(٧) نفس المرجع، ص ١٤٣.
(٨) نفس المرجع، ص ١٤٤.

الامرأة الكافرة في صورة الرجل الكافر... الكافرون ينحطون من درجة الرجال حتى يصيروا عامّة نساء كافرات... إنّ أصل كل شرّ النساء... وقد قال النبي وأبلغ في القول وأوجز في المعنى حين نظر في النار فرأى أكثر أهلها نساء... والشياطين من الامرأة. وإن الإنسان إذا ارتقى في كفره وعتوّه وتمرّده وتناهى في ذلك، صار إبليسا، ورد في صورة امرأة... ألم تقرأ في القرآن قوله تعالى: « إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً »[٩]، وقال: « إنّ كيدكنّ عظيم »[١٠]، إذ هم صور النساء »[١١].

ثم إننا رأينا وضع المرأة من جهة مبدأ « الفرض اللازم والحقّ الواجب » الذي يقضي بأن يقدّم الإمام لضيفه الكبير امرأته كهديّة سارّة. ومن ناحية تعليم الديانة فالأمر يوجب عدم تعليم النساء شيئاً من أمور الدين، « ولا يعلّمون نساءَهم صلاتهم »[١٢]. وقد اتّهم حمزة بن عليّ بن أحمد أحد النصيريين بأنّه يعلّم الفواحش، فقال: « وأمّا قوله بأن يجب على المؤمنة لا تمنع أخاها فرجها وأن تبذل فرجها له مباحاً حيث يشاء، وأنّه لا يتمّ نكاح الباطن إلاّ بنكاح الظاهر... »[١٣]، « لأن الفرج مثل أئمّة الكفر، والاحليل إذا دخل فرج الامرأة دليل على الباطن »[١٤]، ويتّهمه بالكذب والغواية، ويحذّر الموحّدين من تعاليمه...

*****

---

(٩) سورة النساء ٤ / ٧٦.
(١٠) سورة يوسف ١٢ / ٢٨.
(١١) كتاب الهفت والاظلة، ص ١٢٦.
(١٢) الباكورة السليمانية، ص ٦١. فيها يستشهد الاذني بجملة مراجع.
(١٣) الرسالة في الردّ على النصيري الفاسق، رقم ١٥ من « رسائل الحكمة »، ١٦٦.
(١٤) نفس المرجع، ص ١٦٧.

هذه المبادئ الدينية في وضع المرأة جرّت معها عليها تعاسة في المجتمع النصـــيري. فالمرأة، كما وصفها أحد النصيريين، « تعمل في البيت وفي الحقل. في الحقل تنكش الأرض، وتحصد الزرع، وتدرس الحصيد، وتحمل لزوجها ما يشتريه من أسواق المدينـــة، وتمخــض اللبن، وتبيع السمن في أجرار تحملها على رأسها مسافة ساعات، كما تبيع بيض الدجاج التي تعني بها، وتبيع خضار الأرض، وفواكها. وتجمع الحطب، وتحملها رزماً على رأسها.

« وفي البيت تربّي أولادها، وتهيّئ لهم ولزوجها الطعام، وتدلك (تحدل) سطح البيت طوال الشتاء، وتنظّف بيتها، وتأتي بالماء من الينابيع... وهكذا تراها ترزح تحت عبء ثقيل من الأعمال الشاقة التي لا تلبث معها حتى تهرم ويذوى شبابها وتفقد فرحها ومرحها، فلا تكاد تصل إلى سنّ الثلاثين حتى تصبح كأنّها أشرفت على الخمسين...

ويقول أيضاً: « والعلويات سافرات. ولكن نسوة بعض الرؤوساء والوجـــوه ورجـــال الدين يتحجبن كالنساء السنّيات في المدن حيث يخبئن زينتهنّ وملابسهنّ... »[١٥].

*****

أمّا زواج الفتاة فأمره عسير عليها. فهي تخضع لإرادة أبيها أو أخيها، ولـــن تختـــار زوجها بحرّيّة. ويساوم على المهر مع الزوج، ومعظم الأحيان « يستأثر أولياء الفتاة بكامـــل المهر، ولا تستفيد منه البتة »[١٦].

(١٥) انظر منير الشريف، العلويون من هم؟.. ص ١٨٦ ـ ١٨٧.
(١٦) نفس المرجع ص ١٨٠.

و « ربما تعطى البنت بديلة، أي أن يزوّجها والدها من رجل، لقاء أخذ ابنته أو أخته لنفسه أو لولده. وفي هذه الحال... تغدو سلعة تجارية، للمقايضة »[١٧].

وعند تمام مراسيم الزواج عند شيخ القبيلة يكتب فيه صكّ باجراء النكاح، ويصافح الحاضرون العريس، دون العروس، ويدخل العريس غرفة عروسه، ويغلق وراءه الباب، ويتفرّق القوم، تقوم العروس وتقبّل يد العريس، وهو يعانقها... وفي صباح اليوم الثاني، تنشر العروس ثيابها بعد غسلها، إشارة إلى بكارتها، فتأتي نساء القبيلة لتتأكّد من ذلك، ولتشهد على دوام بكارتها حتى زواجها. وإذا ما ثبت، لا سمح الله، فضّ بكارتها قبل زواجها، تذبح المسكينة على عتبة بابها. ولكنّ هذا أمر نادر...[١٨].

الحقيقة تُقال هي إن لا زواج ولا طلاق عند النصيريين. فكل ما أشرنا إليه هو من مؤثّرات الحضارة ومن مآثر مجتمع اليوم. فإنّني لم أجد في جميع المصادر التي اعتمدت عليها سطراً واحداً في موضوع الزواج وكيفيّته. جلّ ما نعرف من تقاليد نصيرية صرفة، هو أنّ الزواج هو عقد سنوى، يَختار في عيد من الأعياد المعيّنة لكل عشيرة، أحد الشباب زوجته لوقت محدّد. ولئلا يقع بين الرجال خلاف، تغلق أبواب غرفة الاجتماع، وتطفأ الأنوار، ويقع كل رجل على امرأة ويخرج بها خارج الدار. هناك يعرف حظّه على نور مضاء. وعادة ما يقع المسكين على عجوز فيقضى عليه بها سنة كاملة، إلى أن توافي سنة ثانية ليعرف اختياراً جديداً بعد اختبار عسير.

---

(١٧) منير الشريف، ص ١٨١.

(١٨) نفس المرجع، ص ١٨٤.

ثالثاً: الحياة النصيريّة وتقاليدها

يتألّف المجتمع النصيري من ثلاث طبقات: الوجهاء السياسيّون، والرؤوساء الدينيون، وعامّة الشعب؛ أو: الزعماء، والمشايخ، والفلاحون أمّا النساء فهنّ طبعاً من عامّة الشعب، مهما كان وضعها الاجتماعي... عدد النصيريين في العالم محدود، يبلغ ١١٩٠٠٠ يزاد ٥٠٠٠ من الأشراف. والمجموع ١٢٤ ألفاً من الرجال فقط، لأن النساء لا يحسبن ضمن النفوس الناطقة الخالدة[١].

أمّا المشايخ رجال الدين فهم القيّمون وحدهم على الدين، وهم وحدهم العارفون به. يحترمهم الأشراف والفلاحون احتراماً بالغاً. يؤدّون لهم حقوقهم كاملة. والمشيخة في الدين وراثية، ينقلها شيخ إلى بنيه بطريقة طبيعية. انعامات المشايخ كثيرة، وهكذا حقوقهم. فهم يستطيعون فرض ما يريدون على جماعاتهم، من إعدام، وتعذيب، ودفع المال... وغير ذلك[٢].

ويكون « لكل رئيس من رؤساء العلويين مضيفة (منزول) يستقبل فيها ضيوفه، ويجتمع إلى رجال عشيرته. له القول، وعليهم العمل. وهو ينظر في الخلافات التي تقع بين أفراد العشيرة، حقوقيّة أم جزائيّة، فيجتمع

(١) L. Massignon, Opera Minora, p. 620.
(٢) Col. P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, 25.

الطرفان المتداعيان أمامه، ويحقّق في الدعوى (كحاكم) وأحكامه نافذة رضاء أم كرهاً (في بعض الأحيان). والرئيس العادل النزيه يريح الحكومة من مراجعات أفراد عشيرته...

« وللرئيس رجال في عشيرته، يخصّهم بعطفه ويقدمهم على سواهم...

« ولرؤوساء العلويين عادة جمع المال من رجال العشيرة كجعل سنوي يتناسب مع قوّة العشيرة وحاجة الرئيس. وهذا المال قد يكون ضرورياً للرئيس في بعض الأحيان، لانفاقه على مضيفته (منزوله)... ولإنفاقه في سبيل العشيرة... ولكن بعض الرؤوساء اعتاد فرض المال... لينعم به، أو ليشتري عقاراً خاصّاً يزيد به ثروته ».

ويأتي المال الرئيس في مناسبات عدّة أيضاً: في الولادة، وفي الأعياد، وفي الزواج « وإلاّ فلا يسمح له بالزواج »، وفي الدفن، وفي مواسم التبغ إذ يكون للرئيس « جعل على كل كيس من التبغ يبيعه الزراع من عشيرته إلى إدارة الحصر، ويضاعف الجعل إنْ كان البيع للمهرّبين »[٣].

والنصيريون، إجمالاً، معروفون بكرمهم، رغم فقرهم. « فهم يستقبلون ضيوفهم بلطف ووداعة، ويقدّمون لهم الطعام والشراب، ويخصّونهم بأحسن الغرف لنومهم وراحتهم، ويقدمون على خدمتهم، يؤانسونهم ويقصّون عليهم أحسن القصص والروايات، ويسمعونهم أغانيهم الشعبيّة »[٤].

« وفي القرويين العلويين، نساءً ورجالاً، عادة تقبيل الأيدي.

---

(٣) منير الشريف، العلويون من هم؟.. ص ١٣٠ ـ ١٣٢.
(٤) نفس المرجع، ص ١٣٣...

فالصغير يقبّل يد الكبير. والقبلات تطبع على أيدي رؤساء العشائر ورجال الدين دوماً، حتى إن بعض العلويين يقبّلون أيدي كبار الموظّفين دلالة على احترامهم لهم. وهذه العادة مستحكمة »[٥].

ولبس النصيريين ملوّن مزركش بالعموم، وهو يتنوّع بالنسبة إلى طبقاتهم. فرجال الدين « يعمّمون بعمامة بيضاء على طربوش مغربي أو سدرى، أو يسترون طربوشهم السوري بكوفيّة بيضاء بدون عمامة[٦]. « وسائر الرجال يستعملون الكوفية والعقال الأسود. ويلبس القنباز، وعليه السترة والصدارة. وبعضهم يلبس الطربوش، وبعضهم يلفّ على طربوشه، أو لبّادته، قطعة من القماش، ويلبس سروالاً أبيض، وقميصاً أبيض إلى ركبتيه، وعليه عباءة قصيرة مقلّمة »[٧]. « أمّا زينة الرجل العلوي القروي فهي عبارة عن قميص ملوّن، بارز من بين الصدار، وزهور توضع سوقها بين العقال والكوفيّة حول طرف الرأس »[٨].

والنساء تتحلّى بصف من القطع الذهبية تطوّق به رأسها أو طربوشها أو طاقيتها من الإمام. أو يربط بعض قطع ذهبية في أعلى جبينها، وربط عقد من القطع الذهبية أو الذهب المصاغ حول جيدها. والفقيرات يكتفين بعقد من الخرز الملوّن. والقرط الذهبي من ضروريات الزينة عند العلوية، وكذلك الخواتم الذهبية أو الفضية أو النحاسية والأساور الفضية والزجاجية. وأكثر العلويات يتكحلن ويتعطرن في أيام الأفراح والأعياد. أمّا شعرهنّ فإنّهن يحتفظن به ويضفرنه عدة ضفائر ويرسلنه على ظهورهنّ، وبعضهنّ

---

(٥) منير الشريف، نفس المرجع، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٦) نفس المرجع، ص ١٤٣.
(٧) نفس المرجع، ص ١٤٢.
(٨) نفس المرجع، ص ١٤٤.

يربطن في منتهى الضفائر قطعاً من الذهب، ويتركن سوالفهنّ لتغطية آذانهنّ، وخصلتين مـــن الشعر لستر طرفي جباتهنّ »[٩].

وطعام العلويين القرويين يميل إلى البساطة والتقشّف. فهم يضعونه في طبق من القش على الأرض ويجلسون حوله متربّعين، ويأكلون بأيديهم... وعادة ما يكون مؤلّفاً من البرغـــل والعدس والحمص، ومن بيض الدجاج المقلي أو المسلوق، ومن اللبن الخـــاثر، والمتـــبلات، والشنكليش، وفي أحسن حالاتهم من لحم الغنم.

« والعلويون لا يأكلون لحوم الأنثى الحيـــوان، ولا الأرنـــب، ولا الســـمك المســـمّى بالسلور، ولا لحم الجمال »[١٠]، ولا الحنكليس، ولا ما ذكرناه آنفاً عند بعض طوائفهم[١١].

أمّا نفسيّة النصيري فطريفة، وهي ميالة لأن تكون فطرية بدائية، فـــ« العلوي حـــذر، لا يطمئن إلى الناس بسهولة. وهو يسيء الظنّ كثيراً، لأنّ ذلك الماضي الأليم... جعله هكذا. والعلوي يرغب في النفع الذاتي، لأنه جدّ فقير. ومتى أفدته ينقاد إليك ويعمل ليجعلـــك تعتقـــد بإخلاصه لك... والعلوي قد سمع من آبائه الشيء الكثير عن سوء عمل السنّيين معه. فمتـــى عرف أنّك سنّي فإنّه لا يصارحك كما يصارح المسيحي، لأن المسيحي كان ضعيفاً مثلـــه... والعلوي أديب اللسان (وهو ميراث الخوف). وهو، إنْ لم ينل مطلوبه من الحكومة، لا يظهر انفعاله منها، ولكن يسجل ذلك عليها في ذهنه »[١٢].

---

(٩) منير الشريف، ص ١٤٤.
(١٠) نفس المرجع، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.
(١١) ص ١٩٢ من هذا البحث.
(١٢) منير الشريف، ١٤٦ ـ ١٤٧.

أمّا الضمير الأدبي الديني عند النصيري فلنا عليه ملاحظات. فنحن لا نستطيع أن نجد له شرعة يسير بموجبها، ويحاسب ذاته عليها. إنّنا اعتدنا على نوع من الخلقية في هذا العالم المتحضّر، ليس باستطاعتنا وجود مثلها عند النصيري. فالصدق والكذب، في عالمنا، أمران يتنافيان؛ والشعور بالإثم، عند المؤمن، يتأكّل ضميره، وينغّص عليه العيش؛ ووخز الضمير، يعد عمل منكر، عند المتديّنين، يربك صاحبه؛ وارتكاب الخطيئة يطعن في رحمة الله ومحبّته...

هذه أمور لا نبحث عنها عند النصيري. فالصدق والكذب عنده سيّان، كَلَوْنَي الأحمر والأصفر بالنسبة لأعمى البصر. فمهما قلتَ للنصيري إنّك تكذب أو تصدق في القول، فإنّك لا تستطيع أن تزرع في ضميره أيّ شعور بالإثم. لهذا، يستطيع أن يعاهدك ألف ألف مرّة، وتصدق كلامه، ولكنّه، إنْ خالف عهده فلا لوم عليه، لأن هذه هي مصلحته... فإنْ لم تقل له: « أحلفك بأساس دينك، بسرّ عقد ع م س، أن تخبرني عن صحة أمر كذا، فلا يمكنه الكذب بعد هذا »[١٣]، لا يمكنك أن تأخذ منه عهداً.

والذي يجعل على النصيري خطيئة ليس ناموساً ولا شريعةً من الضمير ولا من الله... بل الإنسان هو الذي يجعل النصيري عارفاً بخطيئته. بل قل: إن عين الآخرين هي التي تصيّر النصيري خاطئاً. فإنه لو كان يقوم بعمل سرقة أو قتل أو زنى ولم يره أحد، فإنه يبقى بريئاً تمام البراءة أمام الله وتجاه ضميره. فالآخرون هم الذين يزرعون الخطيئة في ضميره. لهذا، كان من الضروري أن يتبوّأ المشايخ مكاناً وجيهاً في العشيرة ليردع أهليها بعضهم عن بعض، لأن ليس من رادع سوى الشيخ العالي المقام...

---

(١٣) الباكورة، ص ٨٣؛ انظر ص ٤٣ من هذا البحث.

ولكي يعرف الشيوخ نصيرياً صادقاً من نصيري كاذب اخترعوا في بعض المزارات[١٤] نافذة، وقالوا: إن الكاذب لا يمكنه اجتيازها زحفاً لأنها تضيق عليه. « وفعلاً، فإن غير الصادق يأخذه الوهم فيعتقد أنّ تلك النافذة ضيّقة، وإنّها يمكن أن تضغط عليه، فتكون نهاية حياته. وعندئذ، إمّا أن يعترف بعمله، أو أن يحكم عليه حسب العرف »[١٥].

فالاعتراف بالذنب يأتي النصيري من خارج، من خارج ضميره، من عيون الآخرين، من حكم المشايخ، من نوافذ المزارات...

---

(١٤) المزار بناء على اسم وليّ أو نبيّ أو أحد الرجال الصالحين. أكثرها يقع في أعالي الجبال والروابي، تكتنفها أشجار مقدسة، بنوع إنه إذا ما أسقطت العواصف واحدة منها تترك في أرضها دون أن يمسّها أحد. تعلو المزار قبّة مطلية بالكلس الأبيض. ولكل مزار خادم يعتني به ويعيش من ريع أوقافه. وللمزارات حرمة، لا يقدم أحد على سرقة شيء منها أو من الأحطاب التي في جانبها. لا يحلف على المزار أيماناً كاذبةً، لأن اليمين الكاذبة تؤدّي إلى البلاء والرزايا وهلاك الأسرة بكاملها. والنذور للمزارات كثيرة جدّاً، تنفق على رجال الدين والفقراء. يتحدث النصيريون عن مزاراتهم باحترام. وينسبون إليها المعجزات. فهي، برأيهم، تمنع الأعداء من دخول قراهم، وأن الرصاص لا يؤثر فيها، وأن من يسعى إليها من مسافة بعيدة لا يشعر بالتعب، وأن الماء تنبع منها، وأن الشاب يعرف قبل الزواج من تكون امرأته، وإذا ما كانت امرأته بكراً أم زانيةً، وأنها تجعل البركة في البنين وفي الزرع وفي مؤونة البيت. وبعض المزارات ذات اختصاص: منها بطب العيون، منها من يهب العاقر الحمل، منها من يشفي من الأمراض المستعصية، ومنها من يغني ومن يفقر...

(١٥) منير الشريف، العلويون من هم؟.. ص ١٩٠ ـ ١٩١...

الفصل العاشر

من تاريخ النصيريّن

أوّلاً : من نشأتهم حتى العثمانيين

ثانياً : في أيّام الحكم العثماني

ثالثاً : في زمن الانتداب الفرنسي

رابعاً : الرؤيا البعيدة

أوّلاً: من نشأتهم حتى العثمانيين

نشأت الدعوة النصيرية في بغداد مع ابن نصير النميري باب الحسن العسكري (+ ٨٧٣ م). وهو أوّل من دعا ونظّم شؤونها. وهي إليه تنسب... وخلفه في رتبته البابيّة محمّد بن جندب، ثم محمّد الجنان الجنبلاني (+ ٩٠٠ م) الذي أنشأ طريقة خاصّة بالتصوّف، وفقهاً يتميّز عن الفقه الجعفري. ثم انتقلت الرئاسة إلى عبد الله بن حمدان الخصيبي (+ ٩٦٨ م) الذي ساح في البلاد الإسلامية ونقل الدعوة إليها. وأسّس فيها مركزين: مركز بغداد، برئاسة الشيخ علي بن الجسري، ومركز حلب، برئاسة محمّد بن علي الجلّي.

لم يلبث مركز بغداد أنْ زال واندثر؛ فيما انتقل مركز حلب إلى اللاذقية، برئاسة أبي سعيد ميمون بن قاسم الطبراني (+ ١٠٣٥ م) الذي وضع كتباً عديدة في الدين...

لقد تشتّت النصيريون من مراكزهم هذه لكثرة الهجمات الإسلامية السنّية عليهم. فالذين كانوا في حلب هربوا إلى الجبال المجاورة، وكان جبل السمّاق أكثر استئهالاً بهم. عليه حطّوا رحالهم، وفيه وجدوا الدروز يكنّون لهم الشرّ، فأجلوهم منه، واستقرّوا فيه مدّة طويلة. والذين كانوا في اللاذقية هربوا هم أيضاً من وجه الغزاة السنّيين واستقبلتهم الجبال المجاورة، المدعوّة باسمهم، أي « جبال النصيرية ». في هذه الجبال

الجرد ذاق النصيريون طعم الظلم والقهر والجوع والأمراض، تاركين خلفهم مدن الساحل وخصب سهولها، كما ترك أخوانهم مدن الداخل وخيرات أرضها... ومع هذا، لم يبرح أمل العودة إليها من نفوسهم، وهم يغذّون فيها، سرّاً، الثأر من الغزاة المسلمين.

*****

وجاء على النصيريين، أيّام الصليبيين (١٠٩٦ ــ ١٢٩١ م)، عهد جديد. فعندما دخل هؤلاء بلاد الشرق، كان في نيّتهم القضاء على كل مسلم، من أيّة شيعة كان. وهكذا صار « بعد أن ترك الافرنج المعرّة، تقدّموا إلى لبنان، وقتلوا عددا كبيراً من النصيريين »[١]... إلاّ أنّهم، بعد معرفتهم لمختلف الطوائف الخارجة عن الإسلام، لم يلبثوا أن عاونوا بعضها، كما تعاونوا مع المسيحيين. فبنوا، في لبنان وجبال النصيرية، أكثر قلاعهم وحصونهم، فكان لهم في بلاد العلويين حصن الأكراد وقلعة صهيون وحصن سليمان وبرج صافيتا وقلاع مصياف والقدموس والكهف والرصافة وبانياس... وذلك لمواجهة الجيوش الإسلامية من جهة، ولاطمئنانهم من سكان هذه الصقاع من جهة ثانية.

واستفاد النصيريون من تحالفهم مع الصليبيين لينقضّوا على أعدائهم التاريخيين وأبناء منطقتهم الإسماعيليين. فهدموا قراهم ومدنهم، وأحرقوا لهم بيوتهم ومزارعهم، وتعقّبوهم أينما رحلوا وأينما حلّوا... وجاء لنجدتهم الأمير حسن المكزون السنجاري (+ ١٢٤٠ م) آتياً من سنجار، ودخل جبال النصيرية وأجلى منها الأكراد، وأسقط نفوذ الاسماعيليين. بذلك « خلّصهم

(١) Barhebraeus, Chronique Syriaque, cité par Assemani, Bibl. Orient., II, 320.

وأنجدهم من تجاوزات الأكراد بعد الصليبيين »[٢]، ثم « أسقط نفوذ الإسماعيلية »[٣].

يعتبر الأمير حسن المكزون من أعظم مشايخ النصيريين المتـأخرين، ومـن أشـهر الأتقياء. كتب ديواناً وأشعاراً متفرّقة في التصوّف والدين بأسلوب رمزي. وهو مع معاصـره الشيخ منتجب الدين العاني عالمان في الدين، « لم يرَ العلويون من بعدهما من يماثلهمـا فـي العلم والتقوى ». واشتهر أيضاً بعدهما الشيخ حاتم الطوباني (+ ١٣٧٥ م) والشـيخ حسـن الاجرود المكنّى بأمير الجماعة والذي سعى في اتّحاد العلويين. ولكليهما كتب في الدين...

بعد وفاة الأمير السنجاري، عاد النصيريون لينحسروا في الجبال لكثرة المظالم عليهم من كل جانب. فتعرّضوا لهجمات الأكراد والإسماعيليين والأيّوبيين. هؤلاء كانوا أكثر ظلمـاً عليهم من سواهم، وكانوا متحمّسين للقرآن، مشهورين بعداوتهم للشيعة عامّة؛ فبعد تمركـزهم في دمشق (١١٨٦ ــ ١٢٦٠) وحلب (١١٨٣ ــ ١٢٦٠) واليمن (١١٧٣ ــ ١٢٢٩) ومصر حيث جاء صلاح الدين (١١٣٨ ــ ١١٩٣) يمدّ الضربة القاضية على جميع فلـول الشـيعة. فعزل الخليفة الفاطمي واعترف بسلطة الخليفة في بغداد، وانتصر على الزنكيين قرب حمص، واحتل سوريا والموصل، وهزم الصليبيين في حطّين (١١٨٧) وأسر ملك القدس، وفتح بيـت المقدس، ثم عقد هدنة من الافرنج وسالمهم.

قال المؤرّخون في عهد صلاح الدين والأيّوبيين عامّة بأنه « لم تكن أراضي العلويين تتخلص من نكبة إلاّ تعقبها أخرى أعظم منها... حتى لم

---

(٢) محمد الطويل، تاريخ العلويين، ص ٣٠٦.
(٣) نفس المرجع، ص ٣٠٩.

يبقَ للعلويين أدنى استراحة في جبلهم »[٤].

*****

في السنة ١٣٠٥ م « قرّر المماليك (١٢٥٣ ــ ١٥١٧) إبادة الشـيعة: « المتاولـة، والنصيريّة، والدروز »[٥]، فتعقّبوهم في كل مكان، في كسروان من جبال لبنان، وفي سـهل البقاع، وساحل سوريا، وجبال النصيريين...

*****

في المرحلة الأولى هذه من تاريخ النصيريين وجدنا نشأتهم على أعقاب الشيعة الاثني عشرية الذين ختموا الإمامة بمحمد المهدي الإمام الثاني عشر، ونشأوا نشأة قويّة باعتمـادهم على نظرية: إن الله لا يترك المؤمنين « هملاً » من مرجع يرجعون إليه، ومن حجّة يستدلّون به في أمور الدين، ومن باب يكون واسطة بينهم وبين الله... لكنّهم، بذلك، لم يسلموا، لا مـن الشيعة ولا من السنّيين، فاضطهدوا؛ وبعد استقرارهم في الجبال، لم يسلموا أيضـاً، لا مـن الأكراد ولا من الإسماعيليين.... وعندما دخل الصليبيون بلادهم نكبوا بهم أولاً ثم كانت فترة هدوء. ولمّا زاح صلاح الدين الصليبيين وجّه إليهم ضربة قاسية. ولدى اسـتيلاء المماليـك اشتعلت بلادهم ومحاصيلهم... إنّها فترة اضطهاد مرير وقهر كبير وظلم مكين... لم يعرفـوا في أرضهم استقراراً، ولم يختبروا مع جيرانهم حناناً؛ فعاشوا الموت، وأكلهم الجوع، وفتـك بهم المرض، وتخطّاهم الزمان فنساهم كما هم.

---

(٤) منير الشريف، العلويون من هم؟..، ص ٤٤.

ثانياً: في أيّام الحكم العثماني

في سنة ١٥١٦ قضى السلطان سليم العثماني على دولة المماليك، في موقعة مرج دابق بالقرب من حلب، وفتح سوريا ومصر. وخضعت له كل البلاد العربية. ومارس على النصيريين، بنوع خاص، شتّى العذابات والقهر، حتى « كانت أضرار الأتراك فوق كل حدّ »[١]. ولمّا دخل السلطان حلب أخذ من بعض العلماء السنّيين الفتوى المشهورة لقتال العلويين أو الكفرة. جاء في الفتوى استشهاده بالآية « قاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله »[٢]. بعدها، « جمع عموم الأمراء والمشايخ العلويين بحجة أن يعطي لكل واحد منهم سلطة رسمية ويصادقهم على وظائفهم؛ فجاء الأمراء والمقدّمون والمشايخ العلويون من كل جانب، حتى اجتمع إليه تسعة آلاف وأربعمائة رجلاً منهم، فقتلهم بموجب تلك الفتوى. ثم أمر بقتل العلويين باسم الدين »[٣].

وهرب العلويون في الجبال، وكانت الجيوش العثمانية تتعقّبهم أينما رحلوا؛ حتى قتل في ذلك الوقت أربعون ألفاً[٤]. وعمّت البلوى علويي ديار بكر وماردين والأناضول والجبال والسواحل. والذين هربوا

---

(١) محمّد الطويل، تاريخ العلويين، ص ٣٢٠.
(٢) سورة الحجرات ٤٩ / ٩.
(٣) محمد الطويل، المرجع المذكور، ص ٣٤٢.
(٤) نفس المرجع، ص ٣٤٤، تاريخ الدولة العثمانية لمحمّد فريد بك، ص ٧٤، منير الشريف، العلويون من هم؟..، ص ١٠٢.

منهم إلى الجبال سمّاهم الأتراك « سوارك »، وتعني: المنفيين أو المساقين. ويوجد اليوم بعض العلويين في صهيون والعمرانية وصافيتا من يسمّى بهذا الاسم... وزادت النكبة على النصيريين بأن تحالف الأتراك مع الإسماعيليين وملّكوهم القلاع المحصّنة في منطقتهم، كما انقسمت العشائر النصيرية على نفسها، وتنافسوا على تحصيل المعاش، لضيق المنطقة التي لجأوا إليها، ولكثرة عدد النازحين، حتى جرى بينهم قتال وشرّ، و « أصبح الأخ يقتل أخاه ليأكل ما عنده »[٥].

وشاع في ذلك الحين عن السلطان سليم « إنّه لم يثبت مقدرته الحربية إلاّ في محو العلويين »[٦]. وقيل في اللاذقية أيضاً: « لم يبقَ أثر من العلويين في اللاذقية سوى مقابر الأجداد »[٧]. وذكرت مجلّة الصيّاد اللبنانية بأن العلويين إلى اليوم « يتحدّثون في أوساطهم عن المأساة التي حلّت بهم أيام السلطان العثماني الذي أمر بإبادتهم... و أصدر فتوى بإحراق دمهم »[٨]... ومع هذا كله استطاع النصيريون البقاء، إذ « كانت مناعة جبل النصيرة الطبيعية سبباً في المحافظة على الموجودين فيه منهم »[٩].

وحوالي نهاية القرن الثامن عشر، وعلى أثر مقتل طبيب انكليزي في جبل النصيرية، استحضر سليمان باشا متسلّم ولاية طرابلس قوّات كبيرة وغزا الجبل، وقتل من قتل، وهرب من هرب، و « قبض على سبعين شخصاً

---

(٥) تاريخ العلويين، ص ٣٩١.
(٦) تاريخ العلويين، ص ٣٤٤.
(٧) نفس المرجع.
(٨) نفس المرجع.
(٩) الصياد، العلويون، ٢٤ آذار ١٩٦٦ عدد ١١٢٣، ص ٢١.

من المشايخ وقتلهم ووضع في رؤوسهم التبن »[١٠]... ثم أعاد الكرة على الجبل بحجة أن فيه حركات ثورية، وقبض على خمسة وأربعين شخصاً وذبحهم.

وفي سنة ١٨٠٧ حدثت بين النصيريين والإسماعيليين مذبحة رهيبة، وكان ذلك بخدعة ماكرة لا مثيل لها. إذ قام ثلاثمائة عيلة نصيريّة تطلب اللجوء إلى أمير مصياف الإسماعيلي بحجة خلاف مع أحد رؤسائهم الدينيين. قَبِلَ الاسماعيلي طلبَهم، وأسكنهم عنده. وبعد مدّة وجيزة، وفيما كان الرجال الإسماعيليون في الحقول يرعون الماشية ويزرعون أرضهم، انقضّ النصيريون عليهم، وقتلوا منهم ثلاثمائة رجلاً، ودخلوا البيوت والحصون، وجاء لمساعدتهم أخوانهم الذين نزلوا من الجبال... ممّا يثبت بلا ريب وجود مؤامرة مدبّرة مسبقاً. لكن، أن يبقى سرّ المؤامرة ثلاثة أشهر يستعدّ فيها النصيريون للانقضاض على أعدائهم، فهو ما يجعلنا نقدّر مقدرة السرّيّة والكتمان لشعب سرّي في كل شيء... وعلم باشا الشام بالمكيدة فأتى على رأس خمسمائة من عساكره، وقضى على المكيديين...

وفي سنة ١٨٣٢ دخل إبراهيم باشا قائد القوّات المصرية إلى بلاد الشام، وجرّد النصيريين من أسلحتهم، وتعقّبهم في الجبال، وهدم حصونهم « وقطع رؤوس رؤسائهم »[١١]، واستعان لاخضاعهم بأعداء جدد هم الموارنة والدروز الذين استقدمهم من جبال لبنان. وحصل بين النصيريين والدروز قتال شديد، إلاّ أنّ النصيريين قبضوا على خمسمائة درزي في وادي العيون وذبحوهم فوق حجرة واحدة مدوّرة، تسمّى، إلى

(١٠) تاريخ العلويين، ص ٣٨٨.

(١١) P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, p. 15.

يومنا هذا، بـ« حجرة الدم »، وهي بالقرب من المريقب... ولمّا خرج إبراهيم باشا من سوريا رجع النصيريون تحت سلطة زعمائهم المحلّيين، وعاد نصيريو الجبل يتناحرون فيما بينهم، ويعيشون الفساد، فهجموا على اللاذقية ونهبوها...

وفي سنة ١٨٤٧ حدث قتال بين عشيرتين منهم: الرسلانيين والشمسيين. وقام إسماعيل خير بك أحد زعمائهم بالصلح فيما بين العشيرتين، كما قام بثورة عارمة ضد الحكم العثماني. إلاّ أن الحكومة عملت على إخمادها. ولكي تأمن شرّه عيّنته حاكماً على قضاء صافيتا مقابل دفعه لها ٣٠٠ ألف فرنك. ولكنّه ما لبث أن قام بالثورة ثانية، فكان يختفي حيناً ويظهر حيناً آخر، إلى أن لجأ إلى خاله « عليّ الشلّة » في قرية « عين الكروم »، فغدر به خاله إرضاءً للحكومة وطمعاً بمكافأة، فقتله وهو نائم وأرسل رأسه للحكومة. وكان « هوّاش » أكبر أولاده فتزعّم عشيرته فخشيت منه الحكومة واستدعاه والي سوريا حمدي باشا ١٨٥٥ إلى دمشق حيث اعتقله مع أسرته، ثم نفاه إلى جزيرة رودس، وبقي هناك حتى توفّي.

وهكذا استعادت الدولة التركية سلطتها على النصيريين. وقسِمت منذ ذلك الحين الجبل إلى قائمقاميات كما في سائر البلاد السورية. وكان تحت الحكم العثماني المباشر... فافتقرت البلاد من الرجال والمال، ومن الزرع والمواشي، ودبّ الفقر والجوع والمرض، وقلّت المحاصيل المعتمد عليها في البلاد كالكرمة والدخان...

« في سنة ١٨٧٠، كتب الخبير الروسي في اللاذقية ما يلي: إنّ مناطق النصيريين هي من أتعس المناطق وأشقاها. ليس لهم لا عدالة ولا أمن »[١٢].

---

(١٢) المرجع السابق (الفرنسي) ص ١٦.

« وفي مدة ولاية راشد باشا على سوريا (١٨٦٦ م) تمرّد أهالي الجبل على الحكومة، فأمر الباب العالي بإخماد هذا التمرّد، فأخمده بغاية العنف، إذ شنق العصاة، وأحرق بيوت النصيرية.

« وهدأت الحال عشر سنوات ثم عاد النصيرية إلى الثورة، فأرسلت الدولة العلية حملة تحت قيادة الفريق عاكف باشا، قومندان موقع بيروت، فقبض على المتمرّدين، ونفى بعضهم إلى قلعة عكا، وشنق البعض الآخر.

« وبعد ذلك العهد عيّن للاذقية متصرّف اسمه ضيا بك، من أصل شركسي، ومن رجال السلطان عبد الحميد. فبعد أن بقي في متصرفيته مدّة وخبر أحوال البلاد، خيل إليه أن يدا أجنبية تلعب بعواطف النصيرية، وأن وجود مدارس الأميركان في بعض أنحاء الجبال مضرّ بسياسة الدولة، وأن الدواء الوحيد هو اقفال تلك المدارس الصغيرة للاستعاضة عنها بمدارس للحكومة. ثم خطر له ــ للفوز بهذا المشروع ــ ضرورة إدخال النصيرية في الدين الاسلامي بطريقة رسمية، وحينئذ يكون له الحق في منع انشاء المدارس الأجنبية بينهم. فسعى جهده في سبيل انجاز مشروعه، وهو يقصد غالباً كسب الشهرة ونيل الحظوة في نظر (السلطان) عبد الحميد فاتخذ لذلك طريقة سهلة، وهي في حدّ ذاتها تلفيق ظاهري وذلك إنه اكتفى بأن أحضر إليه أكثر رؤساء النصيرية. وكتب بحضورهم مضبطة في مجلس إدارة اللواء بأن جميع طوائف النصيرية دخلت عن رضا وطيبة خاطر في الدين الإسلامي الحنيف وإنهم لهذا القصد أرسلوا رؤساءَهم ومشايخهم لكي ينوبوا عنهم بالاقرار والاعتراف بإسلامهم الرسمي لدى الحكومة، فوقّع هؤلاء المضبطة وانصرفوا. وبعد ذلك أقفلت الحكومة مدارس الأميركان الصغيرة التي كان أكثرها عبارة عن بيوت حقيرة. ثم بنت الحكومة في سواحل الجبل نحو أربعين

مدرسة صغيرة لتعليم أولاد النصيرية القراءة البسيطة لا غير »[١٣].

وفي سبيل الوصول إلى هذا الهدف عيّنت الدولة التركية مدحت باشا والياً على سوريا، وجعلته يهتمّ بالنصيريين، حتى سمّوه بـ« سيّد الأحرار في الشرق »، لأنهم، في أيّامه، تنفّسوا الصعداء. وذات يوم، جاء مدحت باشا إلى حماه، وطلب زعماء النصيريين من مقدّمين ومشايخ، وكانوا نحو خمسمائة، فوقف بينهم، ووجّه إليهم خطابه الشهير. جاء فيه:

« يا أمراء ومقدمين ومشايخ! لماذا تبقون تجاه الحكومة في موقع العصاة، وأنتم مصرّون على عدم تأدية التكاليف الأميرية، وعلى عدم إيفاء الخدمة العسكرية، ولا تقبلون الأحكام القانونية، وأنتم مصرّون على مخالفة الحكومة؟

« يا أولادي! أنتم لا تعترفون بعدالة الحكومة، لأنكم لم تروا في أعمالها شيئاً يدلّ على النيّات الحسنة نحوكم، ولم تصادفوا قراراً لها في شؤونكم يوافق قواعد العدل؟

« أنتم لا تنقادون لأوامر الحكومة، لأن المأمورين الذين يذهبون لعندكم لا يعملون شيئاً إلاّ تذليل نفوسكم العزيزة، ولم تكونوا في نظرهم إلاّ غنيمة تُؤكل. ولم تشاهدوا في الحكومة أذناً تصغي لأنين شكواكم، وأنواحكم تذهب ضياعاً. وأنتم تعتقدون أنّ هذه هي الحكومة!

« أمّا السوريون فإنّهم يعتقدون أنّكم ذوو أخلاق تقتضي معاداتكم إلى الأبد، ويهتمون في اقناع الحكومة على ذلك.

---

(١٣) عن مقال في جريدة الأهرام نقله فريد وجدي في « دائرة معارف القرن العشرين »، ج ١٠ ص ٢٥٢. انظر « مذاهب الإسلاميين » ص ٤٩٩.

« بقيتم تجاه الحكومة في موقع العصاة، لأنه لا يوجد في جبلكم مدرسة تعلمكم واجباتكم، ولا طريق يوصلكم لمراكز المدينة، ولا أثر يدلّكم إلى العمران والرفاهية، ولم تشاهدوا سوى المظالم والتعدّيات التي أوجدت فيكم المخالفة وخشونة الطبع.

« فلذلك بقيتم دائماً كالعصاة، وواظبتم على الممانعة والمخالفة، وهذا أمر طبيعي، فلا لوم عليكم!

« يا أولادي! أطمّنكم، أنّي سأدفع عنكم تلك الأحوال الإدرايّة السقيمة. وسأجعلكم تستقلّون في الحكم بأنفسكم كما هي الحالة في جبل لبنان. وسأفتح لكم طرقاً تسمح لكم بالاشتراك في الحياة البشريّة العمومية، وتكونون أنتم الحكّام على أنفسكم، وحينئذ تلقون أنفسكم في حضن أمّكم الشفوقة الحكومة العثمانية »[١٤].

عند ذلك تحركت خواطر أشراف الشام، وأقاموا ضجّة عظيمة بأنّ مدحت باشا يريد إجهاد الحكومة والاستقلال عنها. ووالوا شكاياتهم للسلطان عبد الحميد الثاني. فنقل مدحت باشا إلى أزمير، واتّهمه بالخيانة لبلاده، ثم نُفي إلى الطائف ومات هناك مغدوراً به.

*****

(١٤) انظر خطاب مدحت باشا في « تاريخ العلويين » ص ٤٠١ ـ ٤٠٤.

ثالثاً: في زمن الانتداب الفرنسي

لم تدم أحوال النصيريين على هذه الحال، بل أخذت بالتردّي والبلاء. فما إنْ أُعلنت الحرب العالمية الأولى، واستنفرت الجيوش من المتحاربين، حتى قامت الدولة العثمانية وأعدّت رجالها وعتادها. وكان أوّل من ساقت إلى الحرب الرجالَ النصيريين. وساءت أحوال الجبال النصيرية جدّاً، بعد رحيل الرجال منها. فضعفت الزراعة وقلّ المحصول، وفرضت الدولة التركية على الحاصلات ثلاثة أعشارها، واحتكرت كل شيء في سبيل الجيوش، ومنعت الناس من شراء الخبز إلاّ من دائرة الاعاشة... و « جبل النصيرية الذي لم يكن، والحالة هذه، ليعطي حبّاً يكفي أهله، فقد بقي تحت خطر الجوع وخطر الحمى التيفوسية التي توسّعت في أعالي الجبال وأسفرت عن وفاة مائة ألف نسمة فيه »[١].

ولمّا قضى الحلفاء على الدولة العثمانية، عملت هذه على طرد النصيريين من « أطنّة »، وعلى أخذ الأسلحة الحربية منهم، وعلى تشتيتهم، حتى لم يبقَ لهم فيها أثر. وعمّت الفوضى في البلاد، وكثرت البلايا، واستغلّ الأرمن المنكوبون المناسبة، كما طمعوا بمحبّة الفرنسيين لهم، فراحوا، بفضل تنظيمهم، ينتقمون و « يعتدون على كل من اسمه محمّد أو أحمد، أو كل من كان متعمّماً ولابس طربوش »[٢].

---

(١) تاريخ العلويين، ص ٤١٤.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤١٩.

« وفي القطاع الساحلي من سوريا، الذي كان منذ أواسط تشرين الأول ١٩١٨ مسرحاً لمجهود فرنسي مرهق وقاس، فإن المهمّة الأكثر الحاحاً أمام الفرنسيين كانت التخفيف من الجوع والبؤس بين الأهالي الذين أوصلتهم الحرب وسوء الحكم إلى حالة كئيبة تنذر بكارثة. وكان الإرساليات التي تتبع دولاً في حالة حرب مع تركيا قد منعت في السنة الأخيرة للحرب من مواصلة عملها في المدن والقرى المصابة، بل والمقفرة أحياناً كثيرة بسبب الجوع والأمراض[٣]... وكانت آثار هذه النكبات واضحة للعيان... »[٤].

وبعد هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ القاضية بتسريح كل القوّات التركية واستسلامها الكامل وتسليمها مواقعها للجيوش الفرنسية، تألّفت جمعيّة علويّة سمّت نفسها « انتباه ملّي » بالتركية و « اليقظة القوميّة » بالعربية، وراحت تطالب بكيليكيا على أنّها من البلاد العلوية، ولا حقّ للأرمن بها. وقالوا: « إن كيليكيا هي من البلاد العربية من حيث التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والأساسات العرقيّة لسكانها »[٥]. وكان الكاتب في الجمعية العلوية، آنذاك، صاحب كتاب « تاريخ العلويين »، محمّد أمين غالب الطويل[٦]. وكان ذلك في صيف ١٩١٩.

وفي ٢٨ آب سنة ١٩١٩ قام الشيخ صالح العلي بثورة عارمة ضد الفرنسيين وحلفائهم الاسماعيليين، وعاونه على ذلك الملك فيصل الذي كان ملكاً على دمشق آنذاك. وهاجم الشيخ صالح الاسماعيلية في القدموس

---

(٣) س. هـ. لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ١٠١.
(٤) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ص ٣٤٥، في المرجع السابق...
(٥) تاريخ العلويين، ص ٤٢٤.
(٦) كثيراً ما نعتمد على هذا الكتاب لمعايشة صاحبه للأحداث وفاعليته فيها.

ومصياف ونهر الخوابي، ودمّر بلادهم إلى أن تدخلت السلطات الفرنسية.

وفي ٢١/ آذار سنة ١٩٢٠ عاود النصيريون بقيادة الشيخ صالح العلي مهاجمة القدموس، واستولوا عليها، وأعملوا فيها النهب والتخريب والقتل. وأمر الشيخ العلي بجمع كتب الاسماعيلية وأمر بإحراقها.

وفي ١٧/ نيسان سنة ١٩٢٠ قام الإسماعيليون بهجوم معاكس على القدموس واستطاعوا استردادها...

وهكذا كان الحرب سجالاً بين الشيخ صالح العلي والنصيريين من جهة وبين الفرنسيين والاسماعيليين حلفائهم من جهة ثانية. وكان أثر تصارعهم مع بعضهم بعضاً أنْ دمّرت مدن وقرى كثيرة، مثل القدموس ومصياف والشيخ بدر والنيحا ووادي العيون والرستن وعفرزيتي وقلعة الخوابي وكاف الجوز ورأس الكتان وضهر مطر والعجمة والغازة والشيخ علي طرزوا والحفّة وغيرها... وأحرقت المحاصيل، وأتلف التبغ بنوع خاص، وتشرّدت عائلات، وهدّمت البيوت من أساسها...

وفي ٦ آب سنة ١٩٢٠ كتب المفوّض السامي الفرنسي في بيروت إلى وزير الخارجية الفرنسية آنذاك « ميللران » يقول له: « إن الأنصارية الموجودين في الجبال قبالة الساحل، كلّهم يتكلّمون العربية، ويؤلّفون وحدة دينية هي، نظرياً، متّصلة بالإسلام، ولكن، عمليّاً، منفصلة عنه تماماً. ولا يجب أن نخلطهم مع المسلمين. إنهم جبليون متخلّفون، تحت سلطة رؤسائهم الاقطاعيين »(٧).

وفي ٢٩ آب سنة ١٩٢٠ تقرّرت أراضي الدولة العلوية، وعيّن الكلونيل نيجر Nieger حاكماً عليها. وفي ٣١ منه و١ أيلول صدر من القومّسيريّة العليا

(٧) انظر Archives diplom. du ministère des Affaires Etrangères Française, No 125, p. 199.

في بيروت أمر يقضي بتسمية جبل النصيرية بــ« أراضي العلويين المستقلّة »، وتقرّر لهـا شكل إداري خاصّ. وكان يدير شؤونها الكولونيل نيجر المذكور.

وفي ١ أيلول أيضاً من السنة نفسها، جاء رجل من علويي طرسوس وباشـر بنشـر جريدة اسمها « الصدى العلوي ».

وفي ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٠ وجّه الشيخ صالح العلي حملـة لاحـتلال مصـياف الاسماعيلية، فحاصرها، وقامت فيها معارك طاحنة، ودام حصارها عشرة أيّام. في هذه الأثناء كتب الكولونيل الفرنسي « جاكو »: « إن النصيريين والاسماعيليين شعبان ودينان، لا هؤلاء ولا أولئك مسلمون »[٨].

وفي ٢٩ تشرين الثـاني وجّه الجنرال غُورو حملة ضدّ الشيخ صالح العلي عند قرية « عين القضيب » شرقي القدموس، ولكن دون جدوى. إلاّ أنّ الجيوش الفرنسية دخلت منطقة الشيخ بدر واحتلتها دون مقاومة، وراحت تعتقل الزعماء والمشايخ والأعيان، وقضت علـى بعضهم بالإعدام، وعلى بعضهم الآخر بالسجن المؤبّد... فاضطرّ الشيخ صالح العلـي إلـى التوجّه إلى الشمال إلى قرية « بشراغي » و « سـنديانا » و « جيبـول » و « الحمـام ». فتعقّبته الجيوش الفرنسية، ودارت بين الفريقين حرب سجال إلى أن انتهت بقيـام الفرنسـيين بهجوم كبير في ١٥/حزيران /١٩٢١ على « بشراغي » حصن الشيخ صالح، و « بسمالخ »، و « عقبة الزرزار » و « جبل النبي صالح ». وحاول الفرنسيون القبض على الشيخ، ولكـنّ الشيخ كان قد اختفى، وتشكلت محكمة أصدرت حكمها بإعدامه إذا ما قبضوا عليه؛ ولمّا يئسوا من القبض عليه أصدر الفرنسيون قراراً بالعفو عنه، وقّعه الجنرال غورو... فسلّم الشيخ نفسه حتى يجنّب بني قومه العذاب بسببه.

(٨) Col. P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, 15.

عرف الشيخ مصلحة قومه فذهب لمقابلة الجنرال « بيوت » Billote فـي اللاذقيـة الذي أبلغه العفو شرط أن يقيم في منطقة لا يغادرها إلاّ بإذن السلطات الفرنسية. وعاد الشيخ إلى الجبل ليعتزل فيه. ولم يترك عزلته إلاّ بعد أن تحرّكت القضية الوطنية سنة ١٩٣٦ ومـا تلاها. وتوفّي الشيخ في ١٣ نيسان سنة ١٩٥٠...

بعد عزلة الشيخ ساد الجبل هدوء كبير ومديد، واستقرّت فيه أحوال المعيشة، وابتدأت سياسة علوية جديدة مع المنتدبين...

ففي ٢١ تموز سنة ١٩٢٢ أخذت « الأراضي العلوية » اسم « دولـة العلـويين ». وكان حاكمها الأول الجنرال « بيوت » Billote[٩].

وفي ١٦ أيلول من السنة نفسها تعيّن للعلويين قضاة ومحاكم مذهبية، وأحـدث لهـم مرجع باسم « قاضي القضاة »، ويحكمون بحسب قوانين المذهب الجعفري مع بعض الفروق.

وابتدأ عهد جديد نتج عنه « رغبة، قد تكون غريزية، في الطلب من السلطة المنتدبة، بواسطة ممثليها، لأن تمدّد وصايتها ومراقبتها، لكي يكون (للعلويين) الوقت الكافي والوسـائل الكفيلة، ليحصلوا على قوّة الإدارة والسياسة التي تنقصهم، وليفسح لهم المجال ليصـلوا إلـى درجة من التطوّر »[١٠].

وهكذا أصبحت « الدولة الجديدة ضمن الاتحاد السوري الفدرالي. وتعلّق النصـيريين بسنّيي دمشق لا يمكن أن يدوم. لهذا كثرت الاعتراضات. وفي كانون الثـاني سـنة ١٩٢٤ رفض ممثلو النصيريين الجلوس في المجلس

---

(٩) Col. P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, 16.

(١٠) Op. cit., p. 30.

الفدرالي. وفي ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ أصدر الجنرال « ويغــان » Weygand قــراراً باستقلال « دولة العلويين »[١١].

وفي سنة ١٩٢٧ كانت « دولة العلويين » تتألّف من سنجقين:

١ً ــ سنجق اللاذقية ويتضمّن: مدينة اللاذقية، وجبلة، وبانياس، ومصياف، والحفّة، كأقضية. والأقضية تنقسم إلى مديريّات[١٢]...

٢ً ــ وسنجق طرطوس ويشمل على: طرطوس، وصافيتا، وتل كلخ، كأقضية.

أمّا العلم العلوي فــ« أبيض مع شمس في الوسط صفراء، وأربع زوايا حمراء »[١٣].

وكان عدد سكّان الدولة آنذاك / ٢٧٨٠٠٠ نفس. موزّعة كما يلي:

١٧٦ ٢٨٥ علوي	١٧٥٥١٤ في القرى ٧٧١ في المدن
١٤٨ ٠٢٥ سنّي	٠٣٠٠٨١ في المدن ٠٢٢٠٦٧ في القرى
٠٠٤ ٤٥٧ إسمعيلي	٠٠٢٨٥١ في القرى ٠٠١٦٠٦ في المدن
٠٤٤ ٤٤٤ مسيحي	٠٣٤٤٨٩ في القرى ٠٠٩٩٥٥ في المدن[١٤].

وكانت حدود الدولة العلوية تمتدّ في ما بين وادي النهر الكبير شمالاً حيــث تبتــدئ سهول حمص والسهول التي يرويها نهر العاصي، ثم تلال متلاصقة بعضها ببعض في علــوّ متوسط (حوالي ٩٠٠ متراً)، تمتدّ

(١١) Haurt, Hist. des Arabes, cité par Jacquot, 16.
(١٢) Col. P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, p. 10.
(١٣) J. Weuleresse, Le Pays des Alaouites, t. I, 12.
(١٤) Co. Jacquot … p. 10.

إلى انطاكيا شمالاً، حيث تنخفض بسرعة ليمرّ فيها نهر العاصي... فتكــون حــدود « دولــة العلويين » إذن: من النهر الكبير جنوباً، والعاصي شرقاً وشمالاً، والبحر الأبــيض المتوســط غرباً.

*****

ننقل عن مؤرّخي هذه الفترة من تاريخ النصيريين ما يلي:

« حظيت بلاد العلويين، التي كانت قد نجحت بصعوبة فــي تجنّــب التــورط فــي اضطرابات ١٩٢٥ ــ ٢٧، بإدارة حكومية في الفترة ١٩٢٧ ــ ٣٥ أرقى من أية إدارة سبق أن عرفتها البلاد، وذلك رغم أن هذه السنوات شهدت كساداً اقتصادياً خطيراً.

« وقد احتفظ المسيو شوفلير Schaeffler بمنصب الحاكم طوال هذه المدة. وكانــت كل السلطات الفعلية في أيدي الموظفين الفرنسيين. وأفلح المجلس التمثيلي ــ كــان نصــف أعضائه، ثم ثلاثة أرباعهم بعد سنة ١٩٣٠، منتخبين ــ رغم طغيان الفظاظات الطائفية، فــي القيام بمهامّه على نحو معقول. وقد سجل الاهتمام بالانتخابات زيادة ملحوظة في هذه الفترة، بوصفها مجالاً آخر للصراع فيما بين الطوائف[١٥]، وذلك رغم إن الجمهور العادي ظل علــى لا مبالاته تجاه أعمال المجلس.

« وفي سنة ١٩٣٤ أعيد تنظيم شؤون القضاء. ولقيت إعادة العمل بمونوبــول التبــغ تأييداً عامّاً بعد سنوات من الانتاج الفائض والمواسم التي

(١٥) توزعت المقاعد في المجلس على النحو التالي: ١٠ للعلويين (النصيريين)، و٢ للارثوذكس، و١ للموارنة، و٣ للسنة، و١ للاسماعيليين.

لا سبيل إلى تصريفها. وفي مدينة اللاذقية تولى موظفون حكوميون مهام المجلس البلدي بعد أن أثبت عدم كفاءته. وقد عبرت مجموعة صغيرة من المثقفين النصيريين عن استيائها من قلّة استخدام موظفين من العلويين بالمقارنة مع السنة أو المسيحيين. وبمعزل عن شجارات وصراعات زعماء منطقة التلال من النصيريين، والنزاعات بينهم وملاك الأراضي السنّة أو جيرانهم الاسماعيليين.

« فإن سياسات البلاد ظلّت على حالها من حيث توحد الأغلبية العلوية في موقف انفصالي ومؤيد للانتداب في حين ظلّ السنة وأغلب المسيحيين[١٦] (وليس كلهم) وحدويين وذوي نزوع وطني سوري. ورغم الردات والانقسامات الهامشية فإن هذين الحزبين ظلاّ على حالهما وكانا يتنافسان في الاجتماعات والعرائض والوفود التي تؤم بيروت كلّما سنحت الفرص. وقد قدم الفرنسيون الدعم للحزب الانفصالي علناً، وثابروا على تأييد « الربّ » (نصف الشرير ونصف المضحك) البدين والجاهل وصانع المعجزات سليمان المرشد. لكن أحداً ما كان قادراً أن يتصور أن بلاداً صغيرة ومتأخرة بالكاد قادرة على الاكتفاء إلى هذا الحد ــ إلى جانب أن انتماءَها لسوريّا حقيقة صارخة ــ يمكن أن تحرز مستقبلاً معقولاً إلاّ إذا استمر الوجود والدعم الفرنسيين لمدة غير محدودة. »[١٧]

*****

لكنّ الدعم لم يستمرّ، ولن يستمرّ تأييد الفرنسيين للربّ سليمان

---

(١٦) « كانت الطائفة المارونية الصغيرة الحجم، والمرسلون اليسوعيّون انفصاليين بقوّة ».
(١٧) س. هـ. لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ٢٦٥ ـ ٦.

المرشد. ودلّت على عدم الاستمرار هذا وثائق وعرائض رفعها زعماء علويــون، بعــد مــا شعروا، من جانب السلطات الفرنسية، بعزمها على ضمّ الــدولتين العلويــة والدرزيــة إلــى سوريا... وبالفعل « صدر، في ٢ و٥ كانون الأول سنة ١٩٣٦ مرسومان ينصّان على إعادة ضمّ منطقتي الدروز والعلويين إلى سوريا »[١٨]. ولكن قبــل مشــروع الضــمّ هــذا، قــام الانفصاليون يرسلون الوفود تلو الوفود إلى بيروت. و « كان سليمان المرشد على رأس أحد الوفود التي أمّت بيروت للاحتجاج »[١٩]، كما كان موقّعاً لــ« وثيقة تاريخية »، مــع بعــض الزعماء العلويين النافذين...

هذه الوثيقة رفعها زعماء النصيرية لرئيس الحكومة الفرنسية « ليون بلوم » Léon BLUM محفوظة تحت رقم ٣٥٤٧ بتاريخ ١٩٣٦/٦/١٥، في ســجلات وزارة الخارجيــة الفرنسية، وفي سجلات الحزب الاشتراكي الفرنسي صورة عنها. وننقلها حرفيّاً. وإليك نصّها:

دولة ليون بلوم، رئيس الحكومة الفرنسية،

بمناسبة المفاوضات الجارية بين فرنسا وسوريا، نتشرّف نحن زعماء ووجهاء الطائفة العلوية في سوريا أن نلفت نظركم ونظر حزبكم إلى النقاط التالية:

١ً ــ إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة،

---

(١٨) نفس المرجع، ص ٢٧٨. انظر أيضاً ص ٣٠٧.
(١٩) نفس المرجع، ص ٢٦٦.

بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس، هو شعب يختلف بمعتقداته الدينيّة وعاداتـه وتاريخه عن الشعب المسلم والسنّي. ولم يحدث في يوم من الأيام أنْ خضـع لسـلطة مـدن الداخل.

٢ً ــ إن الشعب العلوي يرفض أنْ يلحق بسوريا المسلمة، لأن الدين الإسلامي يُعتبر دين الدولة الرسمي، والشعب العلوي، بالنسبة إلى الدين الإسلامي، يعتبر كافراً. لـذا نلفـت نظركم إلى ما ينتظر العلويين من مصير مخيف وفظيع في حالة ارغـامهم علـى الالتحـاق بسوريا عندما تتخلّص من مراقبة الانتداب ويصبح بإمكانها أن تطبّـق القـوانين والأنظمـة المستمدّة من دينها.

٣ً ــ إن منح سوريا استقلالها وإلغاء الانتداب يؤلّفان مثلاً طيّباً للمبادئ الاشـتراكية في سوريا، إلاَّ أن الاستقلال المطلق يعني سيطرة بعض العائلات المسلمة على الشعب العلوي في كيليكيا واسكندرون وجبال النصيرية.

أمّا وجود برلمان وحكومة دستورية فلا يظهر الحرّية الفردية. إن هذا الحكم البرلماني عبارة عن مظاهر كاذبة ليس لها أيّة قيمة، بل يخفي في الحقيقة نظاماً يسوده التعصّب الديني على الأقلّيات. فهل يريد القادة الفرنسيون أن يسلّطوا المسلمين على الشعب العلوي ليلقوه فـي أحضان البؤس؟

٤ً ــ إن روح الحقد والتعصّب التي غرزت جذورها في صدر المسلمين العرب نحو كل ما هو غير مسلم هي روح يغذّيها الدين الإسلامي على الدوام. فليس هناك أمـل فـي أن تتبدّل الوضعية. لذلك فإن الأقلّيات في سوريا تصبح في حالة إلغاء الانتداب معرّضة لخطـر الموت والفناء،

بغض النظر عن كون هذا الإلغاء يقضي على حرّية الفكر والمعتقد.

وها إنّنا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق المسلمين يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على توقيع وثيقة يتعهّدون بها بعدم إرسال المواد الغذائية إلى أخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين. وحالة اليهود في فلسطين هي أقوى الأدلّة الواضحة الملموسة على عنف القضية الدينية التي عند العرب المسلمين لكل من لا ينتمي إلى الإسلام. فإن أولئك اليهود الطيّبين الذين جاءوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام، ونشروا فوق أرض فلسطين الذهب والرفاه ولم يوقعوا الأذى بأحد ولم يأخذوا شيئاً بالقوّة، ومع ذلك أعلن المسلمون ضدّهم الحرب المقدسة، ولم يتردّدوا في أنْ يذبحوا أطفالهم ونساءَهم بالرغم من وجود انكلترة في فلسطين وفرنسا في سوريا. لذلك فإن مصيراً أسود ينتظر اليهود والأقلّيات الأخرى في حالة إلغاء الانتداب وتوحيد سوريا المسلمة مع فلسطين المسلمة. هذا التوحيد هو الهدف الأعلى للعربي المسلم.

٥ ـ إننا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري وعلى الرغبة في تحقيق الاستقلال، ولكن سوريا لا تزال في الوقت الحاضر بعيدة عن الهدف الشريف الذي تسعون إليه، لأنها لا تزال خاضعة لروح الاقطاعية الدينية. ولا نظنّ أن الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي الفرنسي يقبلون أن يمنح السوريون استقلالاً يكون معناه، عند تطبيقه، استعباد الشعب العلوي وتعريض الأقلّيات لخطر الموت والفناء.

أمّا طلب السوريين بضمّ الشعب العلوي إلى سوريا فمن المستحيل أن تقبلوا به، أو توافقوا عليه، لأن مبادئكم النبيلة، إذا كانت تؤيّد

فكرة الحرية، فلا يمكنها أنْ تقبل أن يسعى شعب إلى خنق حرّيّة شعب آخر لإرغامه على الانضمام إليه.

٦ ــ قد ترون أنّ من الممكن تأمين حقوق العلويين والأقلّيات بنصوص المعاهدة، أمّا نحن فنؤكّد لكم أن ليس للمعاهدات أيّة قيمة إزاء العقلية الإسلامية في سوريا. وهكذا استطعنا أن نلمس قبلاً في المَعاهدة التي عقدتها انكلترة مع العراق التي تمنع العراقيين من ذبح الاشوريين واليزيديين.

فالشعب العلوي، الذي نمثّله، نحن المجتمعين والموقّعين على هذه المذكرة، يستصرخ الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي الفرنسي ويسألهما، ضماناً لحرّيته واستقلاله ضمن نطاق محيطه الصغير، ويضع بين أيدي الزعماء الفرنسيين الاشتراكيين، وهو واثق من أنه واجد لديهم سنداً قويّاً أميناً لشعب مخلص صديق، قدّم لفرنسا خدمات عظيمة مهدّد بالموت والفناء. »

الموقّعون

عزيز آغا الهوّاش	محمّد بك جنيد	سليمان المرشد
محمود آغا جديد	سليمان أسد	محمد سليمان الأحمد

ولكن، لا الوفود إلى بيروت، ولا الوثائق المرفوعة إلى الدولة الفرنسية، ولا المذكرات الموقّعة من قبل زعماء ومشايخ، ولا مستقبل الأقلّيات الغامض،.. منعت فرنسا من الرحيل.

ففي ١٩٣٦/١٢/٥ ضُمّت « دولة العلويين » إلى حكومة دمشق وصارت جزءاً من الدولة السورية بالقرار رقم ٢٧٤ ل. ع.[٢٠] الموقّع من المفوّض السامي للجمهورية الفرنسية د. دى مرتل.

*****

ومع هذا؛ لم تخمد نار الانفصاليين، ولم تتوقّف الاضطرابات في البلاد العلوية... ممّا ألزم المفوض السامي أصدار أنظمة سياسية جديدة، تناسب الوضع المستجد. « واتّضح أنّ باريس وافقت على توصياته القائلة بعودة المنطقتين الدرزية والعلوية إلى الحكم الذاتي والاحتفاظ بالقوات الفرنسية... وأصدر المفوض السامي في ٧ تموز (١٩٣٩) أنظمة أساسية جديدة ونصف انفصالية لمناطق اللاذقية وجبل الدروز، تكرّس أوضاعها على نحو لا يختلف كثيراً عمّا كان سائداً قبل ١٩٣٦. وفي اليوم نفسه أرسل الرئيس الأتاسي برقية احتجاج إلى باريس، واستقال من منصبه، وتوجه إلى منزله في حمص، وامتنع الوزراء عن التوجه إلى مكاتبهم، في حين كانت دورة انعقاد المجلس في أيامها الأخيرة. وحين لم يجد المفوّض السامي مخرجاً فإنّه نشر في ١٠ تموز مراسيم تتضمن تعليق العمل بالدستور السوري، وتعيين مجلس مكوّن من المدراء العامين للوزارات برئاسة بهيج الخطيب... »[٢١].

---

(٢٠) راجع نصّ القرار في كتاب « مراحل استقلال دولتي لبنان وسوريا »، جمع وجيه علم الدين، ص ٧٦ ـ ٧٧، بيروت ١٩٦٧.

(٢١) كان المفوض السامي آنذاك المسيو « بيو » Pueux. انظر س. هـ. لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٢٩٦ ـ ٧.

رابعاً: الرّؤيا البعيـــدة

لم ينجح النصيريون الانفصاليون، فاستقلّت سوريا بكامل مناطقها ودويلاتها. وما لـــم يتحقّق في دورة ما من التاريخ قد يتحقّق في دورة أخرى. وما لم يتوصّل إليه سليمان المرشد وسليمان الأسد... قد يتوصّل إليه أبناؤهما وأحفادهما. وإذا كان سليمان المرشد اســتطاع أن يدخل برلمان الشام نائباً سنة ١٩٣٧، فإنّ أحفاده سيدخلون إلى مناصب وزارية ورئاسيّة أعظم شأناً. عمل سليمان المرشد للاستقلال علناً، فباءت مساعيه بالفشل، وسيعمل أحفاده سرّاً، بخفاء وخفر. ذاك حصّن قلاعه وشحن النفوس في الجبل، وهــؤلاء عــزّزوا القواعــد وصــمّموا للاستقلال بعمق وفي اتجاهين: في اتجاه أوّل عملوا لكل ســوريا باســم العروبــة والبعــث والإسلام، وفي اتجاه ثانٍ حقّقوا في مناطقهم العمران والاقتصاد والمرافئ البحريّــة والجويّــة والطرقات وسكك الحديد ودور العلم والجامعات ومصارف المال. في الاتجــاه الأوّل نظمــوا جيشاً مقاتلاً ضد إسرائيل، وفي الثاني سيطروا هم على الجيش والمؤسسات العسكرية وقيــادة الطيران والقوات الخاصّة والحرس الجمهوري والاستخبارات...

نام سليمان المرشد وسليمان الأسد بأمل تحقيق حلم لم يستطيعا تحقيقه. وجاء أبناؤهما حالِمين بتحقيق أمل يوم تتدلّى قطوفه. رقدا تاركين لأبنائهما وصيّة من صلب المعتقد: العمل بالتقية والكتمان، الصبر على

المكاره وطول الاناة، الاستفادة من الأقربين والأبعدين، الاتجاه نحو الغرب والشرق، القتال مع إسرائيل وضد إسرائيل، الدفاع عن العروبة وقضاياها والانتفاع من آبار نفطها وأموالهـا... وحدهم أبناء السُلَيمَانيْن يستطيعون أن يسيروا باتجاهين معاكسين في آن معاً. يعرفون وحدهم وقت الهدوء والاستكانة ووقت اليقظة والعنف. في وقت الاستكانة نظّموا القوى وعقدوا الاجتماعات تلو الاجتماعات، وفي وقت اليقظة نادوا بمجتمع عروبي إسلامي أمثل... وكل خطوة كانت متينة أمينة. والكل يصبو، ومن سحيق التاريخ يصبو، نحو الوجود والحقّ بالحياة والاستقلال بالجبل المقهور.

وتمكّنا من الحصول على مقرّرات سرّيّة في اجتماعات متتالية. فكان:

اجتماع القرداحة[١]

« في عام ١٩٦٠ تنادى مشايخ النصيرية لعقد اجتماع في قرية القرداحة يحضره كبار الضباط النصيرية، وعلى رأسهم كل من محمّد عمران ومحمد نبهان وصلاح جديد وحافظ أسد. وكان الهدف الرئيسي من هذا الاجتماع التداول والاتفاق على كيفية انخراط الضباط النصيريين في صفوف حزب البعث لاستغلاله وجعله سلّماً للوصول إلى الحكم. وفي نهاية الاجتماع اتّخذت القرارات التالية:

١ً ــ منح عمران رتبة « البابية » وتكليفه بالتخطيط للمنظمات العسكرية وكيفية توزيعها على المنظمات الوطنية لاستغلالها والتستّر بها.

٢ً ــ الموافقة على بقاء عمران في صفوف الوحدويين[٢] من ناحية الظاهر.

---

(١) رفعنا هذه المقرّرات سنة ١٩٧٥ للمراجع المختصة بـ« كتاب سرّي »، وقع بين أيدي بعض الجرائد والمجلات فنشرته وفي بعض الكتب المنشورة...

(٢) الوحدويون هم الذين وافقوا على وحدة مصر وسوريا ١٩٥٨ ـ ١٩٦١.

٣ ــ التغرير بالضباط الدروز والاسماعيلية للتعاون معهم.

٤ ــ منح عزّت جديد رتبة « نقيب » في المذهب.

٥ ــ الموافقة على احلال ابراهيم ماخوص محلّ والده في رتبته الدينية.

٦ ــ تكليف المشايخ لدعوة أبناء الطائفة للتضامن والتعاون وتشجيعهم للانخراط في الجيش.

اجتماع حمص

عقد بعد ١٨ تموز سنة ١٩٦٣ لدراسة النتائج المتأتيّة عن الدور الذي لعبه محمّد نبهان في حوادث ١٨ تموز وأدّى إلى تسريح أكثر من ٤٠٠ ضابط من أنصار عبد الناصر. وضمّ الاجتماع عدداً أكبر من المشايخ بالإضافة إلى كل من الضباط الآتية أسماؤهم: عزّت جديد، محمد عمران، حافظ أسد، إبراهيم ماخوص. وفي نهاية الاجتماع اُتّخذت القرارات التالية:

١ ــ ترفيع محمّد نبهان إلى رتبة « نجيب » تقديراً لدوره الفعّال في ١٨ تموز.

٢ ــ منح محمّد عمران الوشاح البابي الأقدس وتكليفه بمتابعة نشاطه في حقل الناصريين.

٣ ــ إعادة النظر بالتخطيط الموضوع بشأن انضمام المزيد من أبناء الطائفة المثقفين إلى حزب البعث والدخول باسم الحزب في الكليّات العسكرية ومؤسسات الجيش.

٤ ــ التخطيط البعيد لتأسيس الدولة النصيرية وجعل عاصمتها حمص.

٥ ــ تكليف صلاح جديد بقيادة وتوجيه العناصر النصيرية في الجيش ومنحه أرفع رتبة عسكرية « مقدم ».

٦ً ــ مواصلة نزوح النصيرية من كافة قرى الريف إلى المدن وخاصة حمــص واللاذقيــة وطرطوس.

٧ً ــ منح حافظ أسد رتبة « نجيب »، وهي تلي رتبة جديد.

٨ً ــ منح عزّت جديد وعلي حمّاد رتبة « المختصّ ».

٩ً ــ السعي لاستئصال العناصر الدرزية والإسماعيلية الموجودين في صفوف الجيش والعمل على احلال العناصر النصيرية محلّهم.

١٠ً ــ تسليم القيادة المدنية السياسية إلى إبراهيم ماخوص واعداده ليكون رئيساً لوزراء الدولة النصيرية المنشودة.

في هذه الأثناء بعثت مجلّة الصياد مندوبها إلى المناطق العلوية وكتب فيهــا تقريــراً بعنوان: « العلويّون. هؤلاء يحكمون سورية اليوم! »، جاء في التقرير: « العلويون يحكمون سورية اليوم بوجههم الحقيقي بعد أن تستّروا طويلاً وراء حزب البعث. قال صــلاح جديــد لأمين الحافظ في اجتماع مجلس الثورة: « إن الكتل الاقليمية، وبالذات كتلــة العلــويين هــي المضمون ولاؤها للحكم القائم في سورية؛ فوجودها أساسي لحمايتكم ». وكان الكلام موجّهــاً بالطبع لسائر أعضاء حزب البعث وحكومة الحافظ. ــ وقَبِل البعث بالحقيقة المرّة لــيحكم... وتطوّرت الأيام.. وحدث ما حدث.. وظهر العلويون فجأة في المقدمة.. إنهم يحكمون سورية اليوم... »[٣].

... وتوالت الاجتماعات

... فكان اجتماع في « جبّ الجرّاح » بتاريخ ٣٠ كانون الثاني سنة

(٣) مجلة الصياد، عدد ١١٢٣ في ١٩٦٦/٣/٢٤، ص ١٨ ـ ٢١.

١٩٦٨ تقرّر القضاء على الطائفة الإسلامية قضاءً مبرماً، وتوجيه الضربة القاضية للــدروز والمسيحية، ثم إلغاء التعليم الديني الإسلامي والمسيحي، ومصادرة المدارس الخاصـــة لكـــلا الطائفتيْن حتى يسهل الانحلال الخلقي.

وكان اجتماع آخر في « صبّورة » بتاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٦٨، وآخر في دمشـــق بتاريخ ٣ أيّار من السنة نفسها، وآخر في بيت النجيب حافظ أسد ضمّ كلاّ من المقدم صـــلاح جديد وابراهيم ماخوص وشفيق عبدو والشيخ عليّ ضحيّة والشيخ أحمد سلمان الأحمد والشيخ سليمان العلي وأسعد تقلا وعليّ نعيسة ومحمد الفاضل وزكي الأرسوزي وأنيس خيــر بــك وعزّت جديد وسهيل حسن وغيرهم...

... « والمؤامرة الجهنّمية »

نفّذ النصيريون ما جاء في هذه المقرّرات تنفيذاً دقيقاً. ولا يكون لنا مجال للشكّ إذا ما عرفنا ما دار وما قيل حول حرب الجولان. وننقل للقارئ ما جاء في الصحافة آنـــذاك مـــن معلومات رسمية أكّدت صحّتها:

جاء في « الحوادث » ما يلي[٤]: «... وذات يوم، قالها الدكتور سامي الجندي أمـــام عدد كبير من الناس، ملء فمه، في دار السفارة بباريس، حرفياً: لن يجرؤوا على لمس ظفـــر صغير من أظافر خالد (أخيه

---

(٤) مجلة الحوادث البيروتية، عدد ٦٠٨ في ١٩٦٨/٧/٥.

المحبوس بتهمة قتل سيّدة)، وإذا فعلوا، فلكل حادث حديث... » وصمت الدكتور الجندي قليلاً، ثمّ فجّر القنبلة:

« في أيّار ١٩٦٧، قبل حرب حزيران بأقل من أسبوعين، تلقّيت إشارة رسمية من وزارة الخارجية في دمشق تطلب منّي مقابلة أبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية الذي كان يزور باريس آنذاك. إنني أحتفظ بتلك الإشارة الرسمية، وبما هو أخطر منها: انّني أحتفظ بسجل كامل للمقابلة ذاتها، ولما قيل فيها. وسأله أحد الحاضرين مذهولاً: هل تعني أنّك قابلت أبا ايبان في باريس في أيّار الماضي وعشيّة الحرب؟ وقال سامي الجندي بهدوء: نفّذت أمراً من دولتي واجتمعت إليه ساعة ونصف، ولديّ تسجيل كامل عن المقابلة... قال لي ايبان: إن القوّات الإسرائيلية لن تصل إلى أبعد من القنيطرة حتى ولو كانت الطريق إلى دمشق مفتوحة... ».

وأكّد محمّد أنور السادات بعد في ١ أيار سنة ١٩٧٩ ما جاء في هذه المعلومات إذ قال: « إن الألغام قد أُزيلت يومها من هضبة الجولان والقنيطرة قبل دخول الإسرائيليين، وإن السلطة قد بادرت إلى إعدام الضابط الذي أعلن عن سقوط الجولان قبل سقوطه ».

وأكّدت « الحوادث » معلوماتها هذه من حكومة دمشق نفسها، فقالت: « لقد تبرّعت حكومة دمشق مشكورة، فأكّدت خلال الأسبوع الماضي المعلومات التي كانت « الحوادث » قد نشرتها في العدد قبل الماضي عن قصّة سامي الجندي، والتي يمكن تلخيصها بأن سفير سوريا السابق في باريس كان قد ذكر في مجتمع خاص، بأن حكومته كلّفته خلال الأسبوع الذي سبق عدوان ٥ حزيران بمقابلة وزير الخارجية الإسرائيلية أبا ايبان في باريس، وأنّه قابله فعلاً لمدة ساعة ونصف »[٥].

وجاء أيضاً في « الحوادث »[٦] تحت عنوان: « المؤامرة الجهنميّة وضع خطوطها أبا ايبان وينفّذها صلاح جديد في سوريا:

« نحن مضطرون اليوم، للعودة إلى معلومات خطيرة كانت « الحوادث » قد نشرتها في العدد ٥١٨ بتاريخ ١٤ تشرين الأول عام ١٩٦٦ أي قبل حرب حزيران بحوالي تسعة أشهر، نقلاً عن مصادر عليمة في باريس:

« جاء في هذه المعلومات يومها:

« إنّ الحكم الحالي في دمشق قد سحب الأسلحة من غير العلويين في الجيش السوري، لا على مستوى الضابط فقط، بل على مستوى الجنود أيضاً. وإن ذلك جرى في معظم الكتائب التي يتألّف منها الجيش السوري.

« وقالت المعلومات: إن هذا الوضع في الجيش السوري هو مقدّمة لتشجيع العلويين المسيطرين على الحكم للانسحاب بقواتهم، بعد فترة قليلة من بدء الهجوم الأردني على سوريا... وتقضي الخطة بانكفاء العلويين إلى الأراضي التي تشكّل قاعدة دولة العلويين القديمة، التي حاول الفرنسيون اقامتها أيّام الانتداب، وهي تمتدّ من شمال لبنان إلى اللاذقية ».

... وفي سوريا (المستفيدون) هم « العاملون على تحقيق حلم إقامة الدولة العلوية، المتنكرون في ثياب حزب البعث والثوريّة الاشتراكيّة، والمتغرغرون صباح مساء بشعارات حرب التحرير الشعبية ».

*****

---

(٥) « الحوادث »، عدد ٦١٠، ١٩٦٨/٧/١٩.
(٦) « الحوداث »، عدد ٦١٤، ١٩٦٨/٨/١٦.

ويبقى الحرب اللبنانية الفلسطينية والدور السوري فيها. الذين عاشوا هذه الحرب يعرفون جيّداً من هم الأبطال ومن هم اللِّعَب... الأبطال هم: يهود مخطِّطون، أميريكيون وروس مبارِكون، نصيريون منفِّذون؛ واللِّعَب هم: فلسطينيون منكربون، لبنانيون مسترخون، وأموال عربيّة. وكانت الحرب لأسباب واهية، فقيل إنها: حرب أهلية، وحرب طائفية، ويمين ويسار، وتغيير نظام...

والحقيقة هي إن اليهود يريدون مبرّراً لوجودهم العنصري؛ والنصيريين يريدون رفع القهر عنهم وإقامة وجود مستقل لهم طالموا حلموا به؛ واللبنانيين يبغون رفع يد المتآمرون عليهم وتنطيف بلادهم من الطارئين؛ والفلسطينيين يُطعنون في الصدر والظهر ومن كل ناح... من النصيريين والعرب، ومن الغرب والشرق، وقليلاً من الإسرائيليين... وكان لبنان معهم أرحب أرضاً واستقبالاً؛ والمسيحيون فيه أكثر شعوراً بحالتهم، والمسلمون أكثر نكبةً فيهم، والدروز أكثر بطشاً بهم... والضحايا من كل ملّة..

والنصيريون دخلوا لبنان، ساعدوا الفلسطينيين ثم ضربوهم، وضربوا الموارنة ثم ساعدوهم ثم ضربوهم وسيساعدونهم، وتركوا المسلمين وشأنهم طمعاً بمال الدول الإسلامية، وارتدوا عن الجولان مبروكاً لإسرائيل، أرادوا الوحدة مع الأردن فاستمهل الأردنّ لعلّ في الأمر منكراً، واتّجهوا إلى العراق فكان شرّهم عليه مستطيراً... وفي كل حال هم من إسرائيل على اطمئنان، ومن أميركا وكمب دافد على تفاهم. هم خير المنفّذين لحرب تدوم وحروب تكثر وتكثر في المحيط الإسلامي كلّه. وستكون مكافأتهم دولة لن تقهر.

*****

ملحق

كتاب المجموع

السّورة الأولى واسمها: الأوّل

قد أفلح من أصبح بولاية الأجلح. استفتح بأنّي عبد، استفتحت بأوّل إجابتي بحبّ قدس معنويّة أمير النحل عليّ بن أبي طالب المكنّى بحيدرة أبي تراب، فيه استفتحت وفيه استنجحت وبذكره أفوز، وفيه أنجو، وإليه ألجأ، وفيه تباركت، وفيه استعنت، وفيه بدأت، وفيــه ختمــت بصحة الدين واثبات اليقين.

قال السيّد أبو شعيب محمّد بن نصير ليحيى بن معين السامريّ: يا يحيى إذا نزلت بك نزلة بالحياة، ودهت بك دهية بالممات، فادع دعوة عالية خالصة مخلّصة تقيّة بيضاء علويّــة، طاهرة زكيّة مشعشعة نورانيّة تخلّصك من هذه القمصان البشرية اللحمية الدمويــة، وتلحقــك بالهياكل النورانية، فقل فيك تباركت يا دليلاً بدلّته، يا ظاهراً بقدرته، يا باطناً بحكمته، يا مجيباً ذاته بذاته، يا مخاطباً اسمه بصفاته، يا هو يا كلّ يا قديم يا أزل لم تزل، يا معلّل العلــل، يــا مفني حركات الدول، يا غاية الغايات، يا منهي النهايات، يا عالماً بأسرار الخفيّات، يا حاضر يا موجود، يا ظاهر يا مقصود، يا باطناً بغير غمود، يا مَن أنوارك منك تشرق وفيك تغــرب ومنك بدت وإليك تعود، يا مَن جعل لكلّ نور ظهوراً ولكل ظهور اسماً ولكل اسم مكاناً ولكل مكان مقاماً ولكل مقام باباً يرشد الباب منه إليه ويدخل الباب منه إليه،

وأنت يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب الدليل عليه والكل أنت هو يا هو يا هو يــا من لا يعلم ما هو إلاّ هو. وأسألك بمسائل السين سلكون سلكاً سلك سالك سلك بما ســألك بــه السائلون وبمرشد المرشدين،

وبعليّ زين الدين والعابدين، أنْ تؤلّف ما بين قلوبنا وقلوب أخواننا المـؤمنين، علـى البـرّ والتقوى والتقويم والعلم والدين، نذكر حضرتك الطاهرة وقدرتك الباهرة، ورحمتـك الشـاملة والفرض اللازم والحقّ الواجب هي أسرار وتذكار، وجلال وافتخار، وعزّ وانتصار، وطلعتك الزاهرة، وقبابك الفاخرة، وقبّة العلى وتاج الهدى، والدين القيّم، والصراط المسـتقيم، ومـن عرف باطنه وظاهره فاز ونجا والذي قد عرّفنا به سيدنا سلسل سلمان يتلى وقـد دلّنـا إليـه وأرشدنا إليه شيخنا وسيّدنا وتاج رؤوسنا وقدوة ديننا، وقرّة أعيننا، السيّد أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدّس العلي روحه لأن مقامه مقام الصفا، ومحلّه الصدق والوفا، بسم الله وبالله وسرّ السيّد أبي عبد الله العارف معرفة الله سرّ تذكاره الصالح سرّه أسعده الله. انتهت.

السّورة الثّانية واسمها وتقديسة ابن الوليّ

أحسن ما يرى النائم في منامه وهو يسمع الحسّ ولم ير الشخص وهو ينادي ويقول: لبّيك لبيك يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب، يا رغبة كل راغب، يا قديم بـاللاهوت، يـا معدن الملكوت، أنت إلهنا باطناً، وإمامنا ظاهراً، يا من ظهرت فيما أبطنت، وأبطنـت فيمـا ظهرت، بالاستتار، واستترت بالظهور، وظهرت بالذاتيّـة، وتعاليـت بالعلويّـة، واحتجـت بالمحمّدية، ودعوت من نفسك بنفسك، أنت يا أمير النحل يا عليّ أشرق نورك وابزغ سفورك، وسطح ضياؤك وتعظّمت آلاؤك، وجلّ ثناؤك، بأن تأمّنني من شرّ مسوخياتك لنـا ولجميـع أخواننا المؤمنين من

شرّ الفسخ والنسخ والمسخ والوسخ والرسخ والقشّ والقشّاش، إنك على ذلك قدير سرّ الــولـيّ ابن الوليّ أبي الحسين محمّد بن عليّ الجليّ، علينا من ذكره السّلام سرّه أسعده الله. انتهت.

السّورة الثّالثة واسمها تقديسة أبي سعيد

أسألك يا مالك الملك يا أمير النحل يا عليّ يا وهّاب، يا أزلي يا توّاب، يا داحي الباب. أسألك بالخمسة المصطفية، والستة التجلّية، وبالسبعة الكواكب الدّريّة، وبالثمانية حمّالة العرض القويّة، وبالتسعة المحمّدية، وبالعشرة الدجاجات الذكية، وبالأحد عشر مطالع البابية وبــالاثني عشر سطر الإماميّة، بحقّهم عندك يا غاية الكليّة، يا أمير النحل يا صاحب الدولة العليّة، يا من أنت الأحد واسمك الواحد وبابك الوحدانيّة، يا من ظهرت في السبع القباب الذاتيّة، بأنْ تجعــل قلوبنا وجوارحنا ثابتة على معرفتك الزكيّة، وخلّصنا من هذه الهياكــل الناســوتيّة، ولبّســنا القمصان النورانية، بين الكواكب السماوية، نذكر حضرة شيخنا وسيّدنا الأجلّ الأكبر الشــابّ التقي أبي سعيد الميمون بن قاسم الطبراني العارف معرفة الله المكتف عمّا حرم الذي أخذ حقّه بيده من قفا أبي دهية وعلي ابن دهية. لعنة الله وعلى أبي سعيد السّلام ورحمة الله سرّ أبــي سعيد الشابّ التقي الحرّ الميمون بن قاسم الطبراني سرّه أسعده الله.

السّورة الرّابعة واسمها النسبة

أحسن توفيقي بالله وطريقي لله وأحسن سمعي واستماعي من شيخي

وسيّدي ومرشدي المنعم الله عليّ كما أنعم عليه بمعرفة ع م س وهي بشـــهادة أن لا إلـــه إلاّ عليّ بن أبي طالب الأصلع الأنزع المعبود، ولا حجاب إلاّ السيّد محمّد المحمود، ولا باب إلاّ السيد سلمان الفارسي المقصود، وهذا ما سمعته من شيخي وسيدي وغايتي ومعتمدي ومهديتي إلى طريق النجاة، ومورّدني إلى ينبوع الحياة، ومعتق رقبتي من رقّ العبودية، بمعرفة كنـــه الذات العالية، السيد الفاضل والطود العظيم عمّي وشيخي وسيّدي وتاج رأسي ووالدي الحقيقي أحمد وقد ألقى إليّ هذا السرّ العظيم في سنة كذا وكذا من شهر كذا ويوم كذا منه وسمع أحمد من إبراهيم وسمع إبراهيم من قاسم وسمع قاسم من عليّ وسمع عليّ من أحمد وسمع أحمد من خضر وسمع خضر من سلمان وسمع سلمان من صبح وسمع صبح من يوسف وسمع يوسف من جبرائيل وسمع جبرائيل من معلّى وسمع معلّى من ياسين وسمع ياسين من عيسى وســـمع عيسى من محمّد وسمع محمد من هدا محمد وسمع هدا محمّد من رضى أحمد وسمع رضـــى أحمد من صفندي وسمع صفندي من بلاذري أسد وسمع بلاذري أسد من حسّـــان الرشـــيقي وسمع حسان الرشيقي من محمّد وسمع محمد من مرهف مصر وسمع مرهف مصر من عقد جبرائيل وسمع عقد جبرائيل من عبد الله الجوغلي وسمع عبد الله الجـــوغلي مـــن إســـماعيل اللفاف وسمع اسماعيل اللفاف من جعفر الوراق وسمع جعفر الورّاق من أحمد الطرّاز وسمع أحمد الطرّاز من أبي الحسين محمّد بن علي الجليّ وسمع أبو الحسين محمد بن علي الجلّـــي من السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي وسمع السيد أبو عبد الله الحسين الخصيبي من شيخه وسيّده أبي محمّد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلان من محمد بن جنـــدب وســـمع محمد بن جندب من السيد أبي شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النميري

الذي هو باب الحسن الآخر العسكري منه السلام وإليه التسليم ومن محمّد بن نصير أقام النسب والدين وتعالى مولانا الحسن العسكري عمّا يقول الضالّون ونطق الظالمون علوّاً كبيراً. سرّ الدين وسرّ أخوتنا الجلّيّين أين ما كان منهم مكين. بسرّهم أسعدهم الله أجمعين وأشهد بأن الحسن الآخر العسكري هو الأوّل وهو الآخر وهو الباطن والظاهر وهو على كل شيء قدير.

السّورة الخامسة واسمها الفتح

إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبّح بحمد ربّك واستغفره انّه كان توّاباً. أشهد بأن مولاي أمير النحل عليّ اخترع السيد محمد من نور ذاته، وسمّاه اسم ونفسه وعرشه وكرسيه وصفاته، متّصل به ولا منفصل عنه، ولا متّصل به بحقيقة الاتّصال، ولا منفصل عنه في مباعدة الانفصال، متّصل به بالنور، منفصل عنه بمشاهدة الظهور، فهو منه كحسّ النفس من النفس أو كشعاع الشمس من القرص أو كدويّ الماء من الماء أو كالفتق من الرتق أو كلمع البرق من البرق أو كالنظرة من الناظر أو كالحركة من الكون. فإنْ شاء عليّ بن أبي طالب بالظهور أظهره وإنْ شاء الله بالمغيب غيّبه تحت تلألئ نوره.

وأشهد بأنّ السيد محمد خلق السيد سلمان من نور نوره وجعله بابه وحامل كتابه فهو سلسل وسلسبيل، وهو جابر وجبرائيل، وهو الهدى واليقين. وهو بالحقيقة ربّ العالمين.

وأشهد بأنّ السيد سلمان خلق الخمسة الأيتام الكرام. فأوّلهم اليتيم الأكبر والكوكب الأزهر والمسك الادفر والياقوت الأحمر والزمرّد

الأخضر، المقداد بن أسود الكندي، وأبو الذرّ الغفاري، وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي، هم عبيد مولانا أمير المؤمنين لذكره الجلال والتعظيم، وهم خلقوا هذا العالم من مشرق الشمس إلى مغربها وقبلتها وشمالها وبرّها وبحرها وسهلها وجبلها ما حاطت الخضراء، وحوت الغبراء، من جابلقا إلى جابرصا، إلى مراصد الأحقاف إلى جبل قاف، إلى ما حاطت به قبّة الفلك الدوّار إلى مدينة السيد محمد السامرة التي اجتمع فيها المؤمنون واتّفقوا على رأي السيد أبي عبد الله ولا يشكّون، ولا يشركون، ولا في سرّ علي بن أبي طالب يبيحون ولا يخرقون له حجاباً ولا يدخلون إليه إلاّ من باب اجعل المؤمنين مؤمنين ومطمئنّين ومؤيّدين مجبورين على أعدائهم وأعدائنا منصورين، واجعلنا بجملتهم مؤمنين مؤمّنين ومطمئنّين مستورين مجبورين على أعدائنا وأعدائهم منصورين. بسرّ الفتح ومن فتح الفتح ومن كان الفتح على يده اليمين بسرّ سيّدنا محمّد وفاطر والحسن والحسين ومحسن سرّ الخفيّ وأشخاص الصلوة وعدّة العارفين علينا من ذكرهم السلام صلوة الله عليهم أجمعين.

السّورة السّادسة واسمها السّجود

الله أكبر الله أكبر، لله السجود، للربّ العليّ الأنزع المعبود، يا سيّدي يا محمّد يا فاطر يا نور المعنى العظيم، وحجابه الكريم، بك استعنت أَعِنِّي بهذا الدار وبك استجرت، أجرني من عذاب النار، يا عزيز يا جبّار، يا قادر يا قاهر يا خالق الليل والنهار، الله نور السماوات والأرض وهو العلي الكبير، إليه نقصد ونشير، عزّ وجلّ

للباب قصدت، وللاسم سجدت، وللمعنى عبدت وسجدت وسجد وجهي الفاني البالي لوجه عليّ الحيّ الدائم الباقي.

يا عليّ يا كبير، يا علي يا كبير، يا أكبر من كل كبير، يا مخترع شمس الضحى وخالق البدر المنير، يا عليّ لك العزّة، يا عليّ لك الوحدة، يا علي لك الملك، يا علي لك الكبرياء، يا علي لك الإشارة، يا علي لك الطاعة، يا علي لك الشفاعة، يا علي لك الفطرة، يا علي لك القدرة، يا عليّ أنت سورة البقرة. أمانك يا علي أمانك من سخطك وعذابك من بعد رضوانك آمنت بعجزك ومعجزك. وجللت يا أمير النحل عن العجز أنْ يقع بك. آمنت وصدقت بباطنك وظاهرك وظاهرك امامي ووصيّة وباطنك معنوي لاهوت. يا هو يا هو معزّ من أعزّك وذكرك وأفردك، يا هو يا هو يا مذل من أذلّك وأنكرك وجحدك. يا حاضر يا موجود يا غيباً لا يدرك، يا أمير النحل يا علي يا عظيم.

السّورة السّابعة واسمها السّلام

سجدت وسلّمت ووجّهت وجهي لفاطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين. بدء السلام من المعنى القديم، على الاسم العظيم. وسلّم الاسم العظيم على الباب الكريم. وسلّم الباب الكريم على الخمسة الأيتام أركان الدنيا والدين. السلام على الأبواب. السلام على الأيتام. السلام على النقبا، السلام على النجبا، السلام على المختصّين، السلام على الممتحنين، السلام على المقرّبين، السلام على الكروبين، السلام على الروحانيين، السلام على المقدسين، السلام على السائحين،

السلام على المستمعين، السلام على اللاّحقين. فهم أهل المراتب يتقدّس عالم الصفاء أجمعين. السلام على من اتّبع الهدى، واهتدى وخشى من عواقب الردا، واطاع الملك العلـــي الأعلـــى، وأقرّ بربوبيّة محمّد المصطفى. السلام على المائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي. أوّلهم باب وآخرهم لاحق. السلام عليكم يا عباد الله الصالحين، جَمْعَ الله الصالحين. جَمَعَ الله شمْلنا، وشَمَلكم في جنّة النعيم بين الكواكب السمائيين.

السّورة الثّامنة واسمها الإشارة

سبحان إله خضعت له الرقاب، وذلّت له الأمور الشداد الصعاب، فقد ارتفـــع القصـــد والإشارة من السيد محمّد المصطفى في يوم عيد الغدير خمّ الذي شرّفه وفضّله عند الله مقـــام عظيم أنا عبد من المشيرين إليك يا أمير النحل يا عليّ يا عظيم يا أزلّي يا قديم يا بـــارئ يـــا حكيم. أسألك بحقّ الدعوة التي دعا بها السيد محمد وهو خارج من باب مكّة وراكب المطيّـــة البيضاء، وهو ينادي ويقول: الجهاد الجهاد، الحراب الحراب في سبيل الله. وهذه إشارتي إليك يا نور النور، يا فالق الصخور، وزاجر البحور، ومدبّر الأمور، بأن تسكّن المؤمنين في جنّتك العليا، التي رضوان خازنها، ويا فوز عبد رجالها. فإذا بالندى من قبل من العلا مـــن جانـــب الطور الأيمن ومن الشجرة المباركة ينادي ويقول: يا حبيبي يا محمّد. أيّ عبد دعـــاني بهـــذه الدعوة بصفو قلبه وخالص يقينه نهار الخميس النصف من نيسان أو عشيّة الجمعـــة أو ليلـــة النصف من شعبان أو في خمس

ليال من شهر رمضان أو يوم القدّاس أو ليلة الميلاد أو يوم عبد الغدير إلاّ وجعلته من أمّتي، وسكّنته جنّتي، وأسقيه بكأس رحمتي، وأجعله من المؤمنين، الذين لا خوف علـــيهم ولا هـــم يحزنون. رفعت إشارتي بسرّ العين العلويّة، بسرّ الميم المحمـــدية، بسر السين السلسليّة، بسرّ ع م س أوّل دعائنا نشير لمعنانا ونقول بسم الله الرحمن الرحيم، وآخر دعائنا نشكر من هدانا ونقول: الحق الحمد لله ربّ العالمين.

السّورة التّاسعة واسمها العين العلويّة

بسرّ العين العلويّة الذاتيّة الظاهرة الأنزعيّة، بسرّ الميم المحمّدية، الهاشمية الملكوتيّـــة الحجابيّة القرصيّة النورانيّة، بسرّ السين السلسليّة الجبرائيليّة السلمانيّة البابيّة البكريّة النميرية النصيرية. بسر ع م س.

السّورة العاشرة واسمها العقد

أشهد أن الله حق وقوله حق وأنّ الحق المبين علي بن أبي طالب الأنـــزع البطـــين، والنار مثوى للكافرين، والجنة روضة للمؤمنين، والماء من تحت العرش يطوف وفوق العرش ربّ العالمين، وحمّالة العرش الثمانية الكرام الذين هم إليه مقرّبون. عدّتي في شـــدّتي وعـــدّة كافة المؤمنين، سرّ عقد ع م س.

السّورة الحادية عشرة واسمها الشّهادة. والعامّة تسمّيها الجبل

شهد الله أنّه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط. لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام. ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، بشهادة ع م س اشهد عَلَيَّ أيّها الحجاب العظيم، اشهد عَلَيّ أيها الباب الكريم، اشهد عَلَيّ يا سيّدي المقداد اليمين، اشهدْ علَيّ يا سيّدي أبو الذر الشمال، اشهد عَلَيّ يا عبد الله، اشهد عليّ يا عثمان، اشهد عَلَي يا قنبر بن كادان، اشهَد علَيّ يا نقيب، اشهد علَيّ يا نجيب، اشهد علَيّ يا مختصّ، اشهد عليَّ يا مخلّص، اشهد علَيّ يا ممتحن ويا مقرّب ويا كروبي ويا روحاني ويا مقدّس ويا سائح ويا مستمع ويا لاحق.

اشهدوا عليّ يا أهل المراتب ويا عالم الصفاء أجمعين.

أني أشهد بأن ليس إلهاً إلاّ عَلِي بن أبي طالب الأصلع المعبود، ولا حجاب إلاّ السيد محمد المحمود، ولا باب إلاّ السيد سلمان الفارسي المقصود، وأكبر الملائكة الخمسة الأيتام، ولا رأي إلاّ رأي شيخنا وسيّدنا الحسين بن حمدان الخصيبي الذي شرع الأديان، في سائر البلدانَ.

أشهد بأن الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية، هي الغاية الكليّة، وهي الظاهرة بالنورانية، وليس إله سواها وهي عليّ بن أبي طالب وإنّه لم يحط ولم يحصر ولم يدرك ولم يبصر، أشهد بأنّي نصيري الدين، جندبي الرأي، جنبلاني الطريقة، خصيبي المذهب، جلّي المقال، ميموني الفقه. وأقرّ في الرجعة البيضاء، والكرّة الزهراء، وفي كشف الغطاء،

وجلا العماء، وإظهار ما كتم وإعلان ما خفي وظهور علي بن أبي طالب من عين الشمس، قابض على كل نفس، الأسد من تحته، وذو الفقار بيده، والملائكة خلفه والسيد سلمان بين يديه، والماء ينبع من بين قدميه، والسيد محمد ينادي ويقول: هذا مولاكم عليّ بن أبي طالب فاعرفوه وسبّحوه وعظّموه وكبّروه، هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه،

اشهدوا عليّ يا أسيادي، إن هذا ديني واعتقادي، وعليه اعتمادي، وبه أحيا وعليه أموت، وعليّ بن أبي طالب حيّ لا يموت، بيده القدرة والجبروت، إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولائك كان عنه مسؤولاً علينا من ذكرهم السّلام. تمّت.

السّورة الثّانية عشرة واسمها الإماميّة

اشهدن عليّ أيّها النجوم الزاهرة، والكواكب النائرة، والأفلاك الدائرة، بأن هذه الصورة المرئية المعاينة الناظرة، هي علي بن أبي طالب القديم الأحد الفرد الصمد، الذي لا يتجزّأ ولا يتبعّض ولا ينقسم ولا يدخل في عدد، فهو إلهي وإلهكم، وإلهكم وإلهي إمامي وإمامكم، وإمامكم وإمامي إمام الأئمة، وسراج الظلمة، حيدرة أبو تراب الظاهر بالأصلع، الباطن بالأنزع، الظاهر من عين الشمس، القابض على كل نفس، الذي له ولعظم جلال هيبته، ولكبرياء سنى برق لاهوته، تخضّعت له الأرقاب، وذلّت له الأمور الصعاب، سرّ إله في السماء وهو إمام في الأرض سرّ إمام كل إمام سرّ عليّ بن أبي طالب قديم الزمان سرّ حجابه السيد محمّد وبابه السيّد سلمان باب الهدى والإيمان علينا من ذكرهم الرضى والسّلام.

السّورة الثّالثة عشرة واسمها المسافرة

سبّح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم. أصبحنا وسبّحنا وأصبح الملك لله، وسبّح الملك لله، بسم الله وبالله، وسرّ السيّد أبي عبد الله، سرّ الشيخ وأولاده المختصّين، الشاربين من بحر ع م س، فهم واحد وخمسون. منهم سبعة عشر عراقي، وسبعة عشر شامي، وسبعة عشر مخفيّ، وهم واقفون على باب مدينة حرّان يأخذون بالحقّ، ويعطون بالحقّ، ومن يتديّن بديانتهم ويعبد عبادتهم وفّقه الله إلى معرفته ومن لا يتديّن بديانتهم ولا يعبد عبادتهم فعليه لعنة الله بسرّ الشيخ وأولاده المختصّين بسرّهم أسعدهم الله أجمعين.

السّورة الرّابعة عشرة واسمها البيت المعمور

والطور وكتاب مسطور في رقّ منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور بسّر طالب وعقيل وجعفر الطيّار هم أخوة علي بن أبي طالب نور من نور وجوهر من جوهر وعلي بن أبي طالب منزّه عن الأخوة والأخوات والأباء والأمّهات أحداً أبداً موجود، باطن بغير غمود، سرّ البيت وسقف البيت وأرض البيت وأربع أركان البيت، أمّا البيت فهو السيد محمد وسقف البيت أبو طالب وأرض البيت فاطمة بنت أسد وأربع أركان البيت هم محمد وفاطر والحسن والحسين سرّ الزاوية الغامضة الخفيّة التي هي في نصف البيت هي محسن سرّ الخفي سرّ صاحب البيت العلويّ الشريف الهاشمي الذي هشّم القرون وكسر الأصنام، علينا من ذكره الرضى والسّلام.

السّورة الخامسة عشرة واسمها الحجابيّة

سرّ الحجاب العظيم، سرّ الباب الكريم، سرّ سيّدي المقداد اليمين، سرّ سيدي أبي الذرّ الشمال، سرّ الملكين الكريمين الطاهرين، هما الحسن والحسين، سرّ الوليين هما نوفل بن حارثة وأبو برزة سرّ الصفّي وعالم الصفى، سرّ كل كوكب في السماء سرّ قدس العلي وسكّانه. علينا من ذكرهم الرضى والسّلام. تمّ.

السّورة السّادسة عشرة واسمها النقيبيّة

فنقّبوا في البلاد هل من محيص. نذكر أسامي السادة النقباء الذين اختارهم السيد محمد من السبعين رجلاً في ليلة العقبة في وادي منى، أوّلهم أبو الهيثم مالك بن التيهان الأشهليّ، والبراء بن معرور الأنصاري، والمنذر بن لوذان بن كنّاس الساعدي، ورافع بن مالك العجلاني، والأسد بن الحصين الأشهلي، وعبّاس بن عبادة الأنصاري، وعبادة بن صامت النوفليّ، وعبد الله بن عمر بن حزام الأنصاري، وسالم بن عمير الخزرجي، وأبي بن كعب، ورافع بن ورقة، وبلال بن رياح الشنوى، سرّ نقيب النقبا، ونجيب النجبا، سيّدنا محمّد بن سنان الزاهري. علينا من ذكرهم الرضى والسّلام.

*****

المصـادر
والمراجع

[Blank Page]

١) كتاب المجموع، تجده في « الباكورة » (رقم ١٣) وفـي « تـاريخ النصـيريين وديـنهم » لـ R. DUSSAND (رقم ١٥) وفي Journal of American Oriental Society, vol. 8. (رقـم ١٤). يتألّف من ستّ عشرة سورة. وهو كتاب صلاة النصيريين المقـدّس، وكتـاب الـنظم الدينيـة. وهـو دستورهم. « هو حجر الأساس في الدين يتضمّن كل العقيدة ». لا نملـك علـى تأليفـه ومؤلّفـه أيّـة معلومات. بل هناك رواية شائعة تنسبه إلى النبي محمّد الذي أوحاه إلـى النصـيريين دون المسـلمين، وسلّمه إلى النقباء الاثني عشر والنجباء الأربعة والعشرين ليلة العقبة في وادي منا قرب مكّـة (انظـر سورة ١٦).

٢) كتاب الاسوس رقم ١٤٤٩ من المكتبة الوطنية في باريس. وهو « كتاب معرفة حكمة سليمان بن داوود عليه السلام. إنه أساس كل شيء في معرفته... » (ص ٢). علّق أحد الأخصام عليه: « هذا الكتاب في عقائد الملة النصيرية عليهم لعنة ربّ البريّة من الكتب المنهوبة من بلادهم ».

٣) كتاب الصراط، تأليف المفضّل بن عمر، « رواه الشيخ أبو الحسن محمّد الهدري، قـال: رويـت عـن الشيخ الفاضل الثقة أبي الحسن محمّد بن علي الجلّي، يرويه عن سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن حمـدان الخصيبي، عن محمد بن منصور البغدادي... ». مخطوط رقم ١٤٤٩ ص ٨٦ ــ ١٨٢.

٤) كتاب الأصيفر، تصنيف الإمام العالم المحقّق المدقّق أبي عبد الله محمد بن شعبة الحرّاني. مخطوط رقم ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس، ص ٢ ــ ٤٢. يتكلّم على الله وظهوراته...

٥) رسالة التوحيد، رواها شيخي وسيّدي أبو محمد علي بن عيسى الجسري، رقم ١٤٥٠ من صفحة ٤٢ حتى ٤٩.

٦) مسائل أبي عبد الله بن هارون الصائغ، عن شيخه أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي. فيها يسأل بن هارون شيخه الخصيبي عن بعض مسائل التوحيد. رقم ١٤٥٠ من صفحة ٤٩ أ حتى ٥٣ ب.

٧) رسالة دون عنوان لابن هارون الصائغ، رقم ١٤٥٠ ص ١٧٧ أ ــ ١٧٩ ب. فيها « من عبد الاسم بالحقيقة فقد عبد المعنى... وذلك إنّ الرجل اسمه اسم لنفسه ومعنى لنفسه من غير فصل بين المعنى واسمه. فمن عرف هذا القول فقد عبد الاسم بحقيقة المعنى لأنّ المعنى باطن اسمه وهو فوقه ».

٨) مناظرة السيد الفاضل العلامة الشيخ يوسف ابن العجوز الحلبي المعروف بالنشّابي قدّس الله روحه يذكر التوحيد المشعشع من نور البيت الشعيبي الجليل الشامخ معدن الأصل والشرف الباذخ »، رقم ١٤٥٠ ورقة ٦٨ أ ــ ١٥٥ ب.

٩) شرح الإمام وما يوجب عليه وما يلزمه في منصبه وما يكون الإمام مترتب عليه في كل شيء مع الناس وما وصفه في هذه الرواية ». رقم ١٤٥٠ ورقة ١٥٥ ــ ١٦٧.

١٠) رسالة البيان لأهل العقول والافهام ومن طلب الهدى إلى معرفة الرحمن. رقم ١٤٥٠ من ورقة ٥٣ ب ــ ٦٧ ب. فيها عن الاسم والباب والأيتام وجميع أهل المراتب في العالم العلوي والسفلي وكيف ترتيبهم في ملكوت الله... » (ص ٥٤ أ).

١١) كتاب تعليم ديانة النصيرية، رقم ٥١٨٨ من المكتبة الوطنية في باريس؛ ورقم ٦١٨٢ من المكتبة نفسها. في نهاية هذا المخطوط يوجد كتاب « المشيخة » وكتاب « التوجيه »، فيهما قدّاس الطيب، وقداس البخور، وقداس الاذان، وقداس الإشارة... والأعياد...

١٢) كتاب مجموع الأعياد والدلالات والأخبار المبهرات، وما فيها من الدلائل والعلامات، جلّ مظهرها عن الآباء والأمّهات، والأخوة والأخوات. تأليف الأجل الأجمل، معدن الجود والتوحيد، والفضل والتأييد، الشاب الثقة أبو سعيد، ميمون بن القاسم الطبراني، قدّس الله روحه ونوّر ضريحه ». رقم ٤٢٩٢ من المكتبة الملكية ببرلين...

*****

١٣) كتاب الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية، تأليف سليمان أفندي الأذنيّ، طبع في بيروت ١٨٦٣، ١١٩ صفحة. نقل معظمه إلى الانكليزية E.Salisbury (رقم ١٤) الذي ينقل عن « فان ديك » قوله عنه: « هذا الكتاب وضعه نصيري خامرته الشكوك في ديانته، فارتدّ عنها ليصير يهودياً ثم مسلماً ثم أرثوذكسياً ثم بروتستانتياً. أُخذ كجندي إلى أدنة ثم إلى الشام حيث أطلق سبيله. أتى بيروت وكتب كتابه. ثمّ ذهب إلى اللاذقية وعاد إلى وطنه الأصلي، وهناك أماتوه بشرّ ميتة، بإحراقه حيّاً ».

وكتب M. Geofroy إلى R. Dussaud في ٢٥ آذار سنة ١٨٩٨: أرسل إليك هذا الكتاب بعد عناء البحث عنه. ويمكنك الاعتماد عليه، لأنه، بعد استقصاء المعلومات عنه، رأيت أنّ كل ما قيل فيه صحيح.

وقال نصيري خبير في شؤون الدين: « إن كتاب الباكورة صحيح إلى أبعد حدود الدقة، وكامل على الإطلاق. ان كنت تملكه بمجمله دون تحريف لم يعد لك بغيره حاجة. إن كاتبه كان شيخاً نصيرياً في بلدة في ضواحي انطاكيا، يعرف الديانة جيّداً... اغتيل في طرسوس على أيدي نصيريين ».

١٤) E. SALISBURY, The Book of Sulaimân's First Ripe Fruit, Disclosing the Mysteries of the Nusairian Religion…, in Journal of the American Oriental Society, t. VIII, p. 227-308.

١٥) R. DUSSAUD, Histoire et Religion des Nosairis, Paris 1900, Lib. E. Bouillon, 213pp.

١٦) H. LAMMENS, Les Nosairis, notes sur leur histoire et leur religion, in Etudes, Paris 1899, pp. 461-494.

١٧) H. LAMMENS, Au Pays des Nosairis, in Revue de l'Orient Chrétien, Paris 1899, pp. 572-590, et 1900, pp. 99-117; 303-318; 423-444; 1901, p. 33; 1902, p. 442, 1903, p. 149…

١٨) H. LAMMENS, Les Nosairis furent-ils chrétiens? A Propos d'un livre récent, in Revue de l'Orient Chrétien, 1900, pp. 1-18.

١٩) H. LAMMENS, Le Pays des Nosairis, Itinéraire et Notes archéologiques, in Musée Belge, t. IV, 1900, pp. 277-323.

٢٠) H. LAMMENS, Notes de Géographie syrienne, in Mélanges de la Faculté Orientale de l'Université Saint-Joseph, I, 1906, pp. 271-283.

٢١) L. MASSIGNON, Les Nusayris, in Opera Minora, t. I. 1960, Dar Al-Maaref-Liban, pp. 619-649.

حيث يوجد لائحة مفصّلة بالمصادر والمراجع النصيرية.

٢٢) L. MASSIGNON, Nosairi, in Encycl. de l'Islam.

٢٣) Journal Asiatique, t. XIV, pp. 190-261. Voir les années: 1848, pp. 162-166; p. 150; 1876; 1871; 1876; 1879; 1915; 1921.

حيث يوجد في هذه الأعداد تحليل لكتاب مجموع الأعياد، وللباكورة السليمانية، ولفتوى ابـــن تيميـــة، وللاشعار النصيرية، ولبعض مؤلّفات الطبراني، ولائحة مفصّلة للكتب النصيرية جمع « كاتافاغو »...

٢٤) Jacque WEULERESSE, Le Pays des Alaouites, 2 t., Toura 1940.

٢٥) Lieutenant Colonel Paul JACQUOT, L'Etat des Alaouites, Terre d'art de souvenirs et mystère. Guide touristique. Imp. Catholique, Beyrouth 1929.

٢٦) Pierre May, L'Alaouite, ses croyances, ses mœurs Les cheikhs, les lois de la tribu et les chefs. Introduction de Monsieur le Gouverneur SCHOEFFLER, délégué du Haut-commissaire auprès du Gouvernement de Lattaquié… 80 pp.

٢٧) Munîr Mushâbih Mûsä, Etude sociologique de Alaouites ou Nusaīris, thèse de doctorat dactyle. Paris, 1958, en 2 vol.

٢٨) Antoine AUDO, Zaki al-Arsouzi, un arabe face à la modernité, thèse de doctorat de 3ème cycle, Univ. de Paris III, Sorbonne Nouvelle, Juin 1979. Sous la direction de Mr. A. Miquel.

٢٩) Jean LAPIERRE, Le Mandat français en Syrie, Paris 1937.

٣٠) مذاهب الإسلاميين تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي، الجزء الثاني: الإسماعيلية، القرامطة، النصيرية، الدروز. دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٢، ص ٤٢٣ ــ ٥٠٦. صُودر هذا الجزء من الأسواق.

٣١) محمّد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٦، ٤٨٨ ص.

٣٢) محمد محمود سليمان، المجتمع العلوي في القرن العشرين، تذكرة مطبوعة على الآلة الكاتبة، مقدمــة في كلية الآداب بدمشق سنة ١٩٥٦، ١٠١٣ صفحة.

٣٣) منير الشريف، المسلمون العلويون، من هم؟ وأين هم؟ الطبعــة الثالثــة ١٩٦١، المطبعــة العموميــة بدمشق، ٢٥٨ صفحة.

٣٤) كتاب الهفت والأظلة المنسوب إلى المفضل بن عمر الجعفي، حقّقه وقدّم له عارف تامر والأب أ. عبده خليفه اليسوعي، دار المشرق بيروت ١٩٦٩، ٢١٣...

٣٥) تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ستيفن هاملي لونغريــغ، دار الحقيقــة بيــروت، ١٩٧٨ ترجمة بيار عقل، ٤٦٢ صفحة.

٣٦) كمال جنبلاط، هذه وصيّتي، مؤسسة « الوطن العربي »، منقول من الفرنسية إلــى العربيــة، ١٩٧٨، ١٥٨ صفحة.

٣٧) رسائل الحكمة، سنة ١٤٠٠ هــ/١٩٨٠ م ستّة أجزاء في ثلاثة مجلّدات. ٨٦٣ صفحة. بيروت.

مواضيع الكتاب

مقـــدّمة ٥

الفصل الأوّل : نشأة النصيرية ١١

أوّلاً : اختلاف المسلمين في الإمامة ١٣
ثانياً : سلســلة الأئمّــة ١٩
ثالثاً : نظــريّة « الباب » ٢٤
رابعاً : محمد بن نصير النميري ٢٧
خامساً : الحسين بن حمدان الخصيبي ٣٢
سادساً : الميمون الطبراني ٣٥

الفصل الثاني : عقيدة النصيريين في الله ٣٧

أوّلاً : الثالوث الإلهي عند النصيريين ٣٩
ثانياً : مبادئ التجلّي الإلهي ٤٤
ثالثاً : التجلّيات الإلهيّــة ٤٩
رابعاً : ألوهيّة عليّ بن أبي طالب ٥٣

الفصل الثالث : عقيدة النصيريين في الخلق والمعاد ٦٧

أوّلاً : قصّة الخلق ٦٧
ثانياً : التناســخ ٧١
ثالثاً : أحوال المعاد ٧٩

الفصل الرابع : رتبة تسليم الدين ٨٣

أوّلاً : معرفـــة « التعليق » ٨٥
ثانياً : رتبـــة « السماع » ٨٩
ثالثاً : رواية سليمان الأذني ٩٢
رابعاً : دور الإمام ٩٧

الفصل الخامس : مراتب النصيريّين ١٠١

أوّلاً : مراتب العالم النوراني ١٠٣
ثانياً : مراتب العالم البشري ١٠٧
ثالثاً : التدرّج في المراتب ١٠٩

الفصل السادس : النصيريّة والباطنيّة ١١٣

أوّلاً : الباطنيّة بوجه العموم ١١٥
ثانياً : علم الباطن وعلم الظاهر ١١٩
ثالثاً : التقيّـــة ١٢٣

الفصل السابع : الأعياد النصيريّة ١٣١

أوّلاً : ذكر أعياد النصيريين ١٣٣
ثانياً : كيفيّة الاحتفال بالعيد ١٤٣
ثالثاً : الصلوات والقدّاسات ١٥٠

الفصل الثامن : النصيريّة وسائر الأديان ١٦١

أوّلاً : موقف النصيرية من الأديان عامّة ١٦٣
ثانياً : النصيريّة والإسلام ١٦٧
ثالثاً : النصيريّة والدرزيّة ١٧٨
رابعاً : النصيريّة والمسيحيّة ١٨٢

الفصل التاسع : المجتمع النصيري ١٨٩

أوّلاً : الطوائف والعشائر النصيرية ١٩١
ثانياً : المرأة والزواج عند النصيريين ١٩٧
ثالثاً : الحياة النصيرية وتقاليدها ٢٠١

الفصل العاشر : من تاريخ النصيريّين ٢٠٧

أوّلاً : من نشأتهم حتى العثمانيين ٢٠٩
ثانياً : في أيّام الحكم العثماني ٢١٣
ثالثاً : في زمن الانتداب الفرنسي ٢٢٠
رابعاً : الرؤيا البعيدة ٢٣٢

ملحـــق : كتـــاب المجموع ٢٤١

المصادر والمراجع ٢٥٧

مواضيع الكتـــاب ٢٦٥